الباب الثاني: غزوة حنين.. الهزيمة.. الجريمة ١

الصحيح

من سيرة النبي الأعظم '

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
٢٠٠٦ م. ـ ١٤٢٧ هـ. ق

المركز الإسلامي للدراسات

الصحيح

من سيرة النبي الأعظم ’

العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الرابع والعشرون

المركز الإسلامي للدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثاني

غزوة حنين.. الهزيمة.. الجريمة

الفصل الأول: إستعداد العدو.. واستطلاع النبي ’

الفصل الثاني: الجيشان إلى حنين

الفصل الثالث: قبل أن تبدأ الحرب

الفصل الرابع: الهزيمة وتحمل الأعذار

الفصل الخامس: متآمرون على حياة ا النبى ’

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين، واللعنة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين..

وبعد..

نتابع فيه حديثنا عن هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ الإسلام، والتي انتهت بسقوط عنفوان الشرك، في المنطقة بأسرها.. لتكون الهيمنة المطلقة للإسلام وللمسلمين، باعتراف صريح من رموز الشرك، وعتاته، وفراعنته، وجباريه.

وتتمثل نهايات هذه المرحلة بحسم الأمر بالنسبة لقبيلة هوازن في حنين وأوطاس.. وسقوط ثقيف وخثعم في الطائف..

ثم تبع هذه المرحلة تداعيات طبيعية، تمثلت بانثيال وفود قبائل العرب على المدينة، ليعلنوا ولاءهم، وتأييدهم، وقبولهم بالإسلام ديناً، واعترافهم بمحمد نبياً..

والذي يعنينا الحديث عنه في هذا الباب وفصوله هو عرض ما جرى في حنين، وأوطاس، والطائف..

وأما الحديث عن الوفود، وعن سائر الأحداث الهامة، فنأمل أن نوفق للتعرض له فيما سوى ذلك من أبواب إن شاء الله تعالى..

فنقول.. ونتوكل على خير مأمول ومسؤول:

الفصل الأول:

إستعداد العدو.. واستطلاع النبي ’

بداية:

إن النصوص التاريخية تؤكد على: أن قبيلة هوازن هي التي بادرت إلى جمع الجموع وتحركت من أماكن سكناها باتجاه المسلمين، لتورد ضربتها الحاسمة فيهم، فلما سمع رسول الله «صلى الله عليه وآله» بجمعها، وبتحركها، سار إليها.

وسنحاول في هذا الفصل متابعة أحداث هذا التحرك، والأجواء المهيمنة على هذا المسير، فإلى ما يلي من عناوين ومطالب، ومن الله نستمد العون والقوة، ونبتهل إليه أن يمنحنا التوفيق والتسديد، إنه ولي قدير وبالإجابة حري جدير..

هوازن تحشد وتستعد:

قال المؤرخون، والمؤلفون:

[وتسمى أيضاً غزوة هوازن، لأنهم الذين أتوا لقتال رسول الله «صلى الله عليه وآله». عن أبي الزناد: أقامت هوازن سنة تجمع الجموع وتسير رؤساؤهم في العرب، تجمعهم][1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٠ وراجع: البداية والنهاية ج٤ هامش ص٣٦٨.

قال أئمة المغازي: لما فتح رسول الله «صلى الله عليه وآله» مكة مشت أشراف هوازن، وثقيف بعضها إلى بعض، (وكان أهلها عتاة، مردة، مبارزين)[١] وأشفقوا أن يغزوهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقالوا: قد فرغ لنا فلا ناهية له دوننا، والرأي أن نغزوه.

فحشدوا، وبغوا، وقالوا: والله، إن محمداً لاقى قوماً لا يحسنون القتال، فأجمعوا أمركم، فسيروا في الناس، وسيروا إليه قبل أن يسير إليكم.

فأجمعت هوازن أمرها، وجمعها مالك بن عوف بن سعد بن ربيعة النصري، وهو ـ يوم حنين ـ ابن ثلاثين سنة، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها، ونصر، وجشم كلها، وسعد بن بكر، وناس من بني هلال، وهم قليل.

قال محمد بن عمر: لا يبلغون مائة، ولم يشهدها من قيس عيلان. إلا هؤلاء، ولم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب، مشى فيها ابن أبي براء فنهاها عن الحضور، وقال: والله، لو ناوأوا محمداً من بين المشرق والمغرب لظهر عليهم[٢].

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٩٩ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٠٥ و (ط دار المعرفة) ص٦١ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٧٨.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٩ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٠٥ و ١٠٦ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٠٧ وراجع: البحار ج٢١ ص١٤٨ وتفسير القمي ج١ ص٢٨٥ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٦٩ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٤٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦١١.

وكان في جشم دريد بن الصمة وهو يومئذ ابن ستين ومائة.

ويقال: عشرين ومائة سنة، وقيل: مائة وخمسون سنة. وقيل: مائة وسبعون سنة[١]. (وذكر السيد محسن الأمين: المكثر يقول بلغ المائتين والمقل المائة والعشرين)[٢] وهو شيخ كبير قد عمي، ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه، ومعرفته بالحرب، وكان شيخاً مجرباً قد ذكر بالشجاعة والفروسية وله عشرون سنة[٣].

فلما عزمت هوازن على حرب رسول الله «صلى الله عليه وآله» سألت دريداً الرياسة عليها، فقال: وما ذاك؟! وقد عمي بصري، وما استمسك على ظهر الفرس؟ ولكن أحضر معكم لأن أشير عليكم برأيي على أن لا أخالَف، فإن كنتم تظنون أني أخالف أقمت ولم أخرج.

قالوا: لا نخالفك.

وجاءه مالك بن عوف، وكان جماع أمر الناس إليه، فقالوا له: لا نخالفك في أمر تراه.

فقال له دريد: يا مالك، إنك تقاتل رجلاً كريماً، قد أوطأ العرب،

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١٠٦ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٠٧ وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج١٧ ص٢٤٠ ومختصر المزني ص٢٧٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٩٢ ومعرفة السنن والآثار ج٧ ص٢٧.

(٢) أعيان الشيعة ج١ ص٢٧٨.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٠ وراجع: البحار ج٢١ ص١٤٨ وتفسير القمي ج١ ص٢٨٥ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٠٦ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٠٧.

وخافته العجم ومن بالشام، وأجلى يهود الحجاز، إما قتلاً وإما خروجاً على ذل وصغار، ويومك هذا الذي تلقى فيه محمداً له ما بعده.

قال مالك: إني لأطمع أن ترى غداً ما يسرك.

قال دريد: منزلي حيث ترى، فإذا جمعت الناس صرت إليك، فلما خرج من عنده طوى عنه أنه يسير بالظعن والأموال مع الناس(١).

وكان قائد ثقيف ورئيسهم كنانة بن عبد ليل، وقيل قارب بن الأسود(٢).

وكان جملة من اجتمع من بني سعد وثقيف أربعة آلاف، وانضمت إليهم أعداد من سائر العرب، جموع كثيرة، كان مجموعهم كلهم ثلاثين ألفاً، وجعلوا أمر الجميع إلى مالك بن عوف(٣).

فلما أجمع مالك المسير بالناس إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أمر الناس، فخرجوا معهم أموالهم، ونساؤهم، وأبناؤهم. ثم انتهى إلى أوطاس، فعسكر به، وجعلت الأمداد تأتي من كل جهة، وأقبل دريد بن الصمة في شجار له يقاد به من الكبر، فلما نزل الشيخ لمس الأرض بيده، وقال: بأي واد أنتم؟

قالوا: بأوطاس.

قال: نعم مجال الخيل، لا حَزْنٌ ضرسٌ، ولا سهل دَهِس. مالي أسمع

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٠ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٠٦ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٠٧.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص١٠٦ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٠٧.

(٣) السيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٠٧.

بكاء الصغير، ورغاء البعير، ونهاق الحمير، وبعار الشاء، وخوار البقر؟

قالوا: ساق مالك مع الناس أبناءهم، ونساءهم، وأموالهم.

فقال دريد: قد شرط لي ألا يخالفني، فقد خالفني، فأنا أرجع إلى أهلي وتارك ما هنا.

قيل: أفتلقى مالكاً فتكلمه؟

فدُعي له مالك، فقال: يا مالك، إنك قد أصبحت رئيس قومك، وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام. مالي أسمع بكاء الصغير، ورغاء البعير، ونهاق الحمير، وبعار الشاء، وخوار البقر؟!

قال: قد سقت مع الناس أبناءهم، ونساءهم، وأموالهم.

قال: ولم؟

قال: أردت أن أجعل خلف كل إنسان أهله وماله يقاتل عنهم.

فأنقض به دريد، وقال: راعي ضأن والله، ما له وللحرب. وصفق دريد بإحدى يديه على الأخرى تعجباً، وقال: هل يرد المنهزم شيء؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك، يا مالك، إنك لم تصنع بتقديم البيضة، بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئاً، فارفع الأموال، والنساء، والذراري إلى عليَا قومهم، وممتنع بلادهم، ثم القَ القوم على متون الخيل، والرجال بين أصفاف الخيل، أو متقدمة دريَّة أمام الخيل، فإن كانت لك لحق بك من وراءك، وإن كانت عليك الفاك ذلك، وقد أحرزت أهلك ومالك.

فقال مالك بن عوف: والله، لا أفعل، ولا أغيّر أمراً صنعته، إنك قد كبرت وكبر علمك، أو قال عقلك. وجعل يضحك مما يشير به دريد.

فغضب دريد وقال: هذا أيضاً يا معشر هوازن، والله ما هذا لكم برأي، إن هذا فاضحكم في عورتكم، وممكّن منكم عدوكم، ولاحق بحصن ثقيف وتارككم، فانصرفوا واتركوه.

فسل مالك سيفه، ثم نكسه، ثم قال: يا معشر هوازن!! والله، لتطيعنّني، أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري. وكره أن يكون لدريد فيها ذكر أو رأي.

فمشى بعضهم إلى بعض، وقالوا: والله، لئن عصينا مالكاً ليقتلن نفسه وهو شاب، ونبقى مع دريد وهو شيخ كبير لا قتال معه، فأجمعوا رأيكم مع مالك، فلما رأى دريد أنهم قد خالفوه، قال:

يا ليتني فيها جذع ... أخب فيها وأضع
أقود وطفاء الزمع ... كأنها شاة صدع[1]

ثم قال دريد: يا معشر هوازن، ما فعلت كعب وكلاب؟

قالوا: ما شهدها منهم أحد.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١١ والبحار ج٢١ ص١٤٨ و ١٤٩ و ١٦٤ و ١٦٥ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص١٠٦ و ١٠٧ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٠٧ و ١٠٨ والفايق في غريب الحديث ج١ ص١٢٣ وتفسير القمي ج١ ص٢٨٦ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص ١٩٩وتاريخ مدينة دمشق ج١٧ ص٢٣٩ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٤٥ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٣٧٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٨٩٠ وعن عيون الأثر ج٢ ص٢١٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦١٢ وغريب الحديث ج١ ص٣٢٠ وإعلام الورى ص١٢٠ و ١٢١ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٩ و ١٠٠.

قال: غاب الحد والجد، لو كان يوم علاء ورفعة. وفي لفظ: لو كان ذكراً وشرفاً ما تخلفوا عنه، يا معشر هوازن، ارجعوا، وافعلوا ما فعل هؤلاء.

فأبوا عليه.

قال: فمن شهدها منكم؟

قالوا: عمرو بن عامر، وعوف بن عامر.

قال: ذانك الجذعان من بني عامر لا ينفعان ولا يضران.

قال مالك لدريد: هل من رأي غير هذا فيما قد حضر من أمر القوم؟

قال دريد: نعم، تجعل كميناً، يكونون لك عوناً، إن حمل القوم عليك جاءهم الكمين من خلفهم، وكررت أنت بمن معك، وإن كانت الحملة لك لم يفلت من القوم أحد، فذلك حين أمر مالك أصحابه أن يكونوا كميناً في الشعاب، وبطون الأودية، فحملوا الحملة الأولى التي انهزم فيها رسول الله «صلى الله عليه وآله».

قال دريد: من مقدمة أصحاب محمد؟

قالوا: بني سليم.

قال: هذه عادة لهم غير مستنكرة، فليت بعيري ينحّى من سنن خيلهم، فنُحي بعيره مولياً من حيث جاء(١).

ونقول:

إن لنا هنا ملاحظات، ووقفات عديدة، نشير إليها ضمن العناوين التالية:

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٢.

حنين واد قرب الطائف:

حنين واد إلى جنب وادي ذي المجاز، قريب من الطائف، بينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً[١].

وقيل: حنين: اسم لما بين مكة والطائف[٢].

وقال بعضهم: اسم موضع قريب من الطائف[٣].

وقيل: بينه وبين مكة ثلاث ليال، قرب الطائف[٤].

سبب غزوة حنين:

تقدم أنهم يزعمون: أن سبب هذه الغزوة هو: أنه بعد فتح مكة مشت أشراف هوازن، وثقيف، وقالوا: قد فرغ لنا فلا ناهية له دوننا، والرأي أن نغزوه.

ولكنّ نصاً آخر يقول: إن سببها هو: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لما

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص ٣٥١ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٩ وعون المعبود ج٧ ص٢٢٩ وراجع ج٦ ص١٣٤ وراجع: عمدة القاري ج١٤ ص١٥٧ وج١٧ ص٢٧٧ و ٢٩٤ ومعجم ما استعجم ج٢ ص٤٧١ ومعجم البلدان ج٢ ص٣١٣ وفتح الباري (المقدمة) ص١٠٦ وج٨ ص٢١.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص١٠٥ و (ط دار المعرفة) ص٦١ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٠٧.

(٣) السيرة الحلبية ج٣ ص١٠٥ و (ط دار المعرفة) ص٦١.

(٤) تاريخ الخميس ج٢ ص٩٩ وعمدة القاري ج١٤ ص١٥٧ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٤٩ ومعجم البلدان ج٢ ص٣١٣ وراجع: التنبيه والإشراف ص٢٣٤ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٨ وج٨ ص٣٨٨ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٧٨.

خرج لفتح مكة أظهر أنه يريد هوازن، فبلغ الخبر إليهم، فتهيأوا، وجمعوا الجموع والسلاح، واجتمع رؤساء هوازن إلى مالك بن عوف، فرأسوه عليهم وخرجوا الخ..»[1].

ونقول:

أولاً: إن ثمة خللاً في هذا النص الأخير، فإن ما بلغ هوازن قد كان قبل فتح مكة، وبعد فتحها وبقاء النبي «صلى الله عليه وآله» فيها هذه المدة التي قد يقال: إنها قاربت العشرين يوماً، لا بد أن يتوقع أن هوازن قد اقتنعت بأن مكة كانت هي المقصودة بذلك الجيش.. فلا معنى لأن تقرر هوازن أن تجمع هذه الجموع وتسير لحرب رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ثانياً: إن هوازن قد بقيت سنة تجمع الجموع، وتحث القبائل على مشاركتها في حربها مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»[2].

وصرحت بعض الروايات: بأنهم قبل فتح مكة كانوا يريدون قتاله «صلى الله عليه وآله»[3]، فلا معنى لقولهم: إنها قد تهيأت للحرب حين بلغها

---

(١) البحار ج٢١ ص١٤٨ و ١٤٩ وتفسير القمي ج١ ص٢٨٥ وتفسير مجمع البيان ج٥ ص٣٣ والتفسير الصافي ج٢ ص٣٣٠ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص١٩٧ وتفسير الميزان ج٩ ص ٢٣٠ وتاريخ مدينة دمشق ج١٧ ص٢٤٠ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٤٥.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٠ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٠٧ وراجع: البداية والنهاية ج٤ هامش ص٣٦٨.

(٣) السيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٠٧ وراجع: معجم قبائل العرب ج١ ص١٥٠ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٤٤ .

مسير رسول الله «صلى الله عليه وآله» إليها، أو أنها قد قررت جمع الجموع والحرب بعد فتح مكة..

فلعل الصحيح هو: أنها قد بدأت بالتهيؤ للحرب قبل سنة، ثم زادت وتيرة هذا الاستعداد بعدما بلغها مسير النبي «صلى الله عليه وآله» إليها.. ثم جددت خيار المبادرة والدخول في الحرب بصورة فعلية بعد فتح مكة.

دوافع هوازن:

لقد بات واضحاً: أن هوازن لم تكن تريد بحربها لرسول الله «صلى الله عليه وآله» وللمسلمين أن تحقّ حقاً، أو تبطل باطلاً، كما أنها لم تكن تريد الدفاع عن نفس أو عرض، أو مال، أو أرض، ولا الدفاع عن حرية أو كرامة، ولا عن جاه وزعامة، ولا دفاعاً عن قيم إنسانية، أو عن حقائق إيمانية، أو ثأراً لعدوان سابق عليهم. وإنما كانت حرب العصاة البغاة، والمعتدين الطغاة، وحرب الأجلاف الجفاة، والعتاة القساة.

إنهم يخوضون حرباً يقرر زعماؤهم، وأصحاب الرياسة فيهم زجّهم فيها، ويفرضونها عليهم، وحملهم على مواجهة ويلاتها، وتحمل تبعاتها..

ولو أنهم تركوا الأمور تسير على طبيعتها، فإن غاية ما كان سيفعله معهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو: أن يعرض عليهم ما يدعو إليه، ويقدم لهم الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة عليه، ويبقى خيار القبول أو الرفض عائداً إليهم، وفقاً للشعار الذي طرحه الإسلام في قوله تعالى:

﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾(1).

____

(1) الآية ٢٥٦ من سورة البقرة.

و {إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ}(١).

و {إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ}(٢).

و {مَنْ شَاء فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاء فَلْيَكْفُرْ}(٣).

إلى عشرات من الآيات الأخرى المصرحة بهذا المعنى..

فلماذا إذن تبادر هوازن إلى جمع الجموع، والاستعداد طيلة سنة كاملة لحرب رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! ولماذا تريد منعه من إبلاغ رسالات ربه، بأساليب القهر، والظلم والتعدي، الذي يبلغ حد شن حرب، تأكل الأخضر واليابس؟!

هل هذا ضعف بصيرة أم خذلان؟!

وقد قرأنا في النصوص المتقدمة ولم نزل نقرأ أمثال هذه المزاعم في مواقف كثيرة أخرى مشابهة لأهل الكفر، مثل يهود خيبر وغيرهم: «أن محمداً «صلى الله عليه وآله» والمسلمين إنما كانوا ينتصرون في حروبهم المتلاحقة، لأنهم كانوا يلاقون قوماً لا يحسنون القتال.. ثم يزعمون أنهم هم أهل الجد والجلد، وأهل العدة والعدد، والعارفون بفنون الحرب، والذين يملكون خبرات عالية بأساليب الطعن والضرب»..

ولكن هؤلاء القوم وكذلك غيرهم من اهل اللجاج والعناد يرون المعجزات الباهرة، التي لا تبقي مجالاً للشك بحتمية الرعاية الربانية لهذا

---

(١) الآية ١٨٨ من سورة الأعراف.

(٢) الآية ٧ من سورة الرعد.

(٣) الآية ٢٩ من سورة الكهف.

الدين وأهله. وقد كانوا يرون بأم أعينهم المعجزات القاهرة للعقول، أو الكرامات الظاهرة الآسرة للوجدان، الموقظة للضمير.

فما معنى: أن يتعامى أولئك الناس عن كل مظاهر هذه العناية الإلهية، والرعاية الربانية، ويتجهون نحو تزوير الحقائق، وإخفاء أمرها، وتدنيس طهرها..

فهل يرجع هذا إلى ضعف في بصيرتهم، أو إلى خذلان رباني لهم، حجبهم عن الحقائق، أو حجبها عنهم، على قاعدة: **{فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ}**(١)، و **{وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ}**(٢).

إن الإجابة الصحيحة والصريحة عن ذلك، هي: صحة ووقوع كلا هذين الأمرين، نعوذ بالله من الخذلان، ومن سوء العاقبة وعذاب الخزي في الدنيا والآخرة..

دريد بن الصمة في محكمة الوجدان:

إن كلام دريد بن الصمة مع مالك بن عوف فيما يرتبط برسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبموقعه، وبما حققه من إنجازات يشير إلى معرفته التامة بما يجري في المنطقة، وبما آلت إليه الأمور بعد تلك الحروب الطويلة، التي خاضها المسلمون مع أعدائهم من مختلف الأديان والأجناس، وفي جميع المواقع..

كما أنه قد أظهر خبرة غير عادية بحالات القبائل، وسياسات الناس

---

(١) الآية ٥ من سورة الصف.

(٢) الآية ١٧ من سورة محمد.

وأحوالهم.. وتنبأ بما تكون عليه الحال، لو التقى الناس في ساحات القتال، وتنبأ بأن مالكاً سيترك أصحابه، ويلجأ إلى حصن الطائف، وهذا ما حصل فعلاً.

فإذا كان هذا الرجل يملك هذه الخبرة العالية، ويعرف: أن النبي «صلى الله عليه وآله» رجل كريم، فلماذا يستجيز لنفسه قتال الرجل الكريم، من دون ذنب أتاه إليه، ولا إلى غيره، سوى أنه يدعوه إلى الحق والخير والهدى؟!

وإذا كان يعرف أيضاً: أن هذا النبي قد أوطأ العرب، وخافته العجم، وخافه من في الشام.

ويعرف: أنه أجلى يهود الحجاز: إما قتلاً، أو خروجاً على ذل وصغار.

ويعرف: أن الحرب مع محمد «صلى الله عليه وآله» ليست مجرد عبث يتلاشى وينتهي، بل هي عمل تبقى آثاره ونتائجه إلى الأعقاب، عبر الأحقاب..

فلماذا يرضى من يعرف ذلك كله: بأن يكون المدبر لهذه الحرب الظالمة، والعدوانية، على رجل كريم، قد حقق كل هذه الإنجازات الهائلة التي لم تعرف لها المنطقة العربية مثيلاً في كل تاريخها الطويل؟!

فهل هذه حكمة ودراية، أم رعونة وغواية؟!

طموح تحمية الرعونة:

ومما لفت نظرنا هنا أيضاً: أن مالك بن عوف لا يرضى بما أشار به دريد بن الصمة، ويسعى إلى فرض رأيه على قومه بأسلوب أرعن وساقط، حيث إنه يأخذ سيفاً، ويهددهم بأنه سوف يقتل به نفسه إن خالفوه..

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ضعفه الشديد، وإفلاسه الأكيد، من أي منطق صحيح وسليم.

ولو كان يملك حجة ومنطقاً صحيحاً، فهو يكفي لإلزامهم بالأخذ برأيه، ويفرض عليهم البخوع لحجته..

والأشد غرابة هنا: أن لا نجد في تلك القبيلة الكبيرة بأسرها، والتي هي بصدد اتخاذ قرار مصيري وحاسم، يؤثر على مستقبلها ووجودها ـ لا نجد فيها ـ من يقول له: إن تهديدك بقتل نفسك لا يدل على صحة قراراتك، إن لم يكن دليلاً على ضعف حجتك، وبوار منطقك..

وإذا كان قرارك خاطئاً فسينتج المصائب والبلايا، والكوارث والرزايا، على مئات أو ألوف من البشر، لا يحق لك أن تتصرف بمصيرهم من دون روية، وتدبر، وحكمة وتبصر.

بل إنهم جميعاً خضعوا لإرادته، وأطاعوه حباً بالحفاظ على حياته، ولم يفكروا بما يحفظ لهم حياتهم.. مع أن هذا الرجل هو مجرد شاب طامح، لا يملك الكثير من الخبرة، أو التجربة، والحنكة، ولا يشعر بالمسؤولية بالمستوى الذي يؤهله لإصدار قرارات بهذا القدر من الحساسية، وبهذا المستوى من الخطورة. بل هو يستجيب لأحاسيسه، وينقاد لمشاعره، وأهوائه.

والأغرب من ذلك: أن هؤلاء الناس قد سمعوا حجة دريد بن الصمة على مالك بن عوف.. وكانت حجة قوية، ومرضية، وسمعوا أيضاً جواب مالك عليها، الذي كان مجرد إصرار على رأي ظهر خطؤه، وقد صاحب إصراره هذا الضحك الإزدرائي وحفنة من الشتائم، حيث اعتبره إنساناً قد كبر، وكبر علمه، فأصبح هرم الجسم والعلم والعقل.. فهو يتكلم بما ربما

يصنف في دائرة الخرف والإختلال، أو التدني في مستوى الإدراك والوعي للأمور..

الإستطلاع.. والتثبت:

عن جابر بن عبد الله، وعمرو بن شعيب، وعبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما سمع بخبر هوازن بعث عبد الله بن أبي حدرد، فأمره أن يدخل في القوم فيقيم فيهم، وقال: «إعلم لنا علمهم».

فأتاهم، فدخل فيهم، فأقام فيهم يوماً وليلة، أو يومين، حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا عليه من حرب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وسمع من مالك، وأمر هوازن، وما هم عليه[1].

وعند محمد بن عمر: أنه انتهى إلى خباء مالك بن عوف، فيجد عنده رؤساء هوازن، فسمعه يقول لأصحابه: إن محمداً لم يقاتل قوماً قط قبل هذه المرة، وإنما كان يلقى قوماً أغماراً لا علم لهم بالحرب، فيظهر عليهم، فإذا

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٣ عن ابن إسحاق، والبداية والنهاية ج٤ ص٣٧٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٨٩١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦١٣ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٤٦ وعن عيون الأثر ج٢ ص٢١٤ و ٢١٥ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠٠ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٠٧ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٠٨ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٧٢ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٤٨ و ٤٩ ومعجم قبائل العرب ج٢ ص٨٣٣.

كان السحر فصُفُّوا مواشيكم ونساءكم من ورائكم، ثم صفوا، ثم تكون الحملة منكم، واكسروا جفون سيوفكم، فتلقونه بعشرين ألف سيف مكسورة الجفون، واحملوا حملة رجل واحد، واعلموا أن الغلبة لمن حمل أولاً. انتهى(١).

ثم أقبل حتى أتى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأخبره الخبر، فقال: رسول الله «صلى الله عليه وآله» لعمر بن الخطاب: «ألا تسمع ما يقول ابن أبي حدرد»؟

فقال عمر: كذب.

فقال ابن أبي حدرد: والله لئن كذبتني يا عمر لربما كذبت بالحق.

فقال عمر: ألا تسمع يا رسول الله ما يقول ابن أبي حدرد؟

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: قد «كنت ضالاً فهداك الله»(٢).

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٣ عن الواقدي، وراجع: البحار ج٢١ ص١٤٩ و ١٦٤ ـ ١٦٥وتفسير القمي ج١ ص٢٨٦ ـ ٢٨٧ وراجع: إعلام الورى ص١٢٠ والمغازي للواقدي ج٣ ص٨٩٣ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٠٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٣ وإعلام الورى ص١٢٠ والبحار ج٢١ ص١٦٥ والمغازي للواقدي ج٣ ص٨٩٣ وراجع: السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٨٦ و ٨٢ و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ص٨٩١ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٥٠ والمواهب اللدنية ج١ ص١٦١ وعن السيرة الحلبية ج٣ ص١٠٧ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٤٧٥ و (ط دار الكتاب العربي) ج٢ ص٥٧٢ وأسد الغابة ج٣ ص١٤١ وشرح المواهب اللدنية ج٣ ص٢ والبداية=

(زاد الطبرسي قوله: وابن أبي حدرد صادق)[1].

ماذا يريد الرسول ' من ابن أبي حدرد؟!:

١ ـ إننا لسنا بحاجة للتذكير بأهمية الإستخبارات في إنجاح أي عمل عسكري ضد العدو، ولذلك رأينا: أنه حين علم «صلى الله عليه وآله» بأمر هوازن كان أول عمل قام به هو إرسال العيون لمعرفة نواياهم الحقيقية في أمر الحرب والسلم من جهة، ثم معرفة الخطة التي سيعتمدونها في حربهم، فيما لو كان قرارهم هو إثارة الحرب ضد المسلمين من جهة أخرى.

٢ ـ ثم إن هذا التروّي، وعدم التسرع في اتخاذ القرار بجرد وصول الخبر عن جمع هوازن، يدخل في دائرة الإنصاف للآخرين، والشعور بالمسؤولية، وتحاشي القيام بأي عمل حربي ضدهم، أو أي عمل إيذائي مهما كان نوعه قبل التأكد من صحة الأخبار الواصلة..

٣ ـ ويثير الإنتباه هنا: التعبير الذي اختاره «صلى الله عليه وآله» وهو يصدر أمره لابن أبي حدرد، حيث قال له «صلى الله عليه وآله»: «إعلم لنا علمهم».

فالمهمة إذن هي: أن ينوب عن النبي «صلى الله عليه وآله» في تحصيل

= والنهاية ج٤ ص٣٧١ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠٠ والتراتيب الإدارية ج١ ص٣٦٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦١٣ و ٦١٤ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٤٦.

(١) إعلام الورى ص١٢٠ و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج١ ص٢٢٩ والبحار ج٢١ ص١٦٥.

العلم بالمطلوب.

٤ ـ ومتعلق العلم الذي يريده «صلى الله عليه وآله» من ابن أبي حدرد هو أيضاً نفس علمهم، أي أنه يريد منه أن لا يكتفي بالحدسيات، وبالإمارات والقرائن، ولا بالظنون مهما بلغت قوتها.. ولا بالاستنتاجات المستندة إلى الإجتهاد، بل المطلوب هو: أن يصبح علمه بما عزموا عليه هو نفس علمهم. وكأنه ينقل إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفس علمهم.

وهذا غاية في الإحتياط، ومنتهى في الدقة.

موقف عمر من ابن أبي حدرد:

ولا ندري السبب في هذا الموقف الغريب والعجيب، الذي اتخذه عمر بن الخطاب من ابن أبي حدرد!! فإن هذه القضية قد حملت معها الكثير من الدلالات اللافتة والمثيرة.. ونستطيع أن نشير هنا إلى الأمور التالية:

الأمر الأول: سؤال النبي ' :

فقد لاحظنا: أنه «صلى الله عليه وآله» بعد أن سمع ما نقله ابن أبي حدرد عن مالك بن عوف، قال لعمر: ألا تسمع ما يقول ابن أبي حدرد؟

وقد يكون التفسير الطبيعي لهذا السؤال هو: أنه «صلى الله عليه وآله» أراد توجيه عمر إلى خطة مالك بن عوف، التي رسمها لأصحابه لمهاجمة أهل الإسلام.

غير أنه يمكن أن يفسر ذلك بطريقة أخرى، وهي: أنه «صلى الله عليه وآله» أراد استدراج عمر، ليفصح عن دخيلة نفسه. وهذا ما حصل فعلاً.

الأمر الثاني: تكذيب عمر لابن أبي حدرد:

ثم جاءت إجابة عمر نشازاً، وهجينة في مضامينها، حين اتهم ابن ابي حدرد بالكذب. مع أن الله تعالى لم يطلعه على غيبه، كما أنه لم يكن يملك أي دليل يشير إلى كذب هذا الرجل.

إلا أن يكون لعمر بن الخطاب عيون قد حضروا نفس المجلس الذي حضره ابن أبي حدرد، ونقلوا له ما يدل على عدم صحة ما جاء به إلى النبي «صلى الله عليه وآله».

ولا نظن أن أحداً يرتضي حتى إبداء هذا الإحتمال، إلا في صورة واحدة، وهي أن يكون على علم بسوء سريرة عمر بن الخطاب، ويرى أنه يخطط، ويعمل بصورة مستقلة، ولحساب فريق آخر غير رسول الله «صلى الله عليه وآله» وجماعة المسلمين.

أو أنه يتهم عمر بأنه يمالئ مشركي هوازن، ويتصل بهم، وينسق معهم، ويريد بموقفه هذا تعمية الأمور على النبي «صلى الله عليه وآله»، والتستر عليهم عنده، لتمكينهم من إيراد ضربتهم بأهل الإسلام. أو حفظهم، ودفع الأخطار عنهم، ما وجد إلى ذلك سبيلاً.

وهذه احتمالات خطيرة، ولا يمكن البخوع لها والتسليم بها، إذا لم تدعمها الأدلة الدامغة، والشواهد الواضحة.

الأمر الثالث: لربما كذبت بالحق:

وأما جواب ابن ابي حدرد لعمر بقوله: لربما كذبت بالحق. ثم تفسير النبي «صلى الله عليه وآله» لذلك: بأنه قد كان ضالاً فهداه الله.. فهو غير

ظاهر الوجه، ويصعب الإطمئنان إلى عدم عروض التحريف له.. لأن ابن أبي حدرد يريد أن يرد الاتهام بمثله، والتكذيب بالحق أيام الضلال مما لا يختص بعمر، بل هو حال عامة الناس آنئذٍ.

وعمر إنما نسب إلى ابن أبي حدرد الكذب في نفس مقامه، وعين كلامه، فالمناسب أن يكون رد ابن أبي حدرد عليه هو نسبة الكذب إليه بنفس المستوى، وفي نفس ذلك المقام.

بل إن المناسب هو: أن يستبدل كلمة «لربما» بكلمة «لطالما» كما هو المتوقع في أمثال هذه المواقف.. ولعل محبي عمر استبدلوا هذه بتلك للإبقاء على مقام عمر وهيبته

غير أن بالإمكان دفع هذه الإحتمالات بأن مقصود ابن أبي حدرد بكلامه هذا هو: أن حكم عمر بكذب ابن أبي حدرد في هذا المورد ربما يكون تكذيباً بالحق..

ولكن يرد على هذا: أنه يخالف التوجيه الذي نسبوه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» في جوابه لعمر، وهو قوله: «قد كنت ضالاً فهداك الله»..

كما أن ذلك لا يصحح اعتراض عمر، واستنجاده برسول الله «صلى الله عليه وآله».

ولا يبرر نجدة رسول الله «صلى الله عليه وآله» له بهذا الكلام المنسوب إليه «صلى الله عليه وآله».

ولو كان هذا مقصود ابن أبي حدرد لكان عمر قد فهم كلام ابن أبي حدرد، ولم يكن معنى لأن يتوجه عمر بشكواه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» من الأساس ولا أن يظهر كأنه يدعو النبي «صلى الله عليه وآله»

للإنتصار له.

وليس ثمة ما يبرر الشكوى أو الاستنصار.

كما أنه لم يكن هناك ضرورة للتفسير من قبل النبي «صلى الله عليه وآله»..

الأمر الرابع: صدق أبي حدرد:

وقد انتهى الأمر بإعلان النبي «صلى الله عليه وآله» صدق ابن أبي حدرد في أقواله.

حيث أضاف «صلى الله عليه وآله» قوله: «وابن أبي حدرد صادق».

وهذا في حد ذاته يعتبر إدانة لعمر، وتكذيباً له، بل هو تأييد لقول ابن أبي حدرد: على رواية «لربما كذبت بالحق» إذا كان مقصوده: أن تكذيبك لي في هذا المورد ربما يكون تكذيباً بالحق.. والنبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» قد أكد صحة ذلك..

فإذا كان صادقاً، فلماذا لم يبادر النبي «صلى الله عليه وآله» إلى تأنيب عمر على نسبته إلى الكذب؟! فإن هذا هو المتوقع من النبي الكريم «صلى الله عليه وآله» في مثل هذه الحالات، إلا إذا فرض: أن ثمة ما يمنع من الزيادة على هذا، والله هو العالم بالحقائق.

الأمر الخامس: لماذا الحذف؟!:

وقد لاحظنا: أن أكثر نقلة هذه القضية يقتصرون على بعض فقراتها، ويحذفون سائرها.. خصوصاً حينما يصل الأمر إلى عمر وموقفه، وما جرى، مع أنهم يلاحقون الواو والفاء، والباء، والتاء حين يكون هناك ما يحتملون فيه أدنى تأييد له.. فراجع على سبيل المثال السيرة الحلبية، والإصابة، وأسد

الغابة.. وغير ذلك من مصادر..

أليس هذا من أجلى مصاديق القول المعروف: «حبك الشيء يعمى ويصم»؟!.

أعاذنا الله من الزلل والخطل في الفكر، وفي القول، وفي العمل، إنه ولي قدير، وبالإجابة جدير..

الفصل الثاني:

الجيشان إلى حنين

الإستعداد للمسير وعقد الألوية:

ويلاحظ: أن المؤرخين لا يجرؤون على ذكر صاحب لواء رسول الله «صلى الله عليه وآله» في هذه الغزوة، ولكن القمي «رحمه الله»، لم يهمل الروايات المصرحة باسمه، فجهر بالحق، ولم يبالِ بالأخطار التي أدناها الاتهام بالزندقة، والخروج عن الدين، فهو يقول:

«بلغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» اجتماع هوزان بأوطاس، فجمع القبائل، ورغَّبهم في الجهاد، ووعدهم النصر، وأن الله قد وعده أن يغنمه أموالهم، ونساءهم، وذراريهم.

فرغب الناس، وخرجوا على راياتهم، وعقد اللواء الأكبر، ودفعه إلى أمير المؤمنين «عليه السلام». وكل من دخل مكة براية، أمره أن يحملها. وخرج في اثني عشر ألف رجل، عشرة آلاف ممن كانوا معه»[1].

---

(١) البحار ج٢١ ص١٤٧ و ١٤٩ و ١٥٥ و ١٦٥ وتفسير القمي ج١ ص٢٨٦ والبرهان (تفسير) ج٢ ص١١٣ ونور الثقلين ج٢ ص١٩٩وإعلام الورى ج١ ص٢٢٨ وراجع: الإرشاد للمفيد ج١ ص١٤٠ وتحفة الأحوذي ج٥ ص١٣٩ والتفسير الأصفى ج١ ص٤٥٩ والتفسير الصافي ج٢ ص٣٣٠ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص١٠٦ وتفسير جوامع الجامع للطبرسي ج٢ ص٥٥ وجامع =

وقيل: عشرة آلاف[١].

وقيل: أحد عشر ألفاً[٢].

وقيل: أحد عشر ألفاً وخمس مائة[٣].

وقيل: أربعة عشر ألفاً[٤].

وقيل: ستة عشر ألفاً[٥]. فيهم ثمانون من المشركين من أهل مكة منهم صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو[٦].

ونلاحظ هنا ما يلي:

أولاً: إنه «صلى الله عليه وآله» ـ وفق هذا النص ـ قد أخبر الناس بنتائج

= البيان ج١٠ ص١٣٠ وكشف الغمة ج١ ص٢٢٠ و ٢٢١ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٤١ وشجرة طوبى ج٢ ص٣٠٧ وزاد المسير ج٣ ص٢٨١ وتفسير القرطبي ج٨ ص١٠٠ وتفسير البحر المحيط ج٥ ص٢٥ فتح القدير ج٢ ص٣٤٨.

(١) زاد المسير ج٣ ص٢٨١.

(٢) فتح القدير ج٢ ص٣٤٨.

(٣) راجع: تفسير الثعلبي ج٥ ص٢٢ وزاد المسير ج٣ ص٢٨١ عن مقاتل وتفسير القرطبي ج٨ ص١٠٠ وتفسير البحر المحيط ج٥ ص٢٥.

(٤) راجع: تفسير البحر المحيط ج٥ ص٢٥.

(٥) فتح القدير ج٢ ص٣٤٨ وزاد المسير ج٣ ص٢٨١ وتفسير القرطبي ج٨ ص١٠٠ وتفسير البحر المحيط ج٥ ص٢٥.

(٦) تاريخ الخميس ج٢ ص١٠٠ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٠٩ وراجع: إمتاع الأسماع ج٨ ص٣٨٩ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٦٤.

تلك الحرب مسبقاً. ولعل ذلك يرجع لعدة أسباب:

أحدها: أن يرغِّب الناس في الخروج إلى الحرب..

الثاني: أن يكون ذلك من أسباب الربط على قلوبهم، وتأكيد اليقين لديهم بصحبة النبوة..

الثالث: أن يثقوا برعاية الله تعالى لهم، ولطفه بهم..

الرابع: أن يعرف الناس، ويميز أهل اليقين، والصادقين في إيمانهم عن غيرهم من المدَّعين غير الصادقين.

الخامس: أن يدلهم ما جرى من الهزيمة الشاملة، ثم النصر العتيد الذي يأتي بعدها بسيف علي «عليه السلام» على: أن ذلك كان بعلم الله، وأن الذي تحقق لم يكن عن استحقاق منهم، بل هو أمر صنعه الله لوليه ووصي رسوله «صلى الله عليه وآله»، وأنهم إنما ينعمون بفواضله، ويستفيدون من ثمار جهده وجهاده، فالغنائم ليست لهم، وكذلك السبايا والأسرى، فإذا قسمها رسول الله «صلى الله عليه وآله» على من شاء من المؤلفة قلوبهم، فليس لأحد الحق في أن يعترض بشيء، وليس له أن يتوهم أن له نصيباً أو حقاً فيها.. بل هي لخصوص صانع النصر، ألا وهو علي بن أبي طالب «صلوات الله وسلامه عليه»..

عقد الألوية:

زعموا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» عقد الألوية ليلة حرب حنين في وقت السحر، «فدفع لواء المهاجرين إلى عمر بن الخطاب، ولواء إلى علي بن أبي طالب، ولواء إلى سعد بن أبي وقاص، ولواء الأوس إلى أسيد بن

حضير، ولواء الخزرج إلى حباب بن المنذر، وآخر إلى سعد بن عبادة.

وقيل: كان لكل من الأوس والخزرج لواء في تلك الغزوة، ولكل قبيلة من القبائل التي كانت معه لواء، ثم ركب «صلى الله عليه وآله» بغلته الخ..»[1].

وفي سيرة الدمياطي: في كل بطن من الأوس والخزرج لواء وراية يحملها رجل منهم[2].

ونقول:

قد تقدم: أن اللواء الأكبر كان مع علي «عليه السلام»، ولكن هؤلاء يحاولون الكيد لعلي «عليه السلام»، والتشكيك بما له من فضائل وكرامات بهذه الطريقة الغبية والمفضوحة، فنحن نسجل هنا ما يلي:

١ ـ إنهم هم أنفسهم يقولون: إنه «صلى الله عليه وآله» قد أعطى لواء المهاجرين لعلي «عليه السلام»، وأعطى راية لعمر بن الخطاب[3].

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص١٠١ السيرة الحلبية ج٣ ص١٠٧ و (ط دار المعرفة) ص٦٤ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٠٩ وراجع: الطبقات الكبرى ج٢ ص١٥٠ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٧٩ وإمتاع الأسماع ج٢ ص١٢ وج٧ ص١٧٠.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص١٠٧ و (ط دار المعرفة) ص٦٤، وراجع: الطبقات الكبرى ج٢ ص١٥٠.

(٣) السيرة الحلبية ج٣ ص١٠٧ و (ط دار المعرفة) ص٦٤ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٠٩ وراجع: الطبقات الكبرى ج٢ ص١٥٠ وإمتاع الأسماع ج٧ ص١٧٠.

إنه لا شك في كذب هذه الإدعاءات، فالألوية إنما تعطى للشجعان الأكفاء، ولم يظهر من عمر بن الخطاب ما يدل على ذلك، بل ظهر منه عكسه في كثير من المقامات التي انهزم فيها.

٢ ـ إن عامة المؤرخين، والمصنفين في السيرة النبوية لا يجرؤن على التصريح باسم حامل اللواء الأكبر في هذه الحرب الهائلة، وأنه علي «عليه السلام». وهذا يرجع إلى أن لدى الحكام، وكل من يدور في فلكهم من وعاظ السلاطين، وسائر الناس ـ والناس على دين ملوكهم ـ حساسية كبيرة من ذكر أي شيء يرتبط بعلي «عليه السلام»، أو يشير إلى فضله، ومناقبه ومقاماته..

ولعل تصريح المصادر الكثيرة: بأنه «عليه السلام» كان حامل لواء رسول الله «صلى الله عليه وآله» في بدر، وفي كل مشهد جعلهم يكتفون بذلك، ويعتبرون: أن هذه التصريحات تبرِّئ ذمتهم، وتدفع عنهم الإحراجات التي يخشون التعرض لها من التصريح بهذا الأمر في كل غزوة، ومقام ، ومشهد، فلا ضير إذا أهملوا ذلك واكتفوا به عن التصريح المتعاقب والمتوالي في كل مرة.

وقد غاب عنهم: أن هذا التصرف منهم قد أفسح المجال للحاقدين، والمصطادين بالماء العكر لمحاولة تزوير الحقائق، وإطلاق ادِّعاءات تجانب الواقع والحقيقة في المواقف المختلفة، فزعموا في حرب حنين: أنه «صلى الله عليه وآله» أعطى لواء المهاجرين لعمر بن الخطاب، وأن علياً صلوات الله وسلامه عليه كان يحمل لواء من ألوية المهاجرين، وأعطى «صلى الله عليه وآله» راية لسعد وراية لعمر. ثم أعطى لواء الخزرج لحباب بن المنذر، ولواء

الأوس لأسيد بن خضير.

نقول:

إن ذلك لا يصح، لأن لواء الجيش كله كان مع علي. ولا يمنع أن يكون معه لواء المهاجرين أيضاً.

ويدل على ذلك:

١ ـ إنهم يقولون: إنه «عليه السلام» كان صاحب لواء رسول الله «صلى الله عليه وآله» في بدر، وفي كل مشهد[1].

٢ ـ عن ابن عباس، قال: لعلي بن أبي طالب «عليه السلام» أربع ما هنّ لأحد: هو أول عربي وعجمي صلى مع رسول الله «صلى الله عليه وآله». وهو صاحب لوائه في كل زحف. وهو الذي ثبت معه يوم المهراس (أي يوم أحد)؛ وفرَّ الناس. وهو الذي أدخله قبره[2].

---

(١) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام»، من تاريخ ابن عساكر (بتحقيق المحمودي) ج١ ص١٤٥ وتاريخ مدينة دمشق (ط دار الفكر) ج٤٢ ص٧٤ وذخائر العقبى ص٧٥ عن أحمد في المناقب، والطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج٣ ق١ ص١٤ و (ط دار صادر) ج٣ ص٢٣ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٣ ص٦٢٥ وكفاية الطالب ص٣٣٦ عنه، وفي هامشه عن: كنز العمال ج٦ ص٣٩٨ عن الطبراني، والرياض النضرة ج٢ ص٢٠٢ وقال: أخرجه نظام الملك في أماليه. وراجع: فضائل الصحابة لابن حنبل ج٢ ص٦٥٠ و ١١٠٦ عن ابن عباس، والحكم، وشرح إحقاق الحق ج٨ ص٥٢٨ وج٣٠ ص٢٢٠ وج٣٢ ص٢٤.

(٢) مستدرك الحاكم ج٣ ص١١١ وتلخيصه للذهبي بهامشه، ومناقب الخوارزمي ص٢١ و ٢٢ وإرشاد المفيد ص٤٨ و (ط دار المفيد) ج١ ص٧٩ وذخائر العقبى=

٣ ـ عن ابن عباس: كان علي «عليه السلام» أخذ راية رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم بدر.

قال [الحكم] الحاكم: وفي المشاهد كلها[1].

٤ ـ وعن مالك بن دينار: سألت سعيد بن جبير وإخوانه من القراء: من كان حامل راية رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟

قالوا: كان حاملها علي (رض)[2].

= ص٨٦ والبحار ج٢٠ ص٨١ وج٣٨ ص٢٤٠ و ٢٥٦ وتيسير المطالب ص٤٩ ومناقب أهل البيت للشيرواني ص٣٩ والإستيعاب ج٣ ص١٠٩٠ وشرح النهج ج٤ ص١١٧ ونظم درر السمطين ص١٣٤ وشواهد التنزيل ج١ ص١١٨ والإكمال في أسماء الرجال ص١٢٧ وأبو هريرة للسيد شرف الدين ص١٣٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٧٢ وتهذيب الكمال ج٢٠ ص٤٨٠ والوافي بالوفيات ج٢١ ص١٧٨ وأعيان الشيعة ج١ ص٣٣٥ والمناقب للخوارزمي ص٥٨ وكشف الغمة ج١ ص٧٩ و ١٩٠ والعدد القوية ص٢٤٤ والنصائح الكافية ص٢٣٧ وبناء المقالة الفاطمية للسيد ابن طاووس ص١٣٣ ومنهاج الكرامة ص٩٥ وغاية المرام ج٥ ص١٧٥ وشرح إحقاق الحق ج٤ ص٤٥٤ و ٤٥٥ وج١٥ ص٤٣٠ و ٦٥٤ وج٢٠ ص٤٥٧ وج٢٢ ص١٤٦ وج٢٣ ص٥٠٩ وج٣١ ص٢٩٦ و ٦٠٤.

(١) ذخائر العقبى ص٧٥ والرياض النضرة المجلد الثاني ج٤ ص١٥٦ وينابيع المودة ج٢ ص١٦٦ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج١ ص١٨٩ وشرح إحقاق الحق ج٨ ص٥٢٧ وج٣٠ ص٢٢١ وراجع: الكامل لابن عدي ج١ ص٢٤٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٧٢ .

(٢) ذخائر العقبى ص٧٥ وينابيع المودة ج٢ ص١٦٧ وشرح إحقاق الحق ج٤ ص٢٦٩ وج١٥ ص٥٥٠ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص٨٥ والبحار ج٤٢ ص٦٠ .

وفي نص آخر: أنه لما سأل مالك سعيد بن جبير عن ذلك غضب سعيد، فشكاه مالك إلى إخوانه من القرّاء، فعرّفوه: أنه خائف من الحجاج.

فعاد وسأله، فقال: كان حاملها علي (رض).

هكذا سمعت من عبد الله بن عباس[١].

وفي نص آخر عن مالك بن دينار، قال: قلت لسعيد بن جبير: من كان صاحب راية رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟

قال: إنك لرخو اللبب.

فقال لي معبد الجهني: أنا أخبرك. كان يحملها في المسير ابن ميسرة العبسي، فإذا كان القتال؛ أخذها علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٢].

٥ ـ عن جابر: قالوا: يا رسول الله، من يحمل رايتك يوم القيامة؟

---

(١) راجع: مستدرك الحاكم ج٣ ص١٣٧ وصححه، وقال: له شاهد من حديث زنفل العرفي، وفيه طول فلم يخرجه الحاكم، وأعيان الشيعة ج١ ص٣٣٧ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ لمحمد الريشهري ج١١ ص٣٤٥ ومناقب الخوارزمي ص٢٥٨ و ٢٥٩ و (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ص٣٥٨، وشرح إحقاق الحق ج٤ ص٢٦٩ وج٨ ص٥٢٤ وج١٥ ص٥٤٩ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص٨٥ والبحار ج٤٢ ص٦٠ وغاية المرام ج٧ ص٥١.

(٢) الطبقات الكبرى (ط ليدن) ج٣ ق١ ص١٥ و (ط دار صادر) ج٣ ص٢٥ ومستدرك الحاكم ج٣ ص١١١ وتلخيصه للذهبي بهامشه، ومناقب الخوارزمي ص٢١ و ٢٢ والإرشاد للمفيد ص٤٨ وتيسير المطالب ص ٤٩ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ لمحمد الريشهري ج٩ ص٤٣٧ وشرح إحقاق الحق ج٨ ص٥٢٤ وج٣٢ ص٣٤٣.

قال: من عسى أن يحملها يوم القيامة، إلا من كان يحملها في الدنيا، علي بن أبي طالب؟!(١).

وفي نص آخر: عبر باللواء بدل الراية(٢).

٦ ـ وحينما مرّ سعد بن أبي وقاص برجل يشتم علياً «عليه السلام»،

---

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج٣ ص٢٧ والبحار ج٣٩ ص٢١٣ ومناقب أمير المؤمنين للكوفي ج١ ص٢٩١ و ٥١٥ وج٢ ص٤٩٨ والمعجم الكبير للطبراني ج٢ ص٢٤٧ والإكمال في أسماء الرجال ص٣٤ وقاموس الرجال ج١٠ ص٣٣٤ وكتاب المجروحين لابن حبان ج٣ ص٥٤ والكامل لابن عدي ج٧ ص٤٧ والمسترشد للطبري هامش ص٣٣٤ والإحتجاج للطبرسي هامش ص١٨٠ والرياض النضرة المجلد الثاني ج٣ ص١٧٢ عن نظام الملك في أماليه، وكفاية الطالب ص٣٣٦، وقال: ذكره محدث الشام ـ أي ابن عساكر ـ في ترجمة علي «عليه السلام» من كتابه بطرق شتى عن جابر، وعن أنس، وكنز العمال ج١٣ ص١٣٦ ومناقب أمير المؤمنين «عليه السلام» لابن المغازلي ص٢٠٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٧٤ و ٧٥ والموضوعات ج١ ص١٦ و ٣٨٨ وميزان الإعتدال ج٤ ص٢٤٠ والبداية والنهاية ج٧ ص٣٧١ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج١ ص١٨٢ وعمدة القاري ج١٦ ص٢١٦ ومناقب الخوارزمي ص٣٥٨ وشرح إحقاق الحق ج١٥ ص٥٥٢ و ٥٥٣ وج٢٣ ص٢٩٧ وج٣٠ ص٢٢٤ وحديث خيثمة ص١٩٩ وتنبيه الغافلين ص١٩.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٧٥ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ لمحمد الريشهري ج٨ ص١٤٩ وشرح إحقاق الحق ج١٥ ص٥٥٧.

والناس حوله في المدينة، وقف عليه، وقال: يا هذا! علامَ تشتم علي بن أبي طالب؟

ألم يكن أول من أسلم؟

ألم يكن أول من صلى مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟

ألم يكن أزهد الناس؟

ألم يكن أعلم الناس؟

وذكر حتى قال: ألم يكن صاحب راية رسول الله «صلى الله عليه وآله» في غزواته؟[1].

وظاهر كلامه هذا: أن ذلك كان من مختصاته صلوات الله وسلامه عليه.

٧ ـ عن مقسم: إن راية النبي «صلى الله عليه وآله» كانت تكون مع علي بن أبي طالب «عليه السلام»، وراية الأنصار مع سعد بن عبادة، وكان إذا

---

(١) شرح الأخبار ج٢ ص٥٤٢ والإكمال في أسماء الرجال للخطيب التبريزي ص٧٨ وإمتاع الأسماع ج١٢ ص٣٥ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ لمحمد الريشهري ج٨ ص٣٢١ وشرح إحقاق الحق ج١٨ ص٢٠٣ ومناقب أمير المؤمنين للكوفي ص٢٩١ ومستدرك الحاكم ج٣ ص٥٠٠ وصححه على شرط الشيخين هو والذهبي في تلخيص المستدرك، وحياة الصحابة ج٢ ص٥١٤ و ٥١٥. وأظن أن القضية كانت مع سعد بن مالك أبي سعيد الخدري، لأن سعد بن أبي وقاص كان منحرفاً عن أمير المؤمنين «عليه السلام». ويشير إلى ذلك ما ذكره الحاكم في مستدركه ج٣ ص٤٩٩ من أن أبا سعيد قد دعا على من كان ينتقص علياً «عليه السلام» فاستجاب الله له.

استعر القتال كان النبي «صلى الله عليه وآله» مما يكون تحت راية الأنصار[١].

٨ ـ عن عامر: إن راية النبي «صلى الله عليه وآله» كانت تكون مع علي بن أبي طالب «عليه السلام»، وكانت في الأنصار حيثما تولوا[٢].

وقد يناقش في هذين النصين الواردين تحت رقم (٧) و (٨) بأنهما فيما يبدو يرجعان إلى نص واحد وهو المروي عن ابن عباس[٣] بواسطة عامر تارة ومقسم أخرى وعامر عن مقسم ثالثة، وكلاهما عن ابن عباس في مورد رابع. وقد يظهر لنا من كل ذلك أنها رواية واحدة اكتفى الراوون بذكر واحد ممن رأوه هو الأشهر والأذكر بنظرهم.

وفي جميع الأحوال نقول:

قد يقال: إن هذه الرواية أو الروايتين لا تدلّان على أن الراية كانت دائماً مع علي «عليه السلام» بصورة أكيدة وصريحة، لكن الإنصاف هو: أن ظاهرهما ذلك. ولكن تبقى هذه رواية شاذة لا عبرة بها إذا قورنت بذلك السيل الهائل من الروايات الصحيحة والصريحة في خلاف ذلك كما هو ظاهر.

---

(١) المصنف للصنعاني ج٥ ص٢٨٨، والتاريخ الكبير ج٦ ص٢٥٨ وشرح إحقاق الحق ج٨ ص٥٢٧ وج٢٠ ص٥٢٩ و ٣٣٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٠ ص٢٤٩ وسير أعلام ج١ ص٢٧٣ وراجع: فتح الباري ج٦ ص٨٩ عن أحمد، عن ابن عباس بإسناد قوي.

(٢) المصنف للصنعاني ج٥ ص٢٨٨ وشرح إحقاق الحق ج٢٠ ص٥٣٠

(٣) مجمع الزوائد ج٥ ص٣٢١ وراجع: فتح الباري ج٦ ص٨٩ والتاريخ الكبير ج٦ ص٢٥٨ وسبل الهدى والرشاد ج٧ ص٣٧١ و ٣٧٢ وج٩ ص١٠٩ وشرح إحقاق الحق ج٨ ص٥٢٦ .

٩ ـ عن ثعلبة بن أبي مالك، قال: كان سعد بن عبادة صاحب راية رسول الله «صلى الله عليه وآله» في المواطن كلها؛ فإذا كان وقت القتال أخذها علي بن أبي طالب(١).

١٠ ـ قال ابن حمزة: «وهل نقل أحد من أهل العلم: أن علياً كان في جيش إلا وهو أميره»؟(٢).

١١ ـ وفي حديث المناشدة: أن علياً «عليه السلام» قال: نشدتكم الله، هل فيكم أحد صاحب راية رسول الله «صلى الله عليه وآله» منذ يوم بعثه الله إلى يوم قبضه، غيري؟!

قالوا: اللهم لا(٣).

عتاب أمير مكة:

قالوا: لما بلغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» خبر هوازن وما عزموا عليه، أراد التوجه لقتالهم، واستخلف عتاب بن أسيد أميراً على أهل مكة، ومعاذ بن جبل (إماماً بها، وفقيهاً فيها) يعلمهم السنن والفقه، وكان عمر عتاب إذ ذاك قريباً من عشرين سنة(٤).

---

(١) أسد الغابة ج٤ ص٢٠ وأنساب الأشراف ج٢ ص١٠٦ لكن فيه: ميسرة العبسي بدل سعد بن عبادة، وراجع: شرح إحقاق الحق ج٨ ص٥٢٥.

(٢) الشافي لابن حمزة ج٤ ص١٦٤.

(٣) المسترشد في إمامة علي بن أبي طالب «عليه السلام» ص٥٧ و (ط سنة ١٤١٥قم) ص٣٣٤.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٢ و ٤٠٦ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار =

ونقول:

قد تقدم الحديث عن عتاب بن أسيد واستخلافه على مكة، وعن إبقاء معاذ بن جبل معه، ليعلمهم بعض الأحكام والسنن.

وقد بينا هناك بعض ما يفيد في معرفة ما يرمي إليه النبي «صلى الله عليه وآله» من هذا الإختيار وذاك..

إستعارة السلاح من المشركين:

عن جابر بن عبد الله، وعمرو بن شعيب، وعبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم، والزهري، وعن أمية بن سفيان: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما أجمع السير إلى هوازن ذكر له: أن عند صفوان بن أمية أدرعاً وسلاحاً، فأرسل إليه ـ وهو يومئذٍ مشرك ـ فقال: «يا أبا أمية أعرنا سلاحك هذا نلقى فيه عدونا».

فقال صفوان: أغصباً يا محمد؟

قال: «لا، بل عارية مضمونة حتى نردها إليك».

قال: ليس بهذا بأس، فأعطى له مائة درع بما يكفيها من السلاح، فسأله رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يكفيهم حملها، فحملها إلى أوطاس(١).

= المعرفة) ج٢ ص١٠٨ وراجع: إعلام الورى ص١٢٨ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠٠ والبحار ج٢١ ص١٧٤ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٤٨ و ٤٩ وإمتاع الأسماع ج٢ ص١٠ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٣٧ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٧٨ .

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٢ عن ابن إسحاق، وأحمد، وأبي داود، =

ويقال: إنه «صلى الله عليه وآله» استعار منه أربعمائة درع بها يصلحها[١].

وزعم بعضهم: أن بعض تلك الأدرع فُقد، فأراد النبي «صلى الله عليه وآله» أن يضمنها له، فأبى بعد إسلامه، وقال: «أنا اليوم في الإسلام يا رسول الله أرغب»[٢].

قالوا: واستعار رسول الله «صلى الله عليه وآله» في غزوة حنين أيضاً من نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ثلاثة آلاف رمح، فقال: «صلى الله

= والنسائي، وراجع: البداية والنهاية ج٤ ص٣٧٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٨٩١ والثقات لابن حبان ج٢ ص٦٦ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٤٦ والتنبيه والإشراف ص٢٣٤ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٦٢ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٧٩ وعيون الأثر ج٢ ص٢١٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦١٣ وإمتاع الأسماع ص١٠ وإعلام الورى ص١١٩ والبحار ج٢١ ص١٦٤ و ١٦٥ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠٠ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٠٧ و (ط دار المعرفة) ص٦٣ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٠٨ .

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٢ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٠٧ و (ط دار المعرفة) ص٦٣ وإمتاع الأسماع ص١٠ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٠٨ وتفسير القرطبي ج٨ ص٩٧.

(٢) السيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٠٨ وسبل السلام ج٣ ص٦٩ وتلخيص الحبير ج١١ ص٢١٠ ونيل الأوطار ج٦ ص٤١ ومسند أحمد ج٣ ص٤٠١ وج٦ ص٤٦٥ والسنن الكبرى للنسائي ج٣ ص٤١٠ وسنن الدارقطني ج٣ ص٣٥ وتنقيح التحقيق للذهبي ج٢ ص١٢١ وأضواء البيان للشنقيطي ج٩ ص١٢٣ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٧١ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦١٤ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ص٦٣.

عليه وآله»: كأني أنظر إلى رماحك هذه تقصف ظهر المشركين[١].

ونقول:

قد يقال: ما هو السبب في استعارة النبي «صلى الله عليه وآله» درعاً من مشرك، وكذلك في اقتراضه أموالاً من المشركين في مكة، ومنهم صفوان بن أمية كما تقدم.

مع أن هذا الأمر لا يخلو من إحسان وتفضل من المعير بالنسبة للمستعير، وكان النبي «صلى الله عليه وآله» يطلب من الله: أن لا يجعل لكافر ولا مشرك عليه يداً يستحق أن يكافئه، أو أن يشكره عليها[٢].

ونقول في الجواب:

إن الإمتنان على الآخرين، إنما يصح لو كان لذلك المشرك مال يبذله، وعطاء يسديه، وأما إعطاء العبد لمالكه مالاً، فلا يعد تفضلاً، لأن العبد وما ملكت يداه لسيده ومولاه..

وصفوان بن أمية كان من مشركي مكة التي افتتحها رسول الله «صلى الله عليه وآله» عنوة، ومن دون قتال، لأن ما وقع من قتال لم يكن بأذن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بل كان منهياً عنه. فأصبح أهلها الذين

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٢ عن السهيلي، والسيرة الحلبية ج٣ ص١٠٧ و (ط دار المعرفة) ص٦٣ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٠٨. وراجع: المستدرك للحاكم ج٣ ص٢٤٦ والإستيعاب لابن عبد البر ج٤ ص١٥١٢ وقاموس الرجال ج١٠ ص٤١٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٤ ص٤٧ وأسد الغابة ج٥ ص٤٦ والمنتخب من ذيل المذيل ص١٠.

(٢) تقدمت مصادر ذلك في الحديث عن إيمان أبي طالب.

نابذوه وقاتلوه ملكاً له، يتصرف فيهم كيف يشاء، وأصبح مالهم ماله، فاستعارة الدروع من صفوان لا تجعل لصفوان يداً عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لأن صفوان ودروعه ملك له «صلى الله عليه وآله».

يضاف إلى ذلك: أنه قد يقال: إن اقتراضه «صلى الله عليه وآله» هذا لم يكن لاستفادته الشخصية، بل هو لأجل حفظ الدين والدفع عن المؤمنين، فليس لهم أن يمنّوا على شخص النبي «صلى الله عليه وآله» بما يعود نفعه لغيره.

فإن قلت: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد حرر أهل مكة، وقال لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء. فكانت الأموال لأهلها، فإن أعاروها له «صلى الله عليه وآله» كانت يداً لهم عنده.

ونجيب:

أولاً: إنه «صلى الله عليه وآله» قال لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء، ولم يقل لهم: اذهبوا فأنتم الأحرار. والطليق مقابل المقيد، والأسير. والعبد مقابل الحر.. وإطلاق الأسير يعطيه القدرة على التنقل والحركة، سواء أكان هذا الطليق عبداً أو حراً.

وإنما لم يقل لهم: اذهبوا فأنتم الأحرار، لإمكان أن يوهموا الناس بأن مقصود النبي «صلى الله عليه وآله» هو تقرير حقيقة ثابتة منذ الأزل. فاختيار كلمة: أنتم الطلقاء تعني من جهة: سبق العبودية لهم. وهي من جهة أخرى تبقي الأمر مؤرجحاً بين احتمالين:

أحدهما: أنه قد حررهم بنفس هذه الكلمة.

والثاني: أنهم لا زالوا على عبوديتهم، ولكنه يعطيهم الحرية في التصرف كتصرف الأحرار.

فمعاملتهم من قبل النبي «صلى الله عليه وآله» والأئمة، كما يعامل الأحرار لا ينافي ما قلناه.. لأنه يكون قد جاء على سبيل التفضل والتكرم، فإن للسيد أن يفسح المجال لعبده ليتملك، ويتزوج، ويبيع ويشتري، ولا يلزمه بالإستئذان منه في شيء من ذلك.. وإن انتهى الأمر بعد ذلك إلى صرف ذلك المالك نظره عن عبده هذا بالكلية، ليصبح طليقاً وحراً أيضاً..

أي أن حريته تتحقق بصرف النظر هذا، لا بكلمة: اذهب فأنت طليق..

وعلى هذا الأساس يصح من مالك ذلك العبد أن يقترض من عبده، وأن يرد إليه ما اقترضه منه.

ونلاحظ هنا: دقة وأهمية هذه السياسة النبوية مع أناس يعرف «صلى الله عليه وآله» أخلاقهم وطموحاتهم، ونفسياتهم، ويتوقع، بل ويعرف كيف سيكون موقفهم من هذا الإسلام، ومن رموزه الحقيقين، وهم علي وأهل بيته «عليهم السلام»، فأراد أن يبقي على هذا الشعور عندهم بحقيقة ما انتهى إليه أمرهم معه من خلال تذكيرهم بأنهم لا يستحقون إلا أن يكونوا أرقاء ويسجل ذلك للتاريخ وللأجيال..

نعود لنقول:

إن مكة لم تفتح عنوة، وخوف أهل مكة من الجيش المندفع إليها لا يجعلها مفتوحة بقوة السيف.. ولا نرى فرقاً بين أن تجتمع الجيوش في المدينة، فيخاف أهل مكة، ويعلنون استسلامهم، وبين أن تحضر الجيوش إلى محيط البلد، فيخاف أهلها، ويجنحون إلى الاستسلام، وبين أن يدخلها ذلك الجيش، فيخاف أهلها ويعزفزن عن القتال. ففي هذه الموارد كلها لا يقال: إن البلد قد فتحت عنوة..

وربما يشهد لكون مكة ملكاً لرسول الله «صلى الله عليه وآله»:

ما ورد في الروايات من كراهة تأجير بيوت مكة للحجاج، وأن يعلقوا عليها أبوباً، وأنه لا ينبغي أن يمنعوا الحاج شيئاً من الدور ينزلونها وأن للحجاج أن ينزلوا معهم في دورهم في ساحة الدار، حتى يقضوا مناسكهم، وأن أول من جعل لدور مكة أبواباً هو معاوية[1].

ثانياً: لو سلمنا: أن إطلاقهم يعني تحريرهم، لكن ذلك لا يخرج أموالهم عن كونها غنائم للفاتحين، ولا يعيدها إليهم إلا بإعطاء جديد وصريح.

ومجرد إغماض النظر عن المطالبة بتلك الأموال يكون منة أخرى له «صلى الله عليه وآله» عليهم، حيث إنه «صلى الله عليه وآله» أباح لهم التصرف بها، وإن لم يملّكهم إياها.

وربما يقال: إن هذه الأموال إن كانت غنائم، وكانت مكة قد فتحت عنوة، فمعنى ذلك: أنها ملك للفاتحين، وهم هذا الجيش الذي دخل مكة

____

(١) راجع النصوص في المصادر التالية: مسائل علي بن جعفر ص١٤٣ و ١٦٨ وقرب الإسناد ص٦٥ و ٥٢ والكافي ج١ ص٢٤٣ و ٢٤٤ وج٤ ص٢٤٣ و ٢٤٤ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص١٢٦ وتهذيب الأحكام ج٥ ص٤٢٠ و ٤٦٣ وعلل الشرايع ج١ ص٣٩٦ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٣ ص٢٦٧ ـ ٢٧٠ و (ط دار الإسلامية) ج٩ ص٣٦٧ و ٣٦٨ والبحار ج٣٣ ص١٧١ والتفسير الأصفى ج٢ ص٨٠٢ والتفسير الصافي ج٣ ص٣٧١ وتفسير نور الثقلين ج٣ ص٤٨١ والحدائق الناضرة ج١٧ ص٣٤٨ و ٣٤٩ وجواهر الكلام ج٢٠ ص٤٩ وجامع المدارك ج٢ ص٥٤٩ ومختلف الشيعة ج٤ ص٣٦٧ وجامع أحاديث الشيعة ج١٠ ص٩٩ و ١٠١ ومنتقى الجمان ج٣ ص٤٧٦.

كله، فما معنى أن يتصرف بها رسول الله «صلى الله عليه وآله» دونهم، وأن يعطيها لأهل مكة ليتصرفوا بها؟!

ونجيب: بأن فتحها عنوة إنما هو بمعنى أخذها قهراً عن أهلها، ولو بواسطة ما دخلهم من رعب حين رأوا ذلك الجيش.. فإذا لم يقع قتال واستسلم الناس لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإن أموالهم تكون خالصة له«صلى الله عليه وآله»، لا للمقاتلين، وفي هذه الحال يكون هو الذي يعطي ويهب، ويأذن بالتصرف، أو لا يأذن.

فالمراد بقوله: لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب: أنه مما لم يقاتل عليه.

وليس المراد: أنه لم تحضره الخيل والرجال.

وأما ما وقع من خالد بن الوليد، من قتال في مكة، فهو غير مشروع، لأن النبي «صلى الله عليه وآله»، لم يأذن به، بل هو قد نهى عنه..

ودعوى: أن دخول الجيوش إلى مكة، واستسلام أهلها خوفاً من تلك الجيوش لإحساسهم بالعجز عن مواجهتها، لا يوجب اعتبار مكة مفتوحة عنوة، كما أوضحناه فيما سبق، والتعبير بكلمة: «فتح» مكة لا يجدي في تغيير الحكم الذي يدور مدار فتحها نتيجة القتال..

تاريخ خروج النبي ' إلى حنين:

قال أهل المغازي: خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى حنين لست خلون من شهر شوال[1].

---

(١) السيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٠٨ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٤٦ وفتح الباري ج٨ ص٢١ والبحار ج٢١ ص١٨١ عن مجمع البيـان =

وقال ابن إسحاق: لخمس، وبه قال عروة، واختاره ابن جرير، وروي عن ابن مسعود[1].

وقيل: لليلتين بقيتا من شهر رمضان[2].

وجمع بعضهم بين القولين: بأنه «صلى الله عليه وآله» بدأ بالخروج من أواخر رمضان، وسار سادس شوال[3].

وكان وصوله في عاشره[4].

= ج٥ ص١٨ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٦٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦١٠ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ لمحمد الريشهري ج١ ص٢٥٥ ومعجم قبائل العرب ج٣ ص١٢٣٢ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٩ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٥٠ ودلائل النبوة للبيهقي ج٥ ص١٢٣ وعن أبي نعيم، وابن إسحاق، والواقدي، وابن سعد، وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠٠.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٤ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٦٩ و ٣٧١ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٤٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦١٠ و ٦١٥ وراجع: عمدة القاري ج١٢ ص١٣٦ .

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٤٦ وفتح الباري ج٨ ص٢١ والبحار ج٢١ ص١٨١ عن مجمع البيان ج٥ ص١٨ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٤٣ وشرح النهج للمعتزلي ج٨ ص١٣٣.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٤٦ وفتح الباري ج٨ ص٢١.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٤٦ وفتح الباري ج٨ ص٢١ وإمتاع الأسماع ج٢ ص١١ وج٨ ص٣٨٨ وأعيان الشيعة ج١ ص٣٧٩ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ لمحمد الريشهري ج١ ص٢٥٥.

وقد انتهى إلى حنين مساء ليلة الثلاثاء[1].

وقال الواقدي: إن ذلك كان يوم السبت[2].

ونقول:

إننا لا نستطيع أن نؤيد هذا الجمع بين القولين، فإنه «صلى الله عليه وآله» لا يحتاج إلى هذه المدة الطويلة التي تقرب من أسبوع أو أسبوعين، لتحريك قواته إلى المعسكر، مهما كان عدد تلك القوات كبيراً.

ولو صح ذلك، فهو يعني: وجود خلل كبير في حركته، من شأنه أن يسهِّل على أعدائه تسديد ضرباتهم القوية إلى الجيش، وإسقاط مقاومته.

ولكان نجاحه في حروبه غير منطقي، ولا مقبول، بل لا بد من اعتباره من خيالات الرواة والمحدثين.

خيف بني كنانة.. معسكر أهل الإيمان:

عن أبي هريرة: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: حين أراد حنيناً: «منزلنا غداً إن شاء الله تعالى بخيف بني كنانة، حيث تقاسموا على الكفر[3].

---

(1) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٦ و ٣١٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٥٠ وإمتاع الأسماع ج٢ ص١١ وأعيان الشيعة ج١ ص٣٧٩.

(2) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٥٠ وتهذيب المقال ج٣ ص٢٨٦ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٩ وأعيان الشيعة ج١ ص٣٧٩ وشرح النهج للمعتزلي ج٨ ص١٣٣.

(3) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٣٠ و ٣١٣ عن البخاري، ومسند أحمد ج٢ ص ٢٣٧ و ٢٦٢ و ٣٥٣ و ٥٤٠ وج٥ ص٢٠٢ وعن صحيح البخاري ج٢ ص١٥٨ وج٤ =

وفي رواية قال: «منزلنا إن شاء الله تعالى إذا فتح الله الخيف، حيث تقاسموا على الكفر»[1].

ونقول:

قد تقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» إنما قال ذلك حين فتح مكة، وقد

= ص٣٣ و ٢٤٧ وج٥ ص٩٢ وج٨ ص١٩٤ وعن صحيح مسلم ج٤ ص٨٦ وشرح مسلم للنووي ج٩ ص٦١ وعن فتح الباري ج٧ ص١٤٧ وج٨ ص١٣ وراجع: المجموع للنووي ج٨ ص٢٥٢ وسنن ابن ماجة ج١ ص٤٤٦ وج٢ ص٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص١٦٠ وج٦ ص٢١٨ وعن السنن الكبرى للنسائي ج٢ ص٤٦٧ ونيل الأوطار ج٥ ص١٦٦ وكنز العمال ج١٠ ص٣٨٨ وج١١ ص٧٧ وتهذيب الكمال ج٢٢ ص١٥٦ وغريب الحديث ج٢ ص٨٣١ ومعجم ما استعجم ج٢ ص٥٢٦ وعون المعبود ج٥ ص٣٤٣ ومسند ابن راهويه ج١ ص٣٢ ومسند أبي يعلى ج١١ ص٣٣٢ وصحيح ابن خزيمة ج٤ ص٣٢١ و ٣٢٢ ومسند الشاميين ج٤ ص١٧٧ وشرح النهج للمعتزلي ج١٧ ص٢٧٧ وعن نصب الراية ج٣ ص١٨١ و ١٨٢ وعلل الدارقطني ج٩ ص٢٤٨ والمعجم الكبير ج١ ص١٦٨ والفايق في غريب الحديث ج١ ص٣٤٩ وتاريخ بغداد ج٩ ص٩٥ وتحفة الأحوذي ج٣ ص٥٧٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٤ ص٢٢٣ وج٥٧ ص٣٩٤ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٣٣٩ وج٥ ص٢٢٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٦١ وج٤ ص٤٠٧ ولسان العرب ج١٢ ص٤٨١.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص ٢٣١ و ٣١٣ وصحيح البخاري وج٥ ص٩٢ ومسند أحمد ج٢ ص٣٢٢ وصحيح مسلم ج٤ ص٨٦ وعمدة القاري ج١٧ ص٢٨٢ وفتح الباري ج٨ ص١٦ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٣٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٦١ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٣٣٣.

كان أهل مكة قد تقاسموا على الكفر بخيف بني كنانة.. فلعل أبا هريرة قد سمع ذلك من غيره، ثم لما أراد أن يحدث به غيره ذهل عن حقيقة ما سمعه، وسافر وهمه إلى قصة حنين.. أو أراد أن يبعد حديث التقاسم على الكفر عن قريش التي كان ضالعاً في التسويق لبعض الطامحين فيها لإبعاد أمر الخلافة بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن أهل بيته الأطهار «عليهم السلام».

هذا بالإضافة إلى احتمال أن يكون خيف بني كنانة قد أصبح معسكراً لجيش الإسلام في فتح مكة، وفي حرب حنين على حد سواء.. لكي ينطلق منه حماة الدين وأنصار الله ورسوله من المؤمنين المستضعفين، بعد أن كان ذلك المكان مجمعاً لعتاة الكفر، الساعين لإطفاء نور الله، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون.. والكافرون..

والله العالم بحقيقة الحال، وهو الموفق والمسدد في جميع الأحوال..

أهل مكة.. وحرب هوازن:

لقد كان أهل حنين ـ وفي رواية: أهل مكة ـ يظنون حين دنا منهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حين قدم من المدينة أنه مبادر بهوازن، وصنع الله لرسوله أحسن من ذلك، فتح له مكة، وأقر بها عينه، وكبت بها عدوه.

فلما خرج إلى حنين، خرج معه أهل مكة لم يغادر منهم أحداً، ركباناً ومشاة، حتى خرج معه النساء يمشين على غير دين، نظاراً ينظرون، ويرجون الغنائم، ولا يكرهون أن تكون الصدمة لرسول الله «صلى الله عليه

وآله»[1].

وكان معه ثمانون من المشركين: أبو سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، وكانت امرأته مسلمة وهو مشرك لم يفرق بينهما.

وجعل أبو سفيان بن حرب كلما سقط ترس أو سيف أو متاع من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» نادى رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أن أعطنيه أحمله، حتى أوقر بعيره[2].

وخرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» وزوجتاه: أم سلمة، وميمونة، فضربت لهما قبة[3].

ونقول:

لابد لنا هنا من بيان ما يلي:

خرج الناس نظاراً ينظرون:

إن خروج جميع أهل مكة، مؤمنهم وكافرهم إلى حنين، وإن كانت أغراض الخارجين فيه مختلفة، إنما يشير إلى عمق تأثير ما جرى في فتح مكة

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٤ عن الواقدي، وابن عقبة، وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠٠ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٧٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٢٥ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٧٧ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٦٣.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٤ وراجع: تاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٧٨ وإمتاع الأسماع ج٢ ص١٢.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٤ عن الواقدي.

على حياة الناس، وعلى تفكيرهم، وفي أعماق الروح لدى جميع المكيين، حيث لا بد أن يدركوا أنهم أمام تحد هائل ومصيري، قد أصبح في طور التبلور، بصورة عملية ولابد من التعاطي معه بمسؤولية، وعقلانية، واستيعاب تداعياته بحكمة وروية، وبحنكة وأناة، ولم يعد مسموحاً لأحد أن يتصرف وفق هواه، ومشتهاه..

وخروج جميع أهل مكة إلى حنين يدل على أن الناس بدأوا يسعون للمشاركة، ولو على مستوى المشاعر، والعواطف، وأنهم يرصدون التحولات التي تلف منطقتهم، وتهيمن على محيطهم بحرص واهتمام بالغ، وإن كانت أغراضهم من ذلك تختلف وتتفاوت، وكثير منهم إنما يبحثون عن الغنائم والمكاسب. ولكن قسماً كبيراً لم يكن يفكر بهذه الطريقة..

وهذا يعطينا تفسيراً معقولاً ومقبولاً لخروج طائفة من الناس ـ حتى النساء ـ إلى حنين، على غير دين، نظاراً ينظرون. على حد تعبير النص المذكور آنفاً..

الغنائم هي الهدف:

وعن الذين خرجوا يرجون الغنائم، نقول:

إننا لا نستطيع أن نتعقل طمع المشركين بأموال حلفائهم، ومن يرونهم إخواناً لهم، ومن هم على دينهم، وجيرانهم. ومن هم وإياهم في خندق واحد في حرب رسول الله «صلى الله عليه وآله» من معه أهل الإيمان.. نعم.. لا يمكن تعقل ذلك، إلا على أساس انعدام الحس الإنساني، وتلاشي حركة الضمير والوجدان لديهم.

واللافت هنا: أن يكون على رأس الطامعين بالغنائم زعماء الشرك وعلى رأسهم أبو سفيان بن حرب وأضرابه ممن كانوا طيلة كل تلك السنين يدعون الناس إلى حرب محمد «صلى الله عليه وآله»، وإلى سفك دمه، وإسقاط أطروحته ودعوته، ولا يكرهون أن تكون الصدمة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، وها هم يخرجون مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» بصورة علنية وظاهرة، ولا يخجلون من تصرفهم هذا.

مع أن هذا لا يتوافق حتى مع مفاهيم الجاهلية، ومع طريقة أهل الشرك أنفسهم، حيث يعدونه غدراً وخيانة، ومن موجبات الخزي والعار.

أبو سفيان يجمع ما يسقط:

ونقرأ في النصوص المتقدمة: أن أبا سفيان كان يجمع ما يسقط من أفراد ذلك الجيش من أترسة وسيوف، وأمتعة. حتى أوقر بعيره منها. وأنه كان هو المبادر لهذا الفعل..

فهل أراد بذلك إظهار حسن نواياه لرسول الله «صلى الله عليه وآله» وللمسلمين؟!. أو أراد أن يكون ما يجمعه بعضاً من غنيمة كان يرجوها لو كانت الدائرة على المسلمين؟!

لعل ما سيأتي من أنه لم يكن صادقاً في إسلامه، وكان يرجو أن تكون الدائرة على أهل الإيمان.. يؤيد هذا الإحتمال الأخير.

التفريق بين المشرك وزوجته:

ودعوى: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يفرق بين صفوان المشرك، وامرأته المسلمة غير ظاهرة الصحة.

فإنه لو صح: أن امرأة صفوان قد أسلمت قبله، فذلك لا يعني خروجها من بيته، وانفصالها التام عنه. بل المطلوب هو: أن يعرِّفها «صلى الله عليه وآله» أنه ليس لصفوان أن يقربها، ويمكنها بعد ذلك أن تنتظر زوجها إلى حين انقضاء عدتها توقعاً لإسلامه.. كما كان الحال بالنسبة لما يذكرونه عن امرأة عكرمة بن أبي جهل، حيث إنها لحقته إلى ساحل البحر، وجاءت به إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكانت مسلمة، وهو لا يزال على شركه، فكانت تمنعه من الإقتراب منها إلى أن أسلم..

إخراج النساء في الحرب:

إن إخراج النبي «صلى الله عليه وآله» لزوجتيه: ميمونة، وأم سلمة معه في هذه الحرب، وإخراجهن، أو إخراج غيرهن من نسائه، وكذلك إخراج ابنته سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء «عليها السلام»، أحياناً في حروبه الأخرى.. رغم أن جميع تلك الحروب لم تكن ـ بحسب ظواهر الأمور ـ مأمونة النتائج من حيث الإنكسار، أو الإنتصار. إن ذلك يعد دليلاً آخر على يقينه بوعد الله تعالى له. ولابد أن يعد ذلك من إخباراته الغيبية، ومن دلائل نبوته.. إذ إن أحداً لا يخاطر بهذا الأمر الحساس جداً في مثل هذه الحالات. إذا كان غير واثق بالنصر، وبمصونية عرضه من أن يناله أي أذى.

وقد تقدم: أن مالك بن عوف قد أمر في حنين أصحابه بأن يستصحبوا نساءهم وأطفالهم ونعمهم، فتغيّظ عليه دريد بن الصمة، وصفق بيديه، وقال: «راعي ضأن والله» لاحتمال أن تكون الدائرة عليه، فتكون الفضيحة في أهله وماله. وأمره أن يرفع الأموال والنساء والذراري إلى عليا قومهم،

وممتنع بلادهم. هذا على الرغم من أن مالك بن عوف قد جمع أكثر من عشرين ألف سيف، ويرى أن النصر في متناول يده، ويرى أن محمداً «صلى الله عليه وآله» لم يقاتل رجالاً ذوي خبرة قبل هذه المرة، وإنما كان يلقى قوماً أغماراً، لا علم لهم بالحرب، فيظهر عليهم على حد تعبيره، كما تقدم تحت عنوان: الإستخبارات العسكرية..

إن حمل النبي «صلى الله عليه وآله» نساءه «صلى الله عليه وآله» يشير للأعداء وللأولياء على حد سواء بثقته بالنصر، بالرغم من عدم توفر شيء من مقوماته.. أو ظهور شيء من علاماته، بل الدلائل والشواهد متوافرة ومتضافرة بضد ذلك، وأن العدو هو الذي يملك مقومات الظفر، ومفاتيح النصر..

فيكون هذا الفعل منه «صلى الله عليه وآله» من أسباب الربط على قلوب الأولياء، ومن أسباب كبت الأعداء أيضاً، وهو بمثابة إخبار غيبي إلهي بنتائج المعركة، وهو من دلائل صدقه، وشواهد نبوته، ومن معجزاته وكراماته كما لا يخفى.

ذات أنواط:

عن أبي قتادة الحارث بن مالك قال: خرجنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى حنين، ونحن حديثوا عهد بالجاهلية، فسرنا معه إلى حنين، وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة ـ وعند الحاكم في الإكليل: سدرة خضراء - يقال لها: «ذات أنواط»، يأتونها كل سنة، فيعلقون أسلحتهم عليها، ويذبحون عندها، ويعكفون عليها يوماً.

فرأينا ونحن نسير مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» سدرة خضراء عظيمة، فتنادينا من جنبات الطريق: يا رسول الله، اجعل لنا «ذات أنواط» كما لهم «ذات أنواط».

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، قلتم والذي نفسي بيده، كما قال قوم موسى لموسى: **{اجْعَل لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ}**(1) إنها لسنن، لتركبن سنن من كان قبلكم، حذو القذة بالقذة»(2).

ونقول:

الأنبياء ^ وسنن التاريخ:

١ ـ إن الحديث عن حركة السنن التاريخية في الأمم السابقة واللاحقة، لا يعني أن ثمة جبرية إلهية تفرض على البشر قراراتهم، وتتحكم بتصرفاتهم،

---

(١) الآية ١٣٨ من سورة الأعراف.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٤ عن ابن إسحاق، والترمذي، والنسائي، وابن أبي حاتم، والحاكم في الإكليل، وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠١ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٠٧ و (ط دار المعرفة) ص٦٤ وراجع: مسند أحمد ج٥ ص٢١٨ والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٦٣٤ ومسند أبي يعلى ج٣ ص٣٠ وتفسير ابن أبي حاتم ج٥ ص١٥٥٣ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٧٢ وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص٣٧ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٨٩٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦١٦ والمعجم الكبير ج٣ ص٢٤٤ والدرر لابن عبد البر ص٣٢٥ وكنز العمال ج١١ ص١٧٠ وجامع البيان ج٩ ص٦١ وتفسير الآلوسي ج٩ ص٤٢ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٤٦.

دون أن يكون لهم فيها أي خيار، أو اختيار..

بل هو حديث عن حركة الأسباب والعلل، وتأثيرها في المسببات والنتائج.

وهو من أدلة أن الله سبحانه قد خلق الخلق، وفق نظام دقيق يهيمن عليه قانون السببية، ويمكن التعرف على طبيعة حركته من خلال هذا النظام، حين يقف الإنسان على حقائقه ودقائقه بصورة صحيحة ويقينية، ويعرف منظوماته الأرقى، وطبيعة علاقاتها بما هو أدنى منها في سلسلة مراتبها المختلفة.

وإذا وقف النبي «صلى الله عليه وآله» والمعصوم «عليه السلام» على هذه الحقائق والدقائق من نفس صانعها وواضعها، فإنه سيكون قادراً على رؤية نتائجها المختلفة، في طول الأزمنة المتعاقبة، لأنه يعرف أن الزمان والمكان لا يمثل عائقاً لحركة السنن، بل هما حاضنان لنتائجها وتداعياتها، في عين كونهما خاضعين لها أيضاً..

فإخبار رسول الله «صلى الله عليه وآله» بما سيكون بالإستناد إلى هذه السنن، لا يمكن تلقِّيه على أنه أمر عادي، وقريب المنال.. بل هو دليل عظمة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وآية نبوته، من حيث إنه «صلى الله عليه وآله» قد نال درجة استحق معها أن يطلعه الله على أسرار الخليقة، وسنن الحياة، وحقائق التكوين.. وهو ما لم ينله أحد من البشر سواه على الإطلاق..

من أجل ذلك يكون إخبار النبي «صلى الله عليه وآله» عن هذه السنن والحقائق، هو عين اليقين، لأنه يأخذ عن الله تبارك وتعالى، خالق الكون، وواهب الحياة، وجاعل السنن.

وأما ما يخبر به غيره، فلا يعدو أن يكون من التظني، والرجم بالغيب،

استناداً إلى استقراءات ناقصة، أو اجتهادات تنتهي إلى الحدس والتخمين.. مع ضعف بل عجز ظاهر عن الإحاطة بالسنن، وبمنظومتها، ومراتبها، وطبيعة ومدى علاقاتها وتأثرها وتأثيراتها في بعضها البعض..

٢ ـ ثم إنه لا شك في أن النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» على علم تام بأخلاق الناس وبأهوائهم وميولهم، وهو أعرف من كل أحد بطموحات، وبطريقة تفكير، وبحقيقة وصحة ومدى إيمان أولئك الذين سوف يخلفونه، ويخططون لبلورة دور لهم في المسيرة العامة، خارج دائرة توجيهاته «صلى الله عليه وآله»، ولا تتلاءم مع الأوامر والزواجر الإلهية..

فإذا وضع ذلك في سياق السنن الإلهية في البشر وخَلْقِهم وخُلُقهم، فلا بد أن يدرك المنحى الذي سوف تتخذه تصرفاتهم، ومواقفهم وممارساتهم..

٣ ـ واللافت هنا: أن طلبهم من رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يجعل لهم ذات أنواط، كأهل الجاهلية، قد أشبه طلباً لبني إسرائيل من موسى، فهل جاء هذا التشابه بين هؤلاء وأولئك على سبيل الصدقة؟! أم أن له جذوراً في أعماق الذات؟! وهل هذا يشير إلى أن ثمة وجوه شبه أخرى بين هذين الفريقين في سائر المجالات؟!

وهل هناك علاقة بين التعبير الوارد عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الإشارة إلى يهود أمته «صلى الله عليه وآله».. الذين يقتلون ذريته[1]،

---

(١) البحار ج٤٤ ص٣٠٤ والعوالم، الإمام الحسين للبحراني ص٥٩٨ عن عيون أخبار الرضا، وتفسير الإمام العسكري ص٣٦٩ والتفسير الصافي ج١ ص١٥٤ وتأويل الآيات لشرف الدين الحسيني ج١ ص٧٥ وذوب النضار لابن نما الحلي ص١٢.

وبين يهود بني إسرائيل؟!.

إن ذلك كله يحتاج إلى المزيد من التتبع للنصوص، والمقارنة بينها، ورصد الظواهر في هذه الأمة، وفي بني إسرائيل! وكنا قد بذلنا محاولة في هذا الإتجاه، نسأل الله أن يوفقنا لإتمامها في الوقت المناسب.

باتجاه هوازن والبشارة بالغنام:

عن سهل بن الحنظلية: إنهم ساروا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم حنين، فأطنبوا في السير، حتى إذا كان عشية حضرْتُ صلاة الظهر عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فجاء رجل فارس، فقال: يا رسول الله، إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا، فإذا بهوازن قد جاءت عن بكرة أبيهم، بظعنهم، ونعمهم، وشائهم، اجتمعوا.

فتبسم رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقال: «تلك غنيمة للمسلمين غدا إن شاء الله تعالى».

ثم قال: «من يحرسنا الليلة»؟ الخ..[1].

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٥ عن النسائي، وأبي داود، وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠١ عن المشكاة، والسيرة الحلبية ج٣ ص١٠٧ والمغني لابن قدامة ج١٠ ص٣٨٠ وسنن أبي داود ج١ ص٥٦١ والمستدرك للحاكم ج٢ ص٨٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص١٤٩ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص٢٧٣ والمعجم الكبير للطبراني ج٦ ص٩٦ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٤٥٦ وأسد الغابة ج١ ص١٣٠ وتهذيب الكمال ج٣٤ ص٢١٨ والإصابة ج١ ص٢٨٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٧٥ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٧٢ والسيرة النبوية =

ونقول:

إن لهذه الحادثة، نظائر عديدة في حياة النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله». ولكن لا بأس بالتوقف قليلاً في هذا المورد على الأقل. ونترك سائر الموارد إلى حصافة القارئ الكريم، الذي سيكون قادراً على استنطاق نصوصها، واستخراج معانيها ومراميها، المناسبة لمقام النبوة، وسياق الأحداث..

فنقول:

لقد بشر النبي الكريم «صلى الله عليه وآله» أصحابه بأن ما جاءت به هوازن من ظعن، ونعم، وشاء سيكون غنيمة للمسلمين.. وذلك على سبيل الإخبار الغيبي، الذي هو من دلائل النبوة، ومن أسباب زيادة اندفاع المؤمنين للقتال، وتشكيك الأعداء بقدراتهم، وبقوتهم..

خصوصاً: وأنه «صلى الله عليه وآله» قد أخبر عن حصول هذا الأمر بالجملة الإسمية المفيدة للتحقق والثبوت..

كما أنه قد تبسم قبل أن يتفوه بهذا الخبر المفرح لأهل الإيمان، والمخيف والمحزن لأهل الكفر والطغيان..

وهو تبسم يوحي بالثقة وبالرضا والإرتياح، وذلك يزيد من رعب العدو، ومن ثقة واندفاع الولي، عوضاً عن التوجس، والترقب..

وهو أيضاً يحمل معه معنى الاستخفاف بالعدو، والسخرية من قراره

= لابن كثير ج٣ ص٦١٦ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٠٩ وفيه: أن هذا الرجل هو ابن أبي حدرد نفسه.

باستصحاب الظعن والأنعام، وأنه خطأ وقع فيه عدوه، حين أحضر ذلك كله أمام أعين محاربيه من المؤمنين، الذين سوف يزيدهم حضور الغنيمة اندفاعاً وتوثباً.. فكيف إذا كان أهل مكة أنفسهم، والمشركون منهم أيضاً قد حضروا هذه الحرب طمعاً بالغنائم أيضاً حسبما تقدم؟!.

إنه تبسم العارف بالنتائج، والواقف على الخفايا والأسرار.

الغنيمة تقدمة إلهية:

ثم إنه «صلى الله عليه وآله» قد علق حصول المسلمين على تلك الغنيمة على مشيئة الله تبارك وتعالى.

كما أن صياغة العبارة «تلك غنيمة المسلمين غداً»، قد خلت من الإشارة إلى أي دور للمسلمين في أخذ هذه الغنيمة، ولو أراد أن يشير إليهم بشيء من ذلك، لقال: غداً يغنمها المسلمون، أو سيغنمها المسلمون، أو نحو ذلك..

وذلك.. لأن حصول هذه الغنيمة إنما هو بصنع من الله، وبتوفيق منه لنبيه الكريم «صلى الله عليه وآله»، ولوليه العظيم علي بن أبي طالب «عليه السلام»، ثم يعطيها للمسلمين بمشيئة منه تبارك وتعالى..

من دون استحقاق منهم لها، حتى بأن تنسب الغنيمة إليهم..

فظهر أن قوله «صلى الله عليه وآله»: «إن شاء الله تعالى»، لم يأت لمجرد التيمن، أو الدعاء، بل هو إخبار عن أن الأمر في هذه الغنيمة يرجع كله لله تعالى، وليس لإرادة أو لفعل الناس دور يصح معه نسبة ذلك إليهم.

وقد ظهرت صحة ودقة هذا التعبير حين فرَّ المسلمون بأجمعهم عن

رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولم يبق أحد يقاتل المشركين غير علي «عليه السلام».

وإن كان العباس أو غيره من بني هاشم لم يبادروا إلى الفرار، فإنما كانوا حول رسول الله «صلى الله عليه وآله» يحوطونه ويحفظونه كحراس له، في حين كان المهاجم للأعداء، وصاحب النكاية فيهم هو علي «عليه السلام» دون سواه، كما سيأتي إن شاء الله تعالى..

وآخر ما نشير إليه هنا: أنه «صلى الله عليه وآله»، سرعان ما تجاوز هذا الموضوع، وطوى عنه كشحاً، مظهراً عدم الإكتراث به، حيث بادر إلى القول: «من يحرسنا الليلة»؟! وكأنه يريد أن يفهم الناس أن هذا الأمر مفروغ عنه، فلا حاجة لأن يشغل الناس أنفسهم في تفاصيله.

وهذا يعد تأكيداً آخراً على تحقق هذا الأمر، ولابد أن تظهر ثمرات ذلك كله بعد النصر الذي سيعقب هزيمة جميع المسلمين عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

ابن الأكوع يقتل عيناً للمشركين:

و عن سلمة بن الأكوع قال: غزونا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» هوازن، فبينما نحن نتضحى مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» إذ جاء رجل على جمل أحمر، فأناخه، ثم انتزع طلقاً من حقبه فقيد به الجمل، ثم تقدم فتغدى مع القوم.

وجعل ينظر وفينا ضعفة ورقة من الظهر، وبعضنا مشاة، إذ خرج يشتد، فأتى الجمل، فأطلق قيده، ثم أناخه، ثم قعد عليه. فاشتد به الجمل،

واتبعه رجل من أسلم من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» على ناقة ورقاء.

وفي رواية: أتى عين من المشركين إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو في سفر، فجلس عند أصحابه يتحدث. انتهى.

ثم انفتل، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «اطلبوه واقتلوه».

قال سلمة: وخرجت أشتد، فكنت عند ورك الناقة، ثم تقدمت حتى كنت عند ورك الجمل، ثم تقدمت حتى أخذت بخطام الجمل، فأنخته، فلما وضع ركبته على الأرض، اخترطتُّ سيفي فضربت رأس الرجل فندر.

ثم جئت بالجمل أقوده عليه رحله وسلاحه، فاستقبلني رسول الله «صلى الله عليه وآله» والناس معه، فقال: «من قتل الرجل»؟

قالوا: ابن الأكوع.

قال: «له سلبه أجمع»[1].

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣٧ عن البخاري، وفي هامشه عن: البخاري في الجهاد (٣٠٥١)، وأحمد ج٤ ص٥١ وأبو داود (٢٦٥٣)، والطبراني في الكبير ج٧ ص٢٩ والبيهقي في السنن الكبرى ج٩ ص٦ و ١٤٧ و ٣٠٦ والطحاوي في المشكل ج٤ ص١٤٠ وراجع: نيل الأوطار للشوكاني ج٨ ص٩٧ وصحيح مسلم ج٥ ص١٥٠ وشرح مسلم للنووي ج١٢ ص٦٧ وفتح الباري ج٦ ص١١٧ وعمدة القاري ج١٤ ص٢٩٦ وشرح معاني الآثار ج٣ ص٢٢٧ ومعرفة السنن والآثار ج٥ ص١١٩ والإستذكار لابن عبد البر ج٥ ص٦٣ والجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٦ وأضواء البيان للشنقيطي ج٢ ص٨٣.

ونقول:

إن في هذه الرواية أموراً من شأنها أن تزلزل الطمأنينة لدينا بصحتها، ونذكر منها:

١ ـ إذا كان ابن الأكوع قد تبع ذلك الرجل وحده، فلا معنى لسؤال النبي «صلى الله عليه وآله»: «من قتل الرجل»؟ لاسيما وأنه «صلى الله عليه وآله» قد جاء والناس معه لاستقباله..

إلا أن يقال: ليس في الرواية دلالة على أن ابن الأكوع تبع ذلك الرجل وحده، ولعله بعد أمر النبي «صلى الله عليه وآله» بقتل الرجل انبعث أكثر من شخص، وإنما تحدث سلمة عن خروجه هو، وكيف أنه أدركه فقتله وعاد، فاستقبله النبي «صلى الله عليه وآله» ومعه الناس. أي سوى من كان خرج في طلب الرجل..

ولكن هذا الإحتمال لا يتلاءم مع سياق كلام ابن الأكوع، إذ لو كان معه غيره لقال: فاستقبلنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» الخ..

٢ ـ إن الرواية الأولى تصرح: بأنه تبعه على ناقة ورقاء.. والثانية تفيد: أنه تبعه راجلاً، فأي ذلك هو الصحيح؟!

٣ ـ قد كان بإمكان ذلك الرجل أن ينسل من بينهم بصورة طبيعية، فلماذا يركض ويشتد.. وما معنى: أن يهجم على الطعام بهذه الطريقة المثيرة؟! والمفروض بالعين: أن يكون أكثر كياسة، ولباقة، وحنكة مما نراه.

٤ ـ إن حركة الرجل السريعة لا بد أن تثير المسلمين، وتدعوهم لأن يلحقوه، ويأخذوه ليعرفوا خبره، مع أننا لا نجد في الرواية ما يشير إلى أن أحداً تحرك لهذه المهمة سوى رجل واحد هو سلمة بن الأكوع.

واحتمال أن يكون قد تحرك غيره معه لا يتلاءم مع سياق كلام ابن الأكوع حسبما ذكرناه فيما سبق..

٥ ـ حين ينزل النبي «صلى الله عليه وآله» بجيشه لكي يتضحوا (أي لأجل أكل طعام الضحى)، فإنه «صلى الله عليه وآله» لا يجلس وحيداً بعيداً عن جيشه وفي عمق الصحراء، بل المتوقع هو: أن ينزل في مكان، ثم يصير الجيش يتحلق حوله حتى يصبح «صلى الله عليه وآله» في الوسط.. فكيف استطاع ذلك الرجل أن يخترق تلك الجموع، ويسير كل تلك المسافات بين جموع تعد بالألوف، ويطارده سلمة بن الأكوع، ثم لا يعترضه أحد من ذلك الجيش، الذي يحتاج إلى عدة دقائق للخروج من بين جموعه؟! وكيف لم تثر حركته فضولهم؟!

وكيف لم يشاركوا سلمة بن الأكوع في اللحاق به؟!

وكيف؟! وكيف؟!

٦ ـ هل إن ملاحقة وحسم مصير عينٍ، أو راصدٍ، تستوجب أن يقوم رسول الله «صلى الله عليه وآله» بنفسه، ومعه الناس لاستقبال من فعل ذلك؟!

٧ ـ إن ما فعله ذلك الرجل، من مجيئه على الجمل، وإطلاق قيده، وإناخته، ثم قعوده عليه، ثم إنهاضه، والإنطلاق به، يحتاج إلى بعض الوقت، الذي يستطيع معه ابن الأكوع وغيره الوصول إليه، والقبض عليه قبل أن ينهض به الجمل، فلماذا صبروا حتى فعل ذلك كله. وانطلق بجمله؟!

٨ ـ لماذا كان مع الرجل ناقة وجمل؟!

أو فقل: إن الرواية تتحدث أولاً عن جمل جاء به ذلك الرجل، فأناخه،

وعقله. ثم تتحدث عن ناقة حاذاها سلمة بن الأكوع، ثم عن جمل حاذاه، ثم تقدم حتى أخذ بخطامه. فمن أين ومتى جاءت تلك الناقة؟! وما هي الحكمة في ذلك؟!

٩ ـ إذا كان سلمة يركب الناقة، فمتى نزل عنها، حتى أخذ بخطام ذلك الجمل الذي ينطلق بسرعة فائقة؟!

١٠ ـ لماذا لم يبادر ذلك الرجل إلى القفز عن ظهر الجمل حينما كان ينخيه سلمة ليتمكن من تجنب سيف سلمة، بل هو قد انتظر حتى اناخ به الجمل، ثم اخترط سيفه، وقتله به؟!

١١ ـ إذا كان قتل ذلك الرجل له أهمية إلى حد ان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يخرج مع الناس لاستقبال قاتله، فلماذا اقتصرت الرواية على سلمة نفسه، ولم يهتم بها الرواة، ولم يتناقلوها بالمستوى الذي يليق بها؟!

١٢ ـ إننا نلاحظ: أن راوي الحديث في البداية كان سلمة بن الأكوع، ولكنه هو نفسه يعود اخيراً ليقول: «واتبعه رجل من أسلم، من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فكيف نفسر هذا السياق لراوٍ يتحدث عن نفسه بهذه الطريقة؟!

هل هذا معقول؟!:

وذكروا: أنهم حين ساروا إلى حنين وأصبحوا قريباً من جمع هوازن. وأرادوا المبيت في موقعهم، قال «صلى الله عليه وآله»: من يحرسنا الليلة؟!

قال أنس بن أبي مرثد: أنا يا رسول الله.

قال: «فاركب».

فركب فرساً له، وجاء إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «استقبل هذا الشعب، حتى تكون في أعلاه ولا نغرن من قبلك الليلة».

فلما أصبحنا خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى مصلاه، فركع ركعتين ثم قال: «هل أحسستم فارسكم»؟

قالوا: يا رسول الله، ما أحسسناه، فثوب بالصلاة.

فجعل رسول الله «صلى الله عليه وآله» يصلي وهو يلتفت إلى الشعب، حتى إذا قضى رسول الله «صلى الله عليه وآله» صلاته قال: «أبشروا فقد جاءكم فارسكم».

فجعل ينظر إلى خلال الشجر في الشعب، وإذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله، فقال: إني انطلقت حتى كنت في أعلى هذا الشعب، حيث أمرني رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلما أصبحت، طلعت الشعبين كليهما، فنظرت فلم أر أحداً.

فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «هل نزلت الليلة»؟

قال: لا، إلا مصلياً، أو قاضي حاجة.

فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «قد أوجبت، فلا عليك أن لا تعمل بعدها»[1].

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٥ عن النسائي، وأبي داود، والإصابة ج١ ص٧٣ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠١ والمغني لابن قدامة ج١٠ ص٣٨١ والشرح الكبير ج١٠ ص٣٧٩ وسنن أبي داود ج١ ص٥٦١ والمستدرك ج٢ ص٨٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص١٤٩ والمعجم الكبير ج٦ ص٩٦ =

ونقول:

إننا نشك في صحة هذه الرواية، وذلك لما يلي:

أولاً: إذا كانت الحراسة لرسول الله «صلى الله عليه وآله» فهو لا يحتاجها في جيش يبلغ تعداده الألوف، وإن احتاج إليها، فما معنى أن يكون حارسه رجلاً واحداً.

وإن كان المقصود هو: أن يحرس أنس بن أبي مرشد ذلك الجيش كله؟! فهو غير معقول! فإن جيشاً بهذا العدد الكبير، يحتاج إلى عشرات، بل إلى مئات من الفرسان، الذين يحيطون به من جميع الجهات، حتى لا يفاجئهم العدو من أية جهة كانت.

ولو فرضنا: أن العدو كان في الجهة التي كان أنس مرابطاً فيها.

فمن الذي يضمن عدم انتقال العدو منها إلى جهة أخرى، ليشن هجومه منها، أو أن لا يفرق قواه في مختلف الجهات، لتأتي حملته مؤثرة في تشويش الأمور على الجيش الغافل، والغارق في النوم؟!

ثانياً: كيف أوكل «صلى الله عليه وآله» أمر حراسته، أو حراسة الجيش كله إلى رجل واحد، قد يأخذه النوم، أو يأخذه العدو، وتكون الكارثة؟!.

أليس يزعمون: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد جرب ذلك وهو في طريق عودته إلى خيبر، حيث طلب من بلال أن يبقى مستيقظاً إلى حين

= وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٤٥٦ وأسد الغابة ج١ ص١٣٠ والإصابة ج١ ص٢٨٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٧٥ والبداية ج٤ ص٣٧٢ والسيرة البنوية لابن كثير ج٣ ص٦١٧.

طلوع الفجر، فنام بلال، وفاتتهم الصلاة؟!

فإننا وإن كنا قد كذبنا هذه المزاعم، لكننا نذكرها هنا على سبيل إلزام من يصدق بها.

ثالثاً: ما معنى أن يصلي النبي «صلى الله عليه وآله» ويلتفت إلى جهة الشعب؟!.

واحتمال أن يكون «صلى الله عليه وآله» قد صلى عدة صلوات وكان يلتفت إلى الشعب بعد انتهاء كل صلاة لا يتلاءم مع سياق الكلام، ولا سيما قوله: فثوب بالصلاة، حيث إن ظاهره أنه «صلى الله عليه وآله» كان يصلي الصلاة المكتوبة.. ويؤيده قوله: حتى إذا قضى رسول الله «صلى الله عليه وآله» صلاته.

رابعاً: قالت الرواية: إن أنس بن أبي مرشد قد نزل من موقعه لأجل قضاء الحاجة..

ألا يعد ذلك: تفريطاً بالمهمة التي أوكلت إليه؟!

وألم يكن النبي «صلى الله عليه وآله» يعلم: أنه بحاجة إلى أن ينزل من موقعه إذا عرضت الحاجة له؟ فماذا لو أن العدو هجم عليه وعلى المسلمين في هذه اللحظة؟!.

خامساً: لعلَّ الأمرَّ والأدهى من ذلك كله زعمهم: أنه «صلى الله عليه وآله» قال لأنس: «لا عليك، ألَّا تعمل بعدها»!.

فهل سهر هذه الليلة في سبيل الله يكفيه عن العمل بقية عمره؟!

وهل معنى قوله هذا: أن العمل قد سقط عنه، ولم يعد مطالباً به، فإذا جاء به فإنه سيكون قد أتى بعمل لا يطلبه الله منه..

وإذا كان ذلك غير مطلوب، فهل يمكن أن نفهم ذلك أن عمله بعد اليوم أصبح بلا ثمرة، ولا أثر؛ لأن سهر تلك الليلة قد أغنى عنه؟!..

وهل يصح من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يلوح لإنسان بأن يترك العمل، ويكتفي بما سلف؟!.

وقد سئل النبي «صلى الله عليه وآله» ـ والسائل له هي عائشة ـ عن السبب في أنه يجهد نفسه في عبادة الله، مع أن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال: أفلا أكون عبداً شكوراً؟[1]. فلماذا لا يدعوه إلى المزيد من

---

(١) راجع: البرهان (تفسير) ج٣ ص٢٩ عن الكافي، وعن الإحتجاج للطبرسي، والدر المنثور ج٦ ص٧٠ عن ابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في الأسماء والصفات، وفي شعب الإيمان، وابن عساكر، وابن أبي شيبة، وأحمد في الزهد، وأبي يعلى، والحسن بن سفيان، وابن عدي، وأبي نعيم في حلية الأولياء عن عائشة، وأنس، وأبي هريرة، والحسن، وأبي جحيفة وغيرهم. وراجع: الصلاة في الكتاب والسنة للريشهري ص١٩٦ والكافي ج٢ ص٩٥ وشرح أصول الكافي ج٨ ص٢٩٤ ومستدرك الوسائل ج١ ص١٢٨ ومشكاة الأنوار ص٧٦ والبحار ج٦٨ ص٢٤ وج٨١ ص٢٦٢ وجامع أحاديث الشيعة ج١ ص٤٠٣ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للشيخ هادي النجفي ج٥ ص٤٢١ وميزان الحكمة ج٤ ص٣٢٣٢ ومسند أحمد ج٦ ص١١٥ وصحيح البخاري ج٦ ص٤٤ وصحيح مسلم ج٨ ص١٤٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٣٩ وراجع: فتح الباري ج٣ ص١٣ وعمدة القاري ج١٩ ص١٧٧ والديباج على مسلم ج٦ ص١٧١ والمعجم الأوسط ج٤ ص١٣٨ والمعجم الصغير ج١ ص٧١ وفضائل الأوقات للبيهقي ص١٢٨ وتخريج الأحاديث والآثار ج٢ ص٣٤٩ وتفسير ابن عربي ج١ ص٩٥ والجامع لأحكام القرآن =

الطاعة لله، ليكون عبداً شكوراً أيضاً؟

مع أننا نتحفظ على صحة سؤال عائشة أيضاً، فإنها إنما قالت ذلك بحسب نظرتها هي لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، لا بحسب واقع الأمر.. فإنها كانت ترى: أن المقصود بالذنب المغفور للنبي «صلى الله عليه وآله»: هو ذنبه تجاه ربه.

وذلك غير صحيح، فإنه «صلى الله عليه وآله» معصوم عن الذنب والخطأ، مبرّأ من الزلل.. والمقصود بالذنب في آيات سورة الفتح هو ما يراه قومه ذنباً.

سادساً.. وأخيراً: إن أنساً قد صرح: بأنه قضى ليلته مصلياً، فهل استطاع أن يتوجه إلى الكعبة في صلاته؟!. وماذا لو كانت الكعبة خلف ظهره، حين يكون في مواجهة العدو؟! وهذا هو الأولى بالإحتمال بالنسبة لحنين التي هي إلى جهة الطائف. والمسلمون إنما قدموا من مكة باتجاه حنين، ويفترض أن تكون مكة خلفهم وحنين أمامهم في مسيرهم ذاك..

عباس بن مرداس ينصح هوازن:

ويقولون: إن عباس بن مرداس قد أسدى لهوازن نصيحة في شعره حيث قال:

= ج١٤ ص٢٧٧ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص١٩٧ وأضواء البيان للشنقيطي ج٨ ص٣٦٠ وتهذيب الكمال ج١٦ ص٣٠٠ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٣١٥ و ٣١٦ وج١٣ ص٣٣ وأهل البيت في الكتاب والسنة لمحمد الريشهري ص٢٦٨ وجامع السعادات ج٣ ص١٩٢ ومكيال المكارم ج١ ص٢٩٠.

أبلـغ هـوازن أعـلاهـا وأسفلها ... منـي رسـالـة نـصـح فـيـه تبـيـان
إني أظـن رسـول الله صابحـكـم ... جيشاً له في فضـاء الأرض أركـان
فيهم سليم أخوكم غير تارككم ... والمسـلـمـون عبـاد الله غسـان
وفي عـضـادتـه اليمنى بنو أسـد ... والأجـربـان بـنـو عـبـس وذبـيـان
تكاد ترجف منه الأرض ترهبـه ... وفي مـقـدمـه أوس وعـثـمـان

قال ابن إسحاق: أوس وعثمان قبيلا مُزَيْنَة[1].

وغني عن القول:

أن المقصود بهذا الشعر إن كان هو نصح هوازن لكي تأخذ حذرها، وتستعد للحرب، فتلك خيانة منه، يحاول أن يتستر عليها بادعاء مدح جيش المسلمين، وتخويف أعدائهم.

وإن كان المقصود هو مجرد الإفتخار، وعرض العضلات، ومن عادة العرب: الإفتخار على أعدائهم بشجاعتهم، وبعدتهم، وعددهم.. فلماذا يخبرهم بوقت وصول النبي «صلى الله عليه وآله» إليهم؟!

والذي نراه هو: أن هذا الشعر قد تضمن ما يلي:

١ ـ تفويت عنصر المفاجأة على جيش المسلمين، لأنه أخبر العدو بوقت وصول رسول الله «صلى الله عليه وآله» بجيشه إليهم، وتلك خيانة عظمى، وجناية كبرى.

٢ ـ إنه يتضمن تطميناً لهوازن، بأن سليماً، التي كان هو من زعمائها هم

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٥ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٧٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦١٦.

إخوان لهوازن، وهم سوف لن يتركوهم طعمة للسيوف.

ويلاحظ هنا: أنه لم يصف سليماً بالإسلام، بل أطلق وصف الإسلام على غسَّان، ومن بعدهم.

وهذه إشارة أخرى لهوازن: بأن سليماً لم تزل تبطن الكفر، وإن اظهرت الإيمان.

وبعدما تقدم، فقد يراود الذهن احتمال أن يكون هذا الرجل من أهل النفاق، وربما يكون قد عاد إلى نفسه بعد ذلك.

الفصل الثالث:

قبل أن تبدأ الحرب

النبي ' في حنين:

وقالوا: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد انتهى إلى حنين مساء ليلة الثلاثاء[١]، لعشر خلون من شوال[٢].

وكان قد سبقهم مالك بن عوف، فأدخل جيشه بالليل في ذلك الوادي، وفرقهم على الطرق والمداخل[٣].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٦ و ٣١٨ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠١ وإمتاع الأسماع للمقريزي ج٢ ص١١ وج٨ ص٣٨٨ و ٣٨٩ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٥٠ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٧٩.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٦ و ٣١٨ و ٣٤٦ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠١ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٧٤ وإمتاع الأسماع للمقريزي ج٢ ص١١ وج٨ ص٣٨٨ و ٣٨٩ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ لمحمد الريشهري ج١ ص٢٥٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٥٠ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٧٩ وفتح الباري ج٨ ص٢١.

(٣) تاريخ الخميس ج٢ ص١٠١ وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٥٠ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٧٩ وشرح السير الكبير للسرخسي ج١ ص١١٦ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٦ عن الواقدي، والسيرة الحلبية ج٣ ص١٠٧ و (ط دار المعرفة) ص٦٤.

جواسيس مالك بن عوف:

وبعث مالك بن عوف ثلاثة نفر من هوازن ينظرون إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأصحابه، وأمرهم أن يتفرقوا في العسكر، فرجعوا إليه، وقد تفرقت أوصالهم.

فقال: ويلكم ما شأنكم.

فقالوا: رأينا رجالاً بيضاً على خيل بُلق، فوالله، ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى، والله ما نقاتل أهل الأرض، إن نقاتل إلا أهل السماوات، وإن أطعتنا رجعت بقومك، فإن الناس إن رأوا مثل الذي رأينا أصابهم مثل ما أصابنا.

فقال: أف لكم، أنتم أجبن أهل العسكر، فحبسهم عنده، فرقاً أن يشيع ذلك الرعب في العسكر.

وقال: دلوني على رجل شجاع.

فأجمعوا له على رجل، فخرج، ثم رجع إليه قد أصابه كنحو ما أصاب من قبله منهم.

فقال: ما رأيت؟

قال: رأيت رجالاً بيضاً على خيل بُلق، ما يطاق النظر إليهم، فوالله ما تماسكت أن أصابني ما ترى. فلم يثن ذلك مالكاً عن وجهه(1).

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٦ ودلائل النبوة للبيهقي ج٥ ص١٢٣ وعن أبي نعيم، والواقدي، وابن إسحاق، وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠٠ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٠٧ و (ط دار المعرفة) ص٦٤ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٠٩ وعن المغازي للواقدي ج٣ ص٨٩٢ و ٨٩٣.

ونقول:

إن علينا أن ننظر إلى هذه الروايات التي تتحدث عن الإمداد بالملائكة بتروٍّ وأناة، وليس لأحد ان يبادر إلى رفضها، بل نخضعها للبحث والتحقيق، ما دام أن مضمونها ليس من المحالات العقلية.

وفي غزوة بدر صرحت الآيات القرآنية: بأن الله تعالى قد أمدّ رسوله فيها بالملائكة.

كما أن القرآن نفسه قد صرح عن حنين أيضاً بقوله: **{ثُمَّ أَنَزلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ}** [1]، فلماذا نستغرب أمثال هذه الروايات التي تتحدث عن رؤية الناس والملائكة في ساحات القتال؟**!** أو نبادر إلى رفضها؟ أو إلى التشكيك فيها؟!.

ولعلك تقول: إن ظاهر الآية القرآنية هو: أن الإمداد بالجنود قد كان بعد أن ولى المسلمون مدبرين، وهذه الرواية تتحدث عن مرحلة ما قبل بدء الحرب.

يضاف إلى ذلك: أن الآية تصرح: بأن الناس لم يروا الجنود.

والرواية تقول: بأنهم قد رأوها.

ويمكن أن يجاب:

أولاً: إن رؤية الجنود المنفية في الآية الكريمة هي رؤية المؤمنين لهم، وأما رؤية الكافرين لهم، فلم تتحدث الآية عنها، وقد كان المطلوب أن يرى

---

(١) الآية ٢٦ من سورة التوبة.

الكافرون كثرتهم، ليضعفوا عن الحرب ..

ثانياً: إن الملائكة الذين كانوا جنوداً، ومقاتلين، إنما نزلوا بعد الهزيمة، وذلك لا يمنع من وجود الملائكة مع المسلمين قبل بدء الحرب، لأجل مهمات أخرى غير القتال، وغير الجندية، كأن يكون المقصود تكثير المسلمين، وإلقاء الرعب في نفوس المشركين..

ثالثاً: إن وجود الملائكة مع المسلمين، ثم فرار هؤلاء المسلمين من الحرب، دليل على أن النصر الذي حصل بعد ذلك لم يكن من صنع هؤلاء الهاربين، بل هو من صنع خصوص المؤمنين الحقيقيين، الذين حين أصبحوا وحيدين في ساحة المعركة، أنزل الله جنوده ليكونوا معهم، بدلاً عن أولئك الهاربين.

ومعنى ذلك: أن المقصود: بـ «المؤمنين» في قوله تعالى: **{عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ}**، هو: خصوص علي «عليه السلام»، الذي كان يقاتل المشركين وحده، وقد يشمل الخطاب أيضاً بعض بني هاشم، الذين كانوا حول النبي «صلى الله عليه وآله»، فأنزل الله جنوداً ليكونوا معه، لم يرها أولئك الهاربون، فإنها قد نزلت بعد هروبهم، وحين غيبتهم عن ساحة القتال..

وبعد.. فإن ما جرى لهؤلاء الذين أرسلهم مالك بن عوف لاستكشاف معسكر المسلمين، قد تضمن إقامة الحجة على مالك بن عوف، ومن معه، من حيث دلالة ذلك على: أن هذا النبي «صلى الله عليه وآله» مسدد ومؤيد بالغيب، وليس في أمره شبهة ولا ريب..

ويتأكد هذا المعنى لهم حين يرون: أن نصره ليس بالبشر. فإن البشر

يهربون، ويبقى وحده مع أخيه، وينزل الله جنوداً لم يرها المنهزمون، ويؤيده الله بالنصر، وظهور الأمر، هو ومن معه من المؤمنين، حتى لو كان رجلاً واحداً صابراً مجاهداً، وهو علي بن أبي طالب «عليه السلام».

للأعداء خطتهم:

ومن الطبيعي: أن يكون للأعداء خطتهم لمواجهة المسلمين، لا سيما إذا كانوا هم الذين خططوا ومهدوا، وجمعوا الناس للحرب، وحين لا بد للمسلمين من الدفاع عن أنفسهم فلا بد من أن تكون لهم خطة يعتمدونها في ذلك، غير أننا قبل الدخول في التفاصيل لا بد من الإشارة إلى ما أعدوه وهيأوه لهذه الحرب، التي علقوا عليها آمالهم وربطوا بها مصيرهم، فنقول:

تعداد جيش المسلمين:

قال جماعة من أئمة المغازي: خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» في اثني عشر ألفاً من المسلمين، عشرة آلاف من المدينة، وألفين من أهل مكة[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٣ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠٠ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٦٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٥٠ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٠٧ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٠٨ وراجع: الدرر لابن عبد البر ص٢٢٥ والجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٩٧ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٤٦ وإمتاع الأسماع ج٨ ص٣٨٨ والثقات لابن حبان ج٢ ص٦٦ وتخريج الأحاديث والآثار ج٢ ص٦٢ وتفسير جوامع الجامع ج٢ ص٥٥ وتفسير غريب القرآن للطريحي ص٥٣٧ وتفسير السمرقندي ج٢ ص٤٨ وتفسير البغوي ج٢ ص٢٧٧ وتفسير البيضاوي ج٣ =

وعن محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي قال: كان مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» أربعة آلاف من الأنصار، وألف من جهينة. وألف من مزينة. وألف من أسلم. وألف من غفار، وألف من أشجع، وألف من المهاجرين وغيرهم، فكان معه عشرة آلاف، وخرج باثني عشر ألفاً[1].

وعلى قول عروة، والزهري، وابن عقبة: يكون جميع الجيش الذين سار بهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» أربعة عشر ألفاً، لأنهم قالوا: إنه قدم مكة باثني عشر ألفاً، وأضيف إليهم ألفان من الطلقاء[2].

وقال ابن الجوزي: كانوا اثني عشر ألفاً قاله قتادة، وابن زيد، وابن إسحاق، والواقدي[3].

= ص١٣٧ والدر المنثور ج٣ ص٢٢٤ وراجع: تفسير الثعلبي ج٥ ص٢٢ وفتح القدير ج٢ ص٣٤٨ والكامل لابن عدي ج١ ص٢٧٢ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٧٩ و ٢٨٢.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٣ عن أبي الشيخ، والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٠٨ وتفسير الميزان ج٩ ص٢٣٤ والدر المنثور ج٣ ص٢٢٥.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٤ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٧١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦١٥ وراجع: معاني القرآن للنحاس ج٣ ص١٩٤ .

(٣) زاد المسير ج٣ ص٢٨١ وراجع: التبيان للشيخ الطوسي ج٥ ص١٩٧ وجامع البيان للطبري ج١٠ ص١٢٨ و ١٣٠ و ١٣٣ ومجمع البيان للطبرسي ج٥ ص٣٢ وتفسير الرازي ج١٦ ص٢١ والجامع لأحكام القرآن ج٨ ص١٠٠ و ٢٨٠ وتفسير الآلوسي ج٩ ص١٨٠ وج١٠ ص٧٣ والبداية والنهاية ج٦ ص٦٧ وتفسير ابن زمين ج٢ ص١٩٩ ومجمع البحرين ج١ ص٥٩٠ وتاج العروس ج٧ ص٢١٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٧٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٧٤ وتحفة الأحوذي =

وقال عطاء: «كانوا ستة عشرة ألفاً»[١].

وقال الكلبي: «كانوا عشرة آلاف»[٢].

وقال الطبرسي: «كانوا اثني عشر ألفاً، وقيل: عشرة آلاف[٣].

وقيل: ثمانية آلاف والأول أصح»[٤].

= ج٥ ص١٣٩ وعون المعبود ج٧ ص١٩٤ والتسهيل لعلوم التنزيل ج٢ ص٧٣ وتفسير البحر المحيط ج٤ ص٤٦٩ ولباب النقول للسيوطي (ط دار إحياء التراث) ص١١٦ و (ط دار الكتب العلمية) ص١٠٣ وتفسير أبو السعود ج٤ ص١٢ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص١٠٦ وتفسير ابن أبي حاتم ج٦ ص١٧٧٣ وتفسير البيضاوي ج٣ ص٩٥ وتخريج الأحاديث والآثار ج٢ ص٦٣ وتفسير النسفي ج٢ ص٨٤ والفتح السماوي للمناوي ج٢ ص٦٧٣ وتفسير جوامع الجامع ج٢ ص١٢ وتفسير السمعاني ج٢ ص٢٩٨ وشرح السير الكبير ج١ ص٦٨ ومعجم قبائل العرب ج٢ ص١٢٣٢.

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص١٠٠ وراجع: زاد المسير ج٣ ص٢٨١ وفتح القدير ج٢ ص٣٤٨ وتفسير الرازي ج١٦ ص٢١ والجامع لأحكام القرآن ج٨ ص١٠٠ وتفسير الآلوسي ج١٠ ص٧٣ وتفسير البغوي ج٢ ص٢٧٧ .

(٢) تاريخ الخميس ج٢ ص١٠٠ وزاد المسير ج٣ ص٢٨١ وتفسير الرازي ج١٦ ص٢١ والجامع لأحكام القرآن ج٨ ص١٠٠ وتفسير البغوي ج٢ ص٢٧٧ وتفسير الثعلبي ج٥ ص٢٢.

(٣) الإرشاد للمفيد ج١ ص١٤٠ والبحار ج٢١ ص١٥٥ وراجع: التبيان للشيخ الطوسي ج٥ ص١٩.

(٤) مجمع البيان ج٥ ص١٧ و ١٨ والبحار ج٢١ ص١٤٧ وراجع: التبيان للشيخ الطوسي ج٥ ص١٩٧ وتفسير الآلوسي ج١٠ ص٧٣.

عدد جيش الأعداء:

الحديث المتقدم عن ابن أبي حدرد يصرح: بأن مالك بن عوف قال لأصحابه: «ثم تكون الحملة منكم، واكسروا جفون سيوفكم، فتلقونه بعشرين ألف سيف مكسورة الجفون»(١).

وقيل: كانوا ثلاثين ألفاً(٢).

وقال ابن شهرآشوب عن أمير المؤمنين «عليه السلام»: «وقف «عليه السلام» في وسط أربعة وعشرين ألفاً، ضارب سيف، إلى أن ظهر المدد من السماء»(٣).

بل سيأتي: أن جيش المشركين كان أضعاف عدد جيش المسلمين.

وذلك يدل أولاً: على عدم صحة ما زعمه بعضهم: من أن جيش الأعداء كان أربعة آلاف مقاتل فقط(٤).

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٣ عن الواقدي، والمغازي للواقدي ج٣ ص٨٩٣ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٠٩.

(٢) السيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٠٧ وتفسير الثعالبي ج٣ ص١٧٢ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٨٢.

(٣) مناقب آل أبي طالب ج١ ص٣٥٥ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ لمحمد الريشهري ج٩ ص٣٤١ وحلية الأبرار ج٢ ص٤٢٩ والبحار ج٤١ ص٦٦ .

(٤) تاريخ الخميس ج٢ ص٩٩ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٠٩ وتخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ج٢ ص٦٢ وتفسير ابن زمين ج٢ ص١٩٩ وتفسير السمعاني ج٢ ص٢٩٨ وتفسير الثقفي ج٢ ص٨٤ وتفسير =

ولعل المراد: أن عدد بني سعد، وثقيف كان أربعة آلاف[1].

ثانياً: إن آلافاً من المقاتلين قد التحقوا بجيش هوازن بعد كلام مالك بن عوف الآنف الذكر.

كلمات حول عدد الجيشين:

اعتاد المسلمون في مختلف حروبهم مع أعدائهم أن يكونوا أقل عدداً، وأضعف عدةً من جيش الأعداء، ويكون هذا التفاوت بحد لا يسمح ـ بحسب طبيعة الأمور ـ بتحقيق نصر مهما كان نوعه لهذه القلة على تلك الكثرة..

ولكن الله تبارك وتعالى كان يمنح المسلمين النصر، والمجد، والفخر أبد الدهر، ويعود أعداؤهم بالذل والخزي، والألم والقهر.

ولكن الأمر في غزوة حنين قد جاء على خلاف التوقعات، فعدد المقاتلين من المسلمين قد تضاعف عدة مرات عما كان عليه في أكثر الحروب السابقة..

كما أن هذا الجيش نفسه قد دخل مكة، وهي أعظم مواقع الخلاف على النبي «صلى الله عليه وآله» وعلى المسلمين، دون أن يجرؤ أحد من عتاة الشرك على مواجهة مهما كان نوعها. وبذلك يكون قد سجل أعظم انتصار له، من حيث إنه أسقط بذلك عنفوان الشرك، واستلب من المشركين القرار من المنطقة بأسرها، بصورة تامة ونهائية، وإلى الأبد.

ثم يواجه هذا الجيش الكبير، والمنتصر، والذي أدخل تحسينات كبيرة على

= مقاتل ج٢ ص٤٢ وتفسير السمرقندي ج٢ ص٤٩ وتفسير الثعلبي ج٥ ص٢٢ وتفسير البغوي ج٢ ص٢٧٨ والجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٩٧.

(١) راجع: السيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٠٧.

تجهيزاته، وأصبح أفضل حالاً، حتى من الناحية المادية.. جيشاً للمشركين أكثر منه عدداً، ولكنه لم يكن يظن أنه قادر على الصمود في وجهه، حتى قال بعض الناس في جيش المسلمين: «لن نغلب اليوم من قلة» أو نحو ذلك..

ولكن النتائج قد جاءت على عكس توقعات جيش المسلمين، فإنه قد خسر المعركة، ويفر من وجه أعدائه، وينحصر الصراع بين جيش يعد بعشرات الألوف، وبين شخص واحد، يتمكن من تحويل الهزيمة العظمى لأصحابه إلى نصر مؤزر على جيش جرار منتصر قبل لحظات، ويحوّل ذلك الشخص الواحد الرجال والنساء إلى أسرى، ويستولي على كل ما جاؤوا به من شاء ونعم وأموال.. وهذه هي المفارقة الحقيقية والمدهشة حقاً!!

ألف: جيش الأعداء:

فيما يرتبط بالتعبئة والخطة الحربية لجيش الأعداء يذكر المؤرخون: أنه لما كان ثلثا الليل عمد مالك بن عوف إلى أصحابه فعبأهم في وادي حنين، وهو واد أجوف ذو خطوط، وذو شعاب ومضايق. وفرق الناس فيها. وأوعز إليهم أن يحملوا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأصحابه حملة واحدة[1].

وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر «عليه السلام»: أنه لما مضى النبي «صلى الله عليه وآله» نحو هوازن، وأصبح منها على مسيرة بعض ليلة،

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٦ عن الواقدي، والطبقات الكبرى ج٢ ص١٥٠ وشرح السير الكبير للسرخسي ج١ ص١١٦ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٧٩.

«..قال مالك بن عوف لقومه: ليصيِّر كل رجل منكم أهله وماله خلف ظهره، واكسروا جفون سيوفكم، واكمنوا في شعاب هذا الوادي، وفي الشجر، فإذا كان في غبش الصبح، فاحملوا حملة رجل واحد، وهدُّوا القوم، فإن محمداً لم يلق أحداً يحسن الحرب»(١).

ب: جيش المسلمين:

وقالوا: «وعبأ رسول الله «صلى الله عليه وآله» أصحابه وصفهم صفوفاً في السحر، ووضع الألوية والرايات في أهلها، ولبس درعين، والمغفر، والبيضة. وركب بغلته البيضاء، واستقبل الصفوف، وطاف عليها بعضها خلف بعض، ينحدرون، فحضهم على القتال، وبشَّرهم بالفتح إن صدقوا وصبروا.

وقدم خالد بن الوليد في بني سليم وأهل مكة، وجعل ميمنة وميسرة وقلباً، كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيه»(٢).

أما مالك بن عوف، فصف الخيل ثم الرجالة المقاتلة، ثم صفت النساء

---

(١) تفسير القمي ج١ ص٢٨٧ والبحار ج٢١ ص١٤٩ و ١٥٠ عنه، وشجرة طوبى ج٢ ص٣٠٨ وتفسير مجمع البيان ج٥ ص٣٤ والتفسير الصافي ج٢ ص٣٣١ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص١٩٩ وتفسير الميزان ج٩ ص٢٣١.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٦ و ٣١٧ عن الواقدي وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠١ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص١٠٧ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٠٩ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٥٠ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٧٩.

على الإبل، ثم صفت الإبل، ثم البقر.

ثم قال للناس: إذا رأيتموهم (أو إذا رأيتموني شددت) شدوا عليهم شدة رجل واحد(١).

وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر «عليه السلام»: «فلما صلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» الغداة انحدر في وادي حنين. وهو واد له انحدار بعيد، وكانت بنو سليم على مقدمته، فخرج عليهم كتائب هوازن من كل ناحية، فانهزمت بنو سليم، وانهزم مَنْ وراءَهم»(٢).

ونقول:

إننا نسجل هنا الأمور التالية:

تعليق النصر على الصدق و الصبر:

وقد وعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» أصحابه بالنصر بشرطين:

أحدهما: الصدق، فتصدق أفعالهم أقوالهم، وتتطابق مع ظاهر حالهم، فإنك لو سألت أي واحد منهم عن حاله، لأكد لكً: أنه مستعد لبذل كل غال ونفيس من أجل هذا الدين، وأنه مشتاق للشهادة إلى درجة التلهف لها.

---

(١) راجع: السيرة الحلبية ج٣ ص١٠٦ و (ط دار المعرفة) ص٦٣ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٠٨.

(٢) تفسير القمي ج١ ص٢٨٧ والبحار ج٢١ ص١٤٩ عنه، وشجرة طوبى ج٢ ص٣٠٧ والتفسير الأصفى ج١ ص٤٥٩ وتفسير مجمع البيان ج٥ ص٣٤ والتفسير الصافي ج٢ ص٣٣١ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص١٩٩ وتفسير الميزان ج٩ ص٢٣١.

ولكن لطالما ظهر: أن هذه الإدعاءات مبالغ فيها، وأن مطابقة الأفعال للأقوال تكاد لا تتحقق إلا لدى أقل القليل منهم، فإن الأغراض لدى أكثرهم لم تكن هي الشهادة والدفاع عن الدين بقدر ما كانت هي الحصول على حطام الدنيا، سواء في ذلك الغنائم، أو السبايا، أو المقامات، أو ما إلى ذلك..

الثاني: أن ثمة أناساً صالحين وصادقين في مقاصدهم، وفي اندفاعهم لنصرة الدين وأهله. ولكن حين ينتهي الأمر إلى مواجهة البلايا، والرزايا، وحين تعضهم الحرب بنابها، وتعصر قلوبهم الآلام والمصائب، وتواجههم المتاعب والنوائب، فإنهم يضعفون، ويتراجعون، ويصير همهم تخليص أنفسهم مما هم فيه.. لأنهم لا يصبرون على ما أصابهم، ولا يحتسبون ثواب ذلك عند الله..

العرب تَباغت على النبي ' :

وروي بسند صحيح عن أبي عبد الله «عليه السلام» أنه قال: ما مرَّ بالنبي «صلى الله عليه وآله» يوم كان أشد عليه من يوم حنين، وذلك أن العرب تَباغت عليه[1].

فهذه الرواية تشير إلى أمر هام، وهو: بغي العرب مجتمعين على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في خصوص حنين.

ولعل فهم هذه الرواية سيكون صعباً للوهلة الأولى، لأن المفروض: أنه

---

(١) البحار ج٢١ ص١٨٠ وعن علل الشرايع ص١٥٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٤٦٢ .

«صلى الله عليه وآله» قدم بعشرة آلاف مقاتل أو أكثر إلى مكة، وتمكن من فتحها.

ثم خرج أهل مكة معه إلى حنين، عن بكرة أبيهم.

وقد كان هؤلاء من العرب.. فلم يكن في جميع حروبه السابقة أحسن حالاً ـ من حيث سعة تأييد العرب له ـ منه في حرب حنين..

فما هو المقصود إذن من قول الإمام الصادق «عليه السلام»: أن العرب تباغت على النبي «صلى الله عليه وآله» في حنين؟! وأن ذلك هو السبب في شدة حرب حنين عليه «صلى الله عليه وآله».

بل هو «عليه السلام» يقر: بأنه ما مرَّ بالنبي «صلى الله عليه وآله» يوم أشد عليه من حنين!!

ولعل الجواب عن ذلك هو: أن القضية في حنين كانت أكبر وأخطر مما نتصوره، فهوازن قد جمعت كما يقول زعيمها مالك بن عوف: عشرين ألف سيف.. بل في بعض الروايات: أنهم كانوا أربعة وعشرين ألفاً، أو كانوا ثلاثين ألفاً حسبما تقدم.

ثم إن الذين كانوا مع النبي «صلى الله عليه وآله» من أهل مكة، قد جاؤوا نظاراً لا يرجعون إلى دين، أو طمعاً بالغنائم، حتى لو كانت من المسلمين..

كما أن قسماً منهم، لم يكونوا ينزعجون لو كانت الصدمة لرسول الله «صلى الله عليه وآله».

وسنرى أيضاً: أن قسماً من المقاتلين كانوا من المنافقين. ومن المؤلفة قلوبهم، وممن عبّروا عن رغبتهم بأن تدور الدائرة على أهل الإيمان.. وحين

حلت الهزيمة بالمسلمين أظهروا فرحتهم، وحملوا خبر ذلك كبشارة للناس في مختلف الأنحاء.

وقد أظهرت النصوص: أكثر من محاولة اغتيال لرسول الله «صلى الله عليه وآله» في نفس لحظة فرار المسلمين كما سنرى إن ذلك كله وسواه وكذلك فرار جميع من كان مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» يؤكد: أن الأمر لم يكن طبيعياً، بل قد يروق للبعض أن يفهم: أن ثمة تفاهماً ضمنياً بين هوازن، وبين كثير من الزعماء المشبوهين، الذين كانوا بين أهل الإسلام؟!.

وأن تدبيرهم الذكي، والخفي؛ هو الذي جر المسلمين إلى تلك الهزيمة النكراء، التي كان يراد لها أن تنتهي بقتل النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»، إما اغتيالاً، أو في زحمة المعركة.

ولعل هذا التدبير التآمري قد تضمن فرار فريق في مقدمة الجيش، ليفر بعده الجيش كله، ويبقى «صلى الله عليه وآله»، ليتمكنوا من قتله في تلك الحال. إن ذلك هو ما سوف نستنطق له الدلائل والشواهد فيما يأتي من مطالب وفصول، وعليه نتوكل، ومنه نسأل التوفيق والتسديد، إنه خير مأمول، وأكرم مسؤول..

هل ظاهر النبي ’ بدرعين؟!:

إن ما ذكرته رواياتهم: من أنه «صلى الله عليه وآله» قد ظاهر بدرعين، ولبس البيضة والمغفر. والدرعان، هما: ذات الفضول، والسغدية وهي درع

داود، التي لبسها حين قتل جالوت(١) مما لا يمكن قبوله.

فأولاً: إنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن ليلبس درعين. في حين أن كثيرين من أصحابه «صلى الله عليه وآله» لا يجدون درعاً واحدة يتقون بها سلاح الأعداء..

بل إننا لا نظن: أنه يرضى بأصل لبس الدرع، إذا كان في أصحابه من هو حاسر، بل هو يؤثر بها من لا يجد درعاً ليلبسها، فإنه «صلى الله عليه وآله» ليس فقط لا يرضى إلا أن يسوي نفسه بأضعف أصحابه، بل هو يبادر إلى الإيثار على نفسه، قبل أن يطلبه من غيره.

ثانياً: إن من يركب البغلة ـ لا الفرس ـ وينزل عنها حين فرار الناس من حوله، ويقتحم جموع الأعداء، لا يلبس درعين.

ثالثاً: إن علياً «عليه السلام» كان يبرز إلى أعدائه في درع لا ظهر لها(٢)،

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١٠٧ و (ط دار المعرفة) ص٦٤ وسبل الهدى والرشاد ج٧ ص٣٦٨.

(٢) راجع: البحار ج٤٢ ص٥٨ وج٤١ ص٦٧ عن مناقب آل أبي طالب ج١ ص٢٩٦ ـ ٢٩٨ والتبيان في شرح الديوان [أي ديوان المتنبي (ط الحلبي بمصر) ج٣ ص٣١٢] ومعالم الفتن لسعيد أيوب عن مروج الذهب ج٢ ص٢٤٠ وعن كنز العمال ج١١ ص٣٤٧ وعن عيون الأخبار لابن قتيبة ج١ ص١٣٠ و ١٣١ وشرح النهج لابن أبي الحديد ج٢٠ ص٢٨٠ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ لمحمد الريشهري ج٩ ص٤٢٨ و ٤٢٩ وشرح إحقاق الحق ج٨ ص٣٢٥ وج١٨ ص٧٨ و ٧٩ وج٣١ ص٥٦٩ والنهاية في غريب الحديث ج٤ ص٣ ولسان العرب ج١ =

فإذا سئل عن ذلك، يقول: إذا مكنت عدوي من ظهري، فلا أبقى الله عليه إن أبقى علي(١).

وعن ابن عباس قال: والله ما رأيت رجلاً أطرح لنفسه في متلف من علي، ولقد كنت أراه يخرج حاسر الرأس إلى الرجل الدارع فيقتله(٢).

فلم يكن «عليه السلام» يظاهر بين درعين.. مع أنه كان يقذف بنفسه في أتون المعركة، في متن توقدها، وأوج ضرامها.

فهل نصدق على رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنه قد ظاهر بدرعين في حرب حنين؟!

= ص٦٥٨ والفايق في غريب الحديث للزمخشري ج٣ ص٦٣ ومجمع البحرين ج٣ ص٤٤٥ وتاج العروس ج٢ ص٣٠٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٣٤٠.

(١) المستطرف ج١ ص١٩٩ ط القاهرة، وتاج العروس (ط القاهرة) ج٨ ص ١٥٠ والموفقيات ص٣٤٣ وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق ج٣ ص٨٦٣ وج٤٢ ص٣٤٠ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ لمحمد الريشهري ج٩ ص٤٢٩ وشرح إحقاق الحق ج٨ص٣٢٥ وج١٨ ص٧٩ وج٣٢ ص٣٣٩ .

(٢) الرياض النضرة (ط الخانجي بمصر) ص٢٢٥ وذخائر العقبى (ط مكتبة القدسي بالقاهرة) ص ٩٨ و ٩٩ وأرجح المطالب (ط لاهور) ص١٧٨ والمناقب لابن المغازلي وعن وسيلة المآل، وراجع: جواهر المطالب لابن الدمشقي ج١ ص٢٦٦ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ لمحمد الريشهري ج٦ ص١٤٢ وج٩ ص٤٢٨ وشرح إحقاق الحق ج٣ ص٣٢٤ وج١٨ ص٨٠ وج٣٢ ص٥١٦.

بنو سليم.. وأهل مكة، وخالد:

وقد جعل «صلى الله عليه وآله» مقدمته بني سليم، وجماعة أهل مكة بقيادة خالد. وقد أثار اهتمامنا هنا أمران:

الأول: الكتلة العشائرية.

الثاني: دور بني سليم في هزيمة المسلمين.

وفي إشارة موجزة إلى هذين الأمرين نقول:

١ـ الكتلة العشائرية:

قد ظهر: أن مقدمة جيش المسلمين في حنين كانت مؤلفة من كتلتين عشائريتين هما: بنو سليم.. وأهل مكة.. وأن قيادة هذه المقدمة قد أسندت إلى أحد أهل مكة، الذي عُرف بتاريخه القتالي الحافل بالتعديات، والمخالفات، وهو خالد بن الوليد..

وكنا قد ذكرنا في بعض فصول الجزء الأول من هذا الكتاب: أنه وإن كان الإسلام يحارب العصبيات القبلية والعشائرية، ولكنه كان أيضاً يسعى لتغيير منطلقات العلاقة بين أفراد تلك العشائر، والقبائل، وبجعلها منطلقات إنسانية، وإيمانية، تتخذ من القبيلة وسيلة للتلاحم، والتعاضد والتعاون على الصالح العام، ودفع الشرور، وإشاعة الخير والصلاح..

ومن الواضح: أن جعل أبناء القبيلة الواحدة في موقع قتالي واحد، من شأنه أن يرفع من مستوى التعاون على دفع العدو من جهة، ويمكِّن من حفظ بعضهم البعض من جهة أخرى، حيث إن من يجد من نفسه بعضاً من قوة، لا بد أن يذب عن أخيه، ويجد الدافع لمضاعفة جهده في هذا السبيل،

من خلال دافع الرحم، والتعصب للقرابة.

وربما يكون ذلك سبباً في تقليل حجم الخسائر التي لا بد أن تترك أثرها على حياة الناس الأسرية، وعلاقاتهم الإجتماعية وواقعهم السياسي، وغير ذلك من أمور.

٢ـ دور بني سليم في هزيمة المسلمين:

قد أظهرت النصوص التي سيأتي شطر وافر آخر منها: أن بني سليم هم الذين انهزموا أولاً.. ثم تبعهم سائر الناس، حتى لم يبق أحد مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

ونحن وإن كنا لا نملك ما يدفع ذلك. بل لدينا ما يؤيده ويؤكده، غير أننا نقول:

إن أهل مكة قد شاركوا في هذه الهزيمة بصورة مؤثرة أيضاً، فإن قسماً منهم قد أسلم، ولكن لم ينصهر بهذا الدين بعد، ولا تفاعل معه، ولا ذاق حلاوته، وقسم أظهر الإسلام نفاقاً، ومجاراة لواقع استجدّ.. كما هو حال المؤلفة قلوبهم، الذين كانوا زعماء الناس. وقد أعطاهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» الغنائم التي بلغت أرقامها الألوف، أو عشرات الألوف من مختلف أنواع الماشية، فضلاً عن سائر الغنائم..

وقد كان هذا النوع من الناس يعدّون بالمئات أو الألوف، حتى لقد أعطى النبي «صلى الله عليه وآله» لمائة زعيم عشرة آلاف من الإبل، لكل واحد مائة منها، فضلاً عن عشرات أو مئات آخرين أعطاهم أقل من ذلك.. من أجل أن يتألفهم على الإسلام..

في النصوص أيضاً: أن فريقاً من أهل مكة كان يرضيهم أن تكون الصدمة للمسلمين في هذه الحرب. وقد أظهر بعضهم شماتته بما جرى حين فرّ المسلمون.

فوجود هؤلاء في المقدمة يجعل احتمال أن تكون لهم مشاركة فاعلة ومؤثرة في الهزيمة قريباً جداً، فكيف إذا دلت عليه بعض النصوص التي ستأتي إن شاء الله تعالى.

كما أن خالداً قائدهم لا يمكن تبرئته من المشاركة في صنع هذه الهزيمة، أو تهيئة الأجواء لها، خصوصاً وأنه على المقدمة، ولم يظهر منه أي اعتراض على ما جرى، بل كان هو في جملة المنهزمين..

والذي يدعونا إلى القبول بهذه الإثارات وتأييدها: أننا وجدنا خالداً لم يظهر له إسلام إلا قبيل الفتح، وحين أظهر إسلامه، وأوكلت إليه بعض المهمات، لم يكن أداؤه فيها محموداً، بل هو قد ارتكب مذابح وفظائع، وفجائع في حق الأبرياء، حتى تبرأ النبي «صلى الله عليه وآله» مما صنع، وغضب عليه، واعرض عنه..

بل هو لم يرتدع عن مثل هذه الأفاعيل، حتى بعد استشهاد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقصة قتله مالك بن نويرة، وزناه بزوجته في ليلة قتله، معروفة عنه.

فلماذا؟ وكيف يمكن تبرئته من عار صنع الهزيمة في حرب حنين؟!

هل هذا أبو بكر؟!:

قال تعالى: **{لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ**

مُدْبِرِينَ ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ}(١).

عن الربيع بن أنس قال: قال رجل يوم حنين: «لن نغلب من قلة»، فشق ذلك على رسول الله «صلى الله عليه وآله». وكانت الهزيمة(٢).

وعن الحسن قال: لما اجتمع أهل مكة وأهل المدينة قالوا: الآن نقاتل حين اجتمعنا، فكره رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما قالوا، مما أعجبهم من كثرتهم، فالتقوا، فهزموا حتى ما يقوم أحد على أحد(٣).

وعن أنس قال: لما اجتمع يوم حنين أهل مكة وأهل المدينة، أعجبتهم كثرتهم، فقال القوم: اليوم والله نقاتل(٤).

---

(١) الآيتان ٢٥ و ٢٦ من سورة التوبة.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٧ عن يونس بن بكير في زيادات المغازي، وراجع: السيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٠٧ والبحار ج٢١ ص١٤٧ و ١٦٥ عن مجمع البيان ج٥ ص١٧ و ١٨ وإعلام الورى ص١١٩ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠٠ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٦٢ وفتح الباري ج٨ ص٢١ وتخريج الأحاديث والآثار ج٢ ص٦٣ والفتح السماوي للمناوي ج٢ ص٦٧٣ وتفسير الجلالين ص٤٣٩ والدر المنثور ج٣ ص٢٢٤ ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص١١٦ و (ط دار الكتب العلمية) ص١٠٣ وفتح القدير ج٢ ص٣٤٨ وتفسير الآلوسي ج١٠ ص٧٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٧٥.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٧ عن ابن المنذر، والدر المنثور ج٣ ص٢٢٤ وفتح القدير ج٢ ص٣٤٨.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٧ عن أبي الشيخ، وابن مردويه، والبزار، والحاكم وصححه، والدر المنثور ج٣ ص٢٢٥ وفتح القدير ج٢ ص٣٤٨.

ولفظ البزار: فقال غلام من الأنصار يوم حنين ـ وهو سلمة بن الأكوع، أو سلمة بن وقش ـ: «لن نغلب اليوم من قلة»، فما هو إلا أن لقينا عدونا، فانهزم القوم، وولوا مدبرين[1].

وقال المفيد «رحمه الله»: فظن أكثرهم أنهم لن يغلبوا، لما شاهدوه من جمعهم، وكثرة عدتهم وسلاحهم، وأعجب أبا بكر الكثرة يومئذ، فقال: لن نغلب اليوم من قلة.

فكان الأمر بخلاف ما ظنوه، وعانهم أبو بكر بعجبه بهم[2].

وتقول رواية أخرى: إن العباس باهى بكثرة العسكر، فمنعه النبي «صلى الله عليه وآله»، وقال: «تستنصر بصعاليك الأمة»؟![3].

عن الزهري: قال رجل من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لو لقينا بني شيبان ما بالينا، ولا يغلبنا اليوم أحد من قلة[4].

قال ابن إسحاق: حدثني بعض أهل مكة: أن رسول الله «صلى الله

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٧ عن أبي الشيخ، وعن الحاكم وصححه، وابن مردويه، والبزار، وعن مجمع الزوائد ج٦ ص١٨١ والسيرة الحلبية ج٣ ص١١٠ وراجع: مجمع الزوائد ج٦ ص١٧٨ زاد المسير لابن الجوزي ج٣ ص٢٨١ وتفسير السمعاني ج٢ ص٢٩٨ وتفسير أبي السعود ج٤ ص٥٥ وتفسير الآلوسي ج١٠ ص٧٣ وراجع: بناء المقالة الفاطمية لابن طاووس ص١٣٩.

(٢) الإرشاد للمفيد ج١ ص١٤٠ والبحار ج٢١ ص١٥٥ وكشف الغمة ج١ ص٢٢٠.

(٣) تاريخ الخميس ج٢ ص١٠٠.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٧ والمغازي للواقدي ج٢ ص٨٩٦ وإمتاع الأسماع ج٢ ص١٠.

عليه وآله» قال حين فصل من مكة إلى حنين، ورأى كثرة من معه من جنود الله تعالى: «لن نغلب اليوم من قلة»، كذا في هذه الرواية(١).

والصحيح: أن قائل ذلك غير النبي «صلى الله عليه وآله» كما سبق.

قال ابن إسحاق: وزعم بعض الناس: أن رجلاً من بني بكر قالها(٢).

وعن سعيد بن المسيب: أن أبا بكر قال: يا رسول الله، لن نغلب اليوم من قلة(٣). (وشق ذلك على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وساءته تلك

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٧ عن ابن إسحاق، وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠٠ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص١١٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٨٩٥.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٧ عن الواقدي، وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٨٩٥ وإمتاع الأسماع ج٢ ص١٠.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٧ عن الواقدي، وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٠٠ وتفسير البحر المحيط لابن حيان الأندلسي ج٥ ص٢٥ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص١١٠ و (ط دار المعرفة) ص٦٩ والإفصاح للمفيد ص٦٨ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٨٠ والبحار ج٢١ ص١٥٥ وشرح النهج ج١٥ ص١٠٦ وتفسير الآلوسي ج١٠ ص٧٣ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٥٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٧٤ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٦٩ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٧٩ وكشف الغمة للأربلي ج١ ص٢٢١ وكشف اليقين للحلي ص١٤٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦١٠ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ لمحمد الريشهري ج١ ص٢٥٥ ونهج الحق وكشف الصدق للحلي ص٢٥١ وإحقاق الحق (الأصل) ص٢٠٦.

الكلمة[١]).

كذا في هذه الرواية، وبذلك جزم ابن عبد البر[٢].

من القائل: لن نغلب اليوم من قلة؟!

اختلفت الروايات في اسم الذي قال: لن نغلب اليوم من قلة، أو نحو ذلك، هل هو رسول الله «صلى الله عليه وآله» (والعياذ بالله)؟!

أو هو أبو بكر، قال ذلك للنبي «صلى الله عليه وآله».

أو قاله سلمة بن الأكوع.

أو أن القائل هو سلمة أو سلامة بن وقش نفسه؟!

أو العباس بن عبد المطلب؟!

أو هو غلام من الأنصار؟!

أو رجل من الصحابة؟!

أو أهل مكة، أو أهل المدينة؟!

---

(١) السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٦٩ وراجع: البحار ج٢١ ص١٦٥ وتخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ج٢ ص٦٣ والدر المنثور ج٣ ص٢٢٤ ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص١١٦ و (ط دار الكتب العلمية) ص١٠٣وفتح القدير ج٢ ص٣٤٨ وتفسير الآلوسي ج١٠ ص٧٤ وإعلام الورى ج١ ص٢٢٨ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٧ عن المغازي للواقدي ج٣ ص٨٩٦ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٠٠ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص١١٠ وتفسير البحر المحيط ج٥ ص٢٥.

أو رجل من بني بكر؟!

فما هذا التردد، وما هذه الحيرة في تعيين قائل تلك العبارة المشؤومة؟!

ألا يشير ذلك: إلى أن هناك سعياً لإخفاء اسم القائل الحقيقي عن الناس؟! ومن هو ذلك الشخص المحظوظ، الذي يسعى الرواة لإسداء هذه الخدمة الجليلة إليه؟!

ونحن لا نرى سبباً لإخفاء اسم أحد من هؤلاء، الذين ذكروهم، إلا إن كان اسم العباس، من قبل العباسيين.

أو اسم أبي بكر من قبل من يعتقدون إمامته وخلافته.

فإذا كان هذا الإخفاء يتولَّاه أناس عاشوا في زمن بني أمية، مثل الزهري، والحسن، وبعض الصحابة مثل أنس وأمثالهم، فإن من الواضح: أنه لم يكن للعباسيين دور أو ذكر، أو شوكة، أو نفوذ في تلك الفترة.

فينحصر الأمر في محبي الخلفاء، والمعتقدين بإمامتهم.

وبذلك يترجح احتمال أن يكون قائل ذلك هو: أبو بكر.

وبه جزم ابن عبد البر وغيره.

اتهام النبي ' بالكفر:

إن اتهام النبي «صلى الله عليه وآله»: بأنه ممن أعجبته الكثرة يوم حنين كما أظهرته رواية البراء بن عازب[1] باطل ومكذوب، بلا ريب، وذلك لما يلي:

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١١٠ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٠٩وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٥ و ٣٢٦، وراجع: جامع البيان للطبري ج١٠ ص١٢٨ والمحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز ج٣ ص١٩ =

أولاً: إن نسبة ذلك إلى النبي «صلى الله عليه وآله» لا تجوز، فإن ذلك يستبطن الطعن في نبوته «صلى الله عليه وآله»، على أساس أن القرآن قد صرح: بأن الإعجاب بالكثرة قد صاحبه اعتبار: أن الكثرة هي المعيار في النصر والظفر، وليس التأييد الألهي، ولذلك قبّح الله تبارك وتعالى ذلك منهم، ولامهم وذمهم عليه، مصرحاً بأنهم: قد اعتمدوا على كثرتهم، واعتبروا أنها تغنيهم وتكفيهم، فقال سبحانه: **{إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً}**. رغم أن الله تعالى قد نصرهم في مواطن كثيرة تصل إلى ثمانين.

ثانياً: إننا لم نزل نسمع من الرسول الهادي «صلى الله عليه وآله» التأكيد تلو التأكيد على أن النصر من عند الله، وبمشيئته، وتسديده، وتوفيقه. وقد صرح القرآن بأن النصر لا يكون إلا من عند الله تعالى. والنبي «صلى الله عليه وآله».

هو الذي كان يقرأ على الناس قوله تعالى عن بدر: **{وَمَا النَّصْرُ إِلاَ مِنْ عِنْدِ الله الْعَزِيزِ الحَكِيمِ}**[1]. وهذه الآية إنما نزلت في سورة آل عمران، التي نزلت في أيام بدر، في أوائل الهجرة.

وقد فتح الله لهم مكة، ونسب النصر فيها إلى نفسه أيضاً، فقال: **{وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْراً عَزِيزاً}**[2].

= والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٦٢ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٨٩٥ .

(١) الآية ١٢٦ من سورة آل عمران، والآية ١٠ من سورة الأنفال.

(٢) الآية ٣ من سورة الفتح.

والجيش الذي فتح مكة هو نفسه الذي يتوجه لقتال هوازن.

وقال عن غزوة أحد: **{إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}**(١).

وقال: **{وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ}**(٢).

والآيات التي تشير إلى هذه المعاني كثيرة، وكلها نزلت قبل غزوة حنين..

ثالثاً: إن صريح الآية القرآنية أن الذين أعجبتهم كثرتهم هم الذين ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، ثم ولوّا مدبرين. وثبت في ساحة المعركة، ثلة قليلة من المؤمنين، فاستحق هؤلاء الثابتون إنزال السكينة عليهم، لأنهم كانوا يتحملون الشدائد، ويواجهون الأخطار الجسام.

وهم علي «عليه السلام» في ساحة القتال وبعض بني هاشم، الذين احترسوا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وضربوا عليه طوقاً بشرياً يحميه.. كما أن السكينة نزلت على رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وأنزل عليه «صلى الله عليه وآله» وعليهم جنوداً لم يرها أولئك الذين هربوا..

فكيف يدَّعي هؤلاء الجهلة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد قال تلك الكلمة المشؤومة؟!

رابعاً: كيف يكون قائل ذلك هو رسول الله «صلى الله عليه وآله»،

---

(١) الآية ١٦٠ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ١٣ من سورة آل عمران.

والحال أن عدداً من الروايات يصرح: بأنه «صلى الله عليه وآله» قد كره هذه المقالة منهم؟!

وبعضها يقول: فشق ذلك على رسول الله «صلى الله عليه وآله». أو نحو ذلك فراجع(١).

أتستنصر بصعاليك الأمة؟!:

قد تقدمت الرواية التي تقول: إن العباس باهى بكثرة العسكر، فمنعه «صلى الله عليه وآله»، وقال: أتستنصر بصعاليك الأمة؟(٢).

والصعلوك هو: الفقير.

وصعاليك العرب: ذؤبانها، أي لصوصها، وفقراؤها(٣).

وهي كلمة هامة ومثيرة، خصوصاً، وأنها صدرت من نبي الإسلام الأعظم «صلى الله عليه وآله»، الذي: **{مَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَ وَحْيٌ يُوحَى}** (٤).

وإذا أردنا تحليل هذه الكلمة، فإن أول ما يواجهنا فيها هو: أن المقصود بالصعلوك هنا ليس هو الفقير، فإن الفقر لا يمنع من البطولة، والإقدام، والشجاعة، والشدة في الحرب إلى بلوغ النصر.. بل لعل أعظم الناس

---

(١) راجع: رواية الربيع بن أنس، ورواية الحسن المتقدمتين في مصادرهما. ورواية مباهاة العباس بكثرة من معهم، فمنعه «صلى الله عليه وآله».

(٢) تاريخ الخميس ج٢ ص١٠٠.

(٣) أقرب الموارد ج١ ص٦٤٨ وراجع: تاج العروس ج١٣ ص٥٩٩ .

(٤) الآيتان ٣ و ٤ من سورة النجم.

شجاعة كانوا من الفقراء، الذين لم يتذوقوا طعم النعيم، ولم تشدهم ملذات الحياة إليها، ليخلدوا إلى الأرض، فيمنعهم ذلك من ركوب الأهوال، ومن الإقدام على المخاطر.

إن الشجاعة والإقدام، هي نتاج طموح كبير، أو نتاج رؤية إيمانية واعتقادية، تهييء لانفعال روحي وإنساني فاعل وقوي. أو هي وليدة حدث وجداني، يثير هزة مشاعرية عميقة، وتحرك معاني النبل، والشمم، والكرم في عمق الذات، وتدفع إلى التضحية والإيثار، في مواقع الفداء والعطاء، بلا حدود ولا قيود.

أما الذؤبان واللصوص، فهم الذين يفقدون الإحساس الإنساني، والدافع الإيماني، ويعيشون في مستنقعات الأهواءن ويصبحون أسرى انحطاط طموحاتهم، وانحسار وضمور مشاعرهم الإنسانية، ونضوب الروافد الفكرية الإيمانية..

إن هؤلاء يفقدون معنى الشجاعة، ولا يفهمون معنى لنصرة المظلومين، لأنهم هم الذين يشاركون في إشاعة الظلم، ولا تحركهم المشاعر الإنسانية، لأنهم اجتثوا كل عروقها النابضة، وجففوا روافدها في أعماق نفوسهم، ولا تحجزهم معاني الإيمان والاعتقاد بعد أن نضبت روافدها، وتلاشت كل أشباح معانيها من حنايا قلوبهم.

إن اللصوصية التي تعني أن يعيش الإنسان حالة مزرية من الإنحطاط الخلقي، والجفاف العاطفيين والتقوقع في قفص الذات، والتفكير في التفاهات الصغيرة، وصنع مفردات الخزي والعار، لا يمكن أن تدفع صاحبها إلى أن ينجد مظلوماً، أو أن يدافع عن قضايا كبيرة، فضلاً عن أن

يضحي في سبيل القيم، ومن أجل المعاني الإنسانية والإيمانية.

وذلك هو ما يفسر لنا استنكار النبي «صلى الله عليه وآله» على العباس بقوله: «أتستنصر بصعاليك الأمة»؟!

فهو «صلى الله عليه وآله» يرى في أكثر ذلك الجمع: أنهم ذؤبان وصعاليك، لأن أكثرهم جاء لأجل الغنائم، واستلاب أموال الناس، ولا يبالي بعد هذا بما يجري للطفل الصغير، والشيخ الكبير.. كما لا يهمه أن ينتصر الدين، أو ينكسر، وأن يكون النصر للحق وأهله، أو للباطل وحزبه. إنهم يريدون أن يضحوا بكل شيء من أجل أنفسهم وشهواتهم، فهم اللصوص والذؤبان.. الذين يهربون عن أدنى خطر يستشعرونه، ويخافون من أي سانح أو بارح، ومن الساكت والصائح، والضاحك والنائح.

وقليل هم أولئك المؤمنون الطيبون الذين يشعرون بالمسؤولية، ويعيشون القيم الإنسانية، ويلتزمون بحدود الشرع، ويفكرون في نصرة الدين وأهله، مهما غلت التضحيات، وقد أظهرت الوقائع أن هؤلاء هم خصوص النبي «صلى الله عليه وآله» وثلة قليلة معه، هم الذين أنزل الله سكينته عليهم من المؤمنين.

الفصل الرابع:

الهزيمة وتمحّل الأعذار

الهزيمة في اللحظات الأولى:

أنه لا ريب في وقوع الهزيمة على المسلمين، في اول صدام لهم مع المشركين.. وقد حاول أهل التعذير والتبرير، وأنصار المؤلفة قلوبهم عرض الأحداث بطريقة ذكية وخادعة، خلطوا فيها الغث بالسمين، والصحيح بالسقيم، فقالوا:

كان خالد بن الوليد مع بني سليم في مقدمة الجيش، وكان أكثرهم حسراً ليس عليه سلاح، أو كثير سلاح. فلقوا قوماً رماة لا يكاد يسقط لهم سهم. والمسلمون عنهم غافلون، فرشقوهم رشقاً لا يكادون يخطئون، فولّى جماعة كفار قريش، الذين كانوا في جيش الإسلام، وشبان الأصحاب، وأخفاؤهم. وتبعهم المسلمون الذين كانوا قريب العهد بالجاهلية، ثم انهزم بقية الأصحاب[1].

وذكروا أيضاً: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد انحدر في الوادي في غبش الصبح.. فخرج عليهم القوم، وكانوا قد كمنوا لهم في شعاب الوادي، ومضايقه، فحملوا عليهم حملة رجل واحد، وكانت هوازن رماةً،

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص١٠١ وراجع: تفسير البغوي ج٢ ص٢٧٨.

فاستقبلوهم بالنبل، كأنهم جراد منتشر، لا يكاد يسقط لهم سهم..

وقال البراء بن عازب: كانت هوازن رماةً، وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا، فأكبينا على الغنائم، فاستقبلونا بالسهام، فأخذ المسلمون في الرجوع منهزمين، لا يلوي أحد عن أحد.

إلى أن قالوا: إن الطلقاء قال بعضهم لبعض: أخذلوه فهذا وقته، فانهزموا أول من انهزم، وتبعهم الناس[1].

ونقول:

إن في ما ذكر آنفاً مواضع للنظر، والنقاش نجملها فيما يلي:

وقت الإنحدار في الوادي:

لماذا اختار النبي «صلى الله عليه وآله» الإنحدار في الوادي في غبش الصبح؟ مع أن الجيش يسير في العادة نهاراً ويستريح ليلاً، والمسير في الليل يحمل معه أخطار مواجهة الكمائن في المضائق والشعاب..

ألا يدل ذلك: على عدم صحة ما زعموه، وأنه «صلى الله عليه وآله» قد سار في الجيش نهاراً.

المضائق والكمائن:

وزعموا: أن المشركين قد كمنوا في المضايق والشعاب، فهاجموهم، ثم كانت الهزيمة..

وهذا الكلام موضع ريب وشك.

____

(١) السيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٠٩ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٠٨.

أولاً: قد تقدم: أن الموضع الذي اختير للقتال لم يكن فيه مضايق ولا شعاب، لأن دريد بن الصمة حين لمس الأرض وسأل عنها، وأخبروه باسمها، قال: نعم مجال الخيل، لا حزن ضرس، ولا سهل دهس.

فالموضع الصالح لجولان الخيل، لا بد أن يكون متسعاً ليس فيه عوائق..

ثانياً: إنه لا يصح قولهم: إن الكمين هو الذي هزمهم، فقد صرحت رواية البراء بن عازب: بأن الجيشين قد تواقفا، وإن جيش المسلمين قد حمل على المشركين فكشفهم، فانكبوا على الغنائم، فاغتنمها منهم المشركون فرصة، فرشقوهم بالسهام..

ثالثاً: إن الهزيمة إنما وقعت على خصوص بني سليم، ومن جهة واحدة، ولو كان الهجوم من المضايق والشعاب، أو على خصوص أهل مكة لم يتبعهم غيرهم..

إلا أن يدَّعى: أن الجيش كان يسير على شكل صف طويل.. لأنه منحدر في الوادي الضيق.. مع أن الأمر ليس كذلك، فإن العائدين قد عادوا إلى القتال في ساحة متسعة، كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد بقي صامداً فيها، وقد مر به المنهزمون، وكان يناديهم، ولكنهم لا يلوون على شيء.

ونقول لهؤلاء:

إنهم قد فشلوا حين زعموا: أن المقدمة، كانت لا تملك سلاحاً.

فإن المقدمة كانت تتألف من أهل مكة، وكان أهل مكة هم الأغنى في المنطقة بأسرها، وهم الأكثر سلاحاً فيها.

ومن بني سليم، الذين لم يزل العباس بن مرداس يفتخر بهم وبدروعهم، فيقول:

من كـل أغلب من سليـم فوقـه　　　بيضـاء محكمـة الدخـال وقونس[1]

فالدخال: الدروع. والقونس: أعلى بيضة الخوذة.

ويقول:

على الخيل مشدوداً علينا دروعنا　　　ورجـلاً كـدفـاع الآتي عـرمـرما[2]

وهذا يدل: على أنهم كانوا في غاية الإستعداد والإعداد، فلماذا يزعم هؤلاء المدافعون عنهم: أن الذين تتألف منهم المقدمة كان أكثرهم حسراً، ليس عليهم سلاح، أو كثير سلاح؟!

كما أن هؤلاء قد نجحوا حين بينوا: أن كفار قريش كانوا في المقدمة.

وفشلوا أيضاً: حين زعموا: أن شبان الأصحاب كانوا في المقدمة..

فإن ذلك لا يعدو كونه تخرصاً ورجماً بالغيب.

ونجحوا أيضاً حين بينوا: أن الذين انهزموا كانوا قريب العهد بالجاهلية..

وفشلوا: حين لم يبينوا دور خالد وبني سليم، وزعماء قريش، وعموم أهل مكة بما فيهم الرؤساء والزعماء في صنع الهزيمة..

ونجحوا حين اعترفوا بالهزيمة لمن لا يحبون أن ينسبوا إليهم أي شيء ينقص من قدرهم، ويظهر عجزهم.

وفشلوا حين ادَّعوا: أن السبب في الهزيمة هو رميهم بالسهام رمياً لا

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص١٠١ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٦ ص٤٢٣ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٩٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٩١٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٥٠ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٤٥.

(٢) البداية والنهاية ج٤ ص٣٩٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٩١٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٥١ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٤٦.

يكاد يخطئ، فإن ذلك أيضاً يدخل في باب التهويل والتضخيم للأمور، بدون دليل معقول، ومقبول. مع تصريح النصوص المتقدمة بأن السلاح الذي واجههم كان من جميع الأنواع..

النبي ’ هو الذي اختار مقدمة الجيش:

وقد يسأل سائل: لماذا اختار الرسول «صلى الله عليه وآله» مقدمة جيشه من خصوص هؤلاء، مع أن احتمالات هزيمتهم جبناً وخوراً، أو تآمراً وكيداً كانت قريبة، وظاهرة؟!

ونجيب: بأننا قد ذكرنا سبب ذلك في موضع سابق من هذا الكتاب. وقلنا: إن من جملة مقاصده «صلى الله عليه وآله» ما يلي:

١ ـ إن ذلك يطمئن زعماء مكة، وجميع الزعامات الأخرى في المنطقة إلى أنه «صلى الله عليه وآله» يقبلهم في المجتمع الإسلامي، ويعاملهم فيه كغيرهم، ولا يريد أن ينتقم من أحد، ولا محاسبة أحد.

٢ ـ كما أنه لا يريد مما يدعوهم إليه ان يكتسب لنفسه شيئاً، ولا أن يستأثر بشيء، بل إن أراد شيئاً فإنما يريده لهم..

٣ ـ وليعلم الجميع: أن دخولهم في الإسلام لا ينقص من قدرهم، ولا يوجب الخسران لهم، بل هو يعلي من مقامهم، ويمنحهم العزة والكرامة، والمجد والزعامة، ويمكّنهم من الحصول على خير الدنيا والآخرة.

٤ ـ إن أهل المنطقة إذا رأوا أن الذين يخشون سطوتهم هم الذين يدعونهم إلى هذا الدين، بل هم يحاربونهم دفاعاً عنه وعن أهله، وعن نبيه، فإن ذلك سوف يعطي أولئك الناس شعوراً بالأمن والطمأنينة إلى أنهم

سوف لا يتعرضون للعقوبة بعد رجوع النبي «صلى الله عليه وآله» إلى بلده، وصيرورتهم وحدهم في مواجهة أولئك الناس الذين عرفوا قسوتهم، وشهدوا فصولاً من انتقامهم من مخالفيهم بصورة غير عقلانية، ولا إنسانية وسوف لا يخشون سطوتهم وانتقامهم.

توجيهات سقيمة للهزيمة:

وقد حاول أهل التبرير، ومحبو التماس الأعذار مهما كانت باردة وغير منطقية أن يبرروا الهزيمة، فجاؤوا بالعجب العجاب.

ويتضح ذلك من خلال ملاحظة ما يلي:

شبان لا خبرة لهم:

وذكر كثير من أهل المغازي: أن المسلمين لما نزلوا وادي حنين تقدمهم كثير ممن لا خبرة لهم بالحرب، وغالبهم من شبان أهل مكة، فخرجت عليهم الكتائب من كل جهة، فحملوا حملة رجل واحد، والمسلمون غارون، فر من فر، وبلغ أقصى هزيمتهم مكة، ثم كروا بعد(١).

قلة السلاح.. والإقبال على الغنائم:

وعن البراء بن عازب قال: عجل سرعان القوم ـ وفي لفظة: شبان أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ليس عليهم سلاح، أو كثير سلاح، فإنّا لما حملنا على المشركين انكشفوا، فأقبل الناس على الغنائم، وكانت هوازن

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٨.

رماة، فاستقبلتنا بالسهام كأنها رجل جراد، لا يكاد يسقط لهم سهم[1]. انتهى .

وعند الطبرسي: «فما راعنا إلا كتائب الرجال بأيديها السيوف، والعمد، والقنا، فشدوا علينا شدة رجل واحد، فانهزم الناس راجعين، لا يلوي أحد على أحد، وأخذ رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذات اليمين»[2].

اتهام النبي ' بالفرار:

وعن أبي إسحاق السبيعي قال: جاء رجل من قيس إلى البراء بن عازب، فقال: أكنتم وليتم؟

وفي رواية: أوليت؟

وفي أخرى: أوليتم مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟

وفي أخرى: أفررتم يوم حنين يا أبا عمارة؟

فقال: أشهد على رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنه ما ولّى.

وفي رواية: لا والله، ما ولى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم حنين دبره، ولكنه خرج بشبان أصحابه، وهم حسّر ليس عليهم سلاح أو كثير سلاح، فلقوا قوماً رماة لا يكاد يسقط لهم سهم، فلما لقيناهم وحملنا عليهم انهزموا، فأقبل الناس على الغنائم، فاستقبلونا بالسهام كأنها رجل جراد لا

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٨ و ٣١٩ وفي هامشه عن: البخاري ٧/ ٦٢٢ (٤٣١٧).

(٢) إعلام الورى ص١٢١ و (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص٢٣٠ والبحار ج٢١ ص١٦٦ وقصص الأنبياء للراوندي ص٣٤٧ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج١ ص١٨١ وشجرة طوبى ج٢ ص٣٠٩ والدر النظيم لابن حاتم العاملي ص١٨٢.

يكادون يخطئون، وأقبلوا هناك إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ورسول الله «صلى الله عليه وآله» على بغلته البيضاء، وأبو سفيان بن الحارث يقود به، فنزل رسول الله «صلى الله عليه وآله» ودعا واستنفر، وقال «صلى الله عليه وآله»:

«أنـــا الـــنبـــي لا كـــذب أنـــا ابـــن عـــبـــد المـــطـــلـــب

اللهم أنزل نصرك»[1].

الكمين سبب آخر:

عن جابر بن عبد الله، وعن أنس بن مالك: لما استقبلنا وادي حنين، انحدرنا في واد أجوف، خطوط، له مضايق وشعاب، وإنما ننحدر فيه

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٥ و ٣٢٦ عن ابن سعد، وابن أبي شيبة، والبيهقي، والبخاري، وابن مردويه، وفي هامشه عن: البخاري ج٧ ص٦٢٢ (٤٣١٧)، ومسلم ج٣ ص١٤٠٠ (٧٨) والبيهقي في الدلائل ج٥ ص١٣٤ وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص١٠٥ وكنز العمال ج١٠ ص٥٤٠ وتفسير البحر المحيط ج٥ ص٢٦ وراجع: صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٣ ص٢٣٣ وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج٥ ص١٦٨ وراجع: سنن الترمذي ج٣ ص١١٧ والسُّنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص١٥٥ وعمدة القاري ج١٤ ص٢٠٢ ومسند ابن الجعد ص٣٦٤ والمصنف لابن أبي شيبة الكوفي ج٦ ص١٨١ وج٨ ص٥٥٠ وشرح معاني الآثار ج٣ ص٢٧١ وتفسير البغوي ج٢ ص٢٧٨وأحكام القرآن لابن العربي ج٢ ص٤١٣ وتفسير الرَّازي ج١٦ ص٢١ والدر المنثور ج٣ ص٢٢٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٤ ص١٥وإحقاق الحق (الأصل) ص٢٧١ وسير أعلام النبلاء ج٨ ص١٨٥.

انحداراً، وفي عماية الصبح، وقد كان القوم سبقونا إلى الوادي فمكثوا في شعابه وأجنابه ومضايقه وتهيؤا، فوالله، ما راعنا ونحن منحطون إلا الكتائب قد شدوا علينا شدة رجل واحد، وكانوا رماة[١].

قال أنس: استقلبنا من هوازن شيء، لا والله ما رأيت مثله في ذلك الزمان قط، من كثرة السواد، قد ساقوا نساءهم وأبناءهم وأموالهم ثم صفوا صفوفاً، فجعلوا النساء فوق الإبل وراء صفوف الرجال، ثم جاؤوا بالإبل والبقر والغنم، فجعلوها وراء ذلك، لئلا يفروا بزعمهم.

فلما رأينا ذلك السواد حسبناه رجالاً كلهم.

فلما انحدرنا في الوادي، فبينا نحن في غبش الصبح إن شعرنا إلّا بالكتائب قد خرجت علينا من مضيق الوادي وشعبه، فحملوا حملة رجل واحد، فانكشفت أوائل الخيل ـ خيل بني سليم ـ مولية، وتبعهم أهل مكة، وتبعهم الناس منهزمين ما يلوون على شيء، وارتفع النقع فما منا أحد يبصر كفه[٢].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٨ عن ابن إسحاق، وأحمد، وابن حبان، وأبي يعلى، والواقدي. وراجع: مسند أحمد ج٣ ص٣٧٦ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٧٩ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٤٧ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٦٣ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٧٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٨٩٣ وعيون الأثر ج٢ ص٢١٥ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب في الكتاب والسنة والتاريخ لمحمد الريشهري ج١ ص٢٥٥ وإعلام الورى ص١٢١ والبحار ج٢١ ص١٦٦ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠١ وتفسير السمرقندي ج٢ ص٤٩.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٨ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٨١ وراجع تفسير =

وقال جابر: وانحاز رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذات اليمين، ثم قال: «أيها الناس، هلم إلي. أيها الناس، هلم إلي. أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله».

قال: فلا شيء وحملت الإبل بعضها على بعض، فانطلق الناس(1).

وعن أبي بشير المازني قال: لما كان يوم حنين صلينا الصبح، ثم رجعنا على تعبئة من رسول الله «صلى الله عليه وآله» فما شعرنا ـ وقد كاد حاجب الشمس أن يطلع، وقد طلع ـ إلا بمقدمتنا قد كرت علينا، قد انهزموا، فاختلطت صفوفنا، وانهزمنا مع المقدمة، وأكر، وأنا يومئذٍ غلام شاب، وقد علمت أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» متقدم، فجعلت أقول: يا

= مجمع البيان ج٥ ص٣٤ وتفسير الميزان ج٩ ص٢٣١ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٥١ وشرح السير الكبير للسرخسي ج١ ص١١٧ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٧٤ وإمتاع الأسماع ج٢ ص١٢ وج٨ ص٣٨٩ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب في الكتاب والسنة والتاريخ لمحمد الريشهري ج١ ص٢٥٥.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٨ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٨٢ و ١٨٣ وراجع: إعلام الورى ص١٢١ والبحار ج٢١ ص١٦٦ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠١ ومسند أحمد ج٣ ص٣٧٦ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٥٨ والثقات لابن حبان ج٢ ص٦٩ وأسد الغابة ج٤ ص٢٨٩ وج٥ ص٢١٤ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٤٧ والكامل لابن الأثير ج٢ ص٢٦٣ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٧٦ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٧٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٨٩٣ وعيون الأثر ج٢ ص٢١٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦١٨ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب في الكتاب والسنة والتاريخ لمحمد الريشهري ج١ ص٢٥٦.

للأنصار، بأبي وأمي، عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» تولّون؟ وأكرُّ في وجوه المنهزمين، ليس لي همة إلا النظر إلى سلامة رسول الله «صلى الله عليه وآله»(١).

عن سلمة بن الأكوع قال: غزونا مع رسول الله حنيناً. فلما واجهنا العدو تقدمتُ فأعلو ثنية فاستقبلني رجل من المشركين فأرميه بسهم، وتوارى عني فما دريت ما صنع.

ثم نظرت إلى القوم، فإذا هم طلعوا من ثنية أخرى، فالتقوا هم وأصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فولى أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأرجع منهزماً. وعلي بردتان، مؤتزراً بإحداهما، مرتدياً بالأخرى، فاستطلق إزاري، فجمعتهما جميعاً.

ومررت برسول الله «صلى الله عليه وآله» وأنا منهزم، وهو على بغلته الشهباء، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لقد رأى ابن الأكوع فزعاً»(٢).

هزيمة عمر بن الخطاب:

وكان المسلمون بلغ أقصى هزيمتهم مكة، ثم كروا بعد وتراجعوا،

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٩ عن الواقدي.

(٢) راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٢٨ وصحيح ابن حبان ج١٤ ص٤٥١ ودلائل النبوة للأصبهاني ج٣ ص١١٢٩ والدر المنثور ج٣ ص٢٢٦ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٨١ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٧٩ وإمتاع الأسماع للمقريزي ج٥ ص٦٨ وصحيح مسلم ج٥ ص١٦٩ وفتح الباري ج٨ ص٢٢ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٦ و ٣٤٨.

فأسهم لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» جميعاً.

وكانت أم الحارث الأنصارية آخذة بخطام جمل الحارث زوجها، وكان يسمى المجسار، فقالت: يا حار، أتترك رسول الله «صلى الله عليه وآله» والناس يولون منهزمين؟! وهي لا تفارقه.

قالت: فمر عليَّ عمر بن الخطاب، فقلت: يا عمر، ما هذا؟

قال: أمر الله تعالى[1].

شماتة الحاقدين:

قال الصالحي الشامي:

«**قال ابن إسحاق**: لما انهزم الناس، ورأى من كان مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» من جفاة أهل مكة الهزيمة، تكلم منهم رجال بما في أنفسهم من الضغن.

قال أبو سفيان بن حرب ـ وكان إسلامه بعد مدخولاً ـ: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر. وإن الأزلام لمعه في كنانته.

وصرخ جبلة بن الحنبل ـ وقال ابن هشام: كلدة بن الحنبل، وأسلم بعد ذلك، وهو مع أخيه لأمه صفوان بن أمية، وصفوان مشرك في المدة التي جعل له رسول الله «صلى الله عليه وآله» ـ: ألا بطل السحر اليوم!!

فقال له صفوان: اسكت فض الله فاك! والله، أن يربَّني رجل من قريش أحب إلي من أن يربَّني رجل من هوازن[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣١ والمغازي ج٣ ص٩٠٤.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٩، وأشار إليه اليعقوبي في تاريخه ج٢ ص٦٢ =

قال ابن عقبة: ومرّ رجل من قريش بصفوان بن أمية، فقال: أبشر بهزيمة محمد وأصحابه، فوالله، لا يجبرونها أبداً.

فقال صفوان: أتبشرني بظهور الأعراب؟! فوالله، لربّ من قريش أحب إلي من ربّ من الأعراب. وغضب صفوان لذلك.

وبعث صفوان غلاماً له، فقال: اسمع لمن الشعار.

فجاءه فقال: سمعتهم يقولون: يا بني عبد الرحمن، يا بني عبيد الله، يا بني عبد الله.

فقال: ظهر محمد. وكان ذلك شعارهم في الحرب(1).

وروى محمد بن عمر، عن أبي قتادة، قال: مضى سرعان الناس من المنهزمين، حتى دخلوا مكة، ساروا يوماً وليلة، يخبرون أهل مكة بهزيمة رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعتاب بن أسيد ـ بوزن أمير ـ على مكة، ومعه معاذ بن جبل، فجاءهم أمرٌ غمهم، وسر بذلك قوم من أهل مكة

= وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص١٠٢ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١١١ والسيرة الحلبية ج٣ ص١١١ وراجع: تفسير الميزان ج٩ ص٢٣٥ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٤٧ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٣٦ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٧٤ وراج: إمتاع الأسماع ج٢ ص١٧ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٨٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٨٩٤ وعيون الأثر ج٢ ص٢١٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦١٩.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٠ والمغازي ج٣ ص٩١٠ وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص١٠٢ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١١١ والسيرة الحلبية ج٣ ص١١١.

وأظهروا الشماتة، وقال قائل منهم: ترجع العرب إلى دين آبائها، وقد قتل محمد وتفرق أصحابه.

فتكلم عتاب بن أسيد يومئذٍ، فقال: إن قتل محمد، فإن دين الله قائم. والذي يعبده محمد حي لا يموت.

فما أمسوا من ذلك اليوم حتى جاء الخبر: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أوقع بهوازن، فسر عتاب بن أسيد، ومعاذ بن جبل، وكبت الله تعالى من هناك ممن كان يسره خلاف ذلك.

فرجع المنهزمون إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلحقوه بأوطاس وقد رحل منها إلى الطائف(١).

ونقول:

لقد حفلت تلك الروايات بمزاعم لا مجال لقبولها، ونحن نذكر ذلك فيما يلي من مطالب:

شبان لا خبرة لهم بالحرب:

زعموا: أن الذين تقدموا جيش المسلمين في حنين كانوا شباناً من أهل مكة، ولا خبرة لهم بالحرب، وأنه ليس عليهم سلاح، أو كثير سلاح.

ونقول:

أولاً: لا ندري من أين عرف هؤلاء الذين يسمونهم بأهل المغازي: أن

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٠ والمغازي ج٣ ص٩١٠ وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص١٠٢ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١١١ والسيرة الحلبية ج٣ ص١١١.

الذين تقدموا المسلمين في وادي حنين كانوا شباناً.

وكانوا لا خبرة لهم بالحرب.

وكان غالبهم من أهل مكة.

فإن كان أهل المغازي قد عرفوا ذلك من النصوص، فأين ذهبت تلك النصوص يا ترى؟! سوى ما روي عن البراء بن عازب، وهو ما لم يؤيده أي نص سواه من أي صحابي آخر فيما نعلم، وهذا يثير الشبهة في أن يكون موضوعاً على لسان البراء لحاجة في النفس، كما سنرى.

وإن كان أرباب المغازي قد علموا ذلك بالمشاهدة، فهم إنما عاشوا في أزمنة متأخرة على ذلك الزمان.

وإن كانوا قد عرفوا ذلك بالاجتهاد، فليدلونا على العناصر التي أنتجت لهم هذه الحقائق، والدقائق، والتوصيفات.

ثانياً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي كان يكتِّب الكتائب، وينظم الجيش، ويضع هؤلاء في المقدمة، وأولئك في القلب، وفريقاً ثالثاً في الجناح الأيسر، أو الأيمن، أو الساقة، وما إلى ذلك.

فما معنى: أن يقول أهل المغازي: «تقدمهم كثير ممن لا خبرة له الخ..»؟!

فإن تقدمهم: إن كان بمبادرة واقتراح منهم، ومن دون رضا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فذلك ما لا يرضاه نبي الإسلام، ولا يوافق عليه ولا يقرُّه.

وإن كان برضا وبتقديم، وقرار منه «صلى الله عليه وآله»، فلا بد من السؤال عن سبب هذا الإختيار، وعن سبب عدم تزويدهم بالسلاح الكافي، أو عدم أمرهم بالتزود منه.

فهل كان «صلى الله عليه وآله» يريد: أن تحل الهزيمة بجيشه، فمهّد

مقدماتها؟! أم أنه كان لا يعرف أن الذين اختارهم هم بهذا المستوى المتدني؟ وأنهم لم يكونوا أهلاً لما اختارهم له؟ وقد أخطأ في اختياره، فذلك يعني الطعن في حكمته، بل في نبوته «صلى الله عليه وآله»، وهو ما لا يرضاه أحد من المسلمين.

مع أنه قد كان بالإمكان أن يسأل عنهم من له معرفة بهم.

وكان على العارفين بهم أن يبادروا إلى تقديم النصيحة له، وتعريفه بهم، ولو لم يطلب منه ذلك.

ثالثاً: إن الروايات الأخرى تصرح: بأن أول الخيل، وهي خيل بني سليم هي التي انكشفت أولاً، وتبعهم أهل مكة، فما هي الحقيقة إذن؟ ولماذا تناقض الروايات في منح وسام الهزيمة لهذا تارة، ولذاك اخرى، بل وللرسول ثالثة،كما تقدم؟!

روائح كريهة لمؤامرة أخرى:

إننا نقرأ في أخبار غزوة حنين نصوصاً تتحدث عن محاولات بذلت لاغتيال رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومنها محاولة شيبة، ومحاولة النضير بن الحارث بن كلدة، وستأتيان..

غير أن الأمر لا ينحصر بذلك. إذ يمكن للباحث الأريب أن يلمح في الأفق ما يشير إلى أنه قد كان لأهل مكة دور رئيسي في الهزيمة، كما أن بني سليم قد وافقوهم على ذلك.

وقد كان يمكن للمراقب أن يتوقع المؤامرة من أهل مكة، إلا أن ما فعله بنو سليم لا بد أنه أشد إيلاماً وأقوى مرارة في القلب، لأن خيانتهم

تكون من الداخل، أما خيانة أولئك فإنما هي من أناس لا يزالون على شركهم، وعلى بغضهم وعداوتهم..

وقد صرحت النصوص المتقدمة بالمؤامرة من أهل مكة، فقد تقدم قولهم: يقال: إن الطلقاء قال بعضهم لبعض: أخذلوه فهذا وقته، فانهزموا أول من انهزم، وتبعهم الناس.

وعند ذلك قال أبو قتادة لعمر: ما شأن الناس؟

قال: أمر الله(١).

ومما يدل على تواطؤ بني سليم معهم، وعلى دورهم في إلحاق الهزيمة بالمسلمين، وتعاطفهم مع هوازن، قولهم: «لما هزم الله تعالى هوازن اتبعهم المسلمون يقتلوهم. فنادت بنو سليم بينها: ارفعوا عن بني أمكم القتل.

فرفعوا الرماح، وكفوا عن القتل.

وأم سليم بكمة ابنة مرة، أخت تميم بن مرة. فلما رأى رسول الله «صلى الله عليه وآله» الذي صنعوا قال: اللهم عليك ببني بكمة، ولا يشعرون أن لهم أماً يقال لها: بكمة ـ أما في قومي، فوضعوا السلاح وضعاً، وأما عن

---

(١) السيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٠٩ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٠٨ و (ط دار المعرفة) ص٦٥ والآحاد والمثاني ج٣ ص٤٣٥ والمنتقى من السنن المسندة ص٢٧٠ وشرح معاني الآثار ج٣ ص٢٢٦ وصحيح ابن حبان ج١١ ص١٣١ و ١٦٨ ومعرفة السنن والآثار للبيهقي ج٥ ص١١٧ والإستذكار ج٥ ص٥٩ والتمهيد ج٢٣ ص٢٤٢ ونصب الراية ج٤ ص٢٩٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٧ ص١٤٧ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٨٤ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٧٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٢٣.

قومهم فرفعوا رفعاً.

وأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بطلب القوم»(١).

وذلك يدل على خيانة صريحة من قبل بني سليم حتى بعد عودة جيش المسلمين، وهزيمة الكافرين.. فهل تراهم يقتلون بني أمهم حينما كانوا في مقدمة الجيش في بداية الحرب؟!

أقصى هزيمتهم مكة:

وقد ذكر كثير من اهل المغازي أيضاً: أن المسلمين حين انهزموا بلغ أقصى هزيمتهم مكة، ثم كروا بعد..

ونقول:

أولاً: إن كان بين حنين، وبين مكة ثلاث ليال، أو بضعة عشر ميلاً، وقد سار الناس في هزيمتهم يوماً وليلة حتى بلغوا قلة كما تقدم. فمتى كروا ورجعوا إلى ساحة المعركة، وأوقعوا بالمشركين الهزيمة؟!

وهل بقي النبي «صلى الله عليه وآله» يحارب هو وعلي «عليه السلام»، وبضعة رجال من بني هاشم يحيطون به «صلى الله عليه وآله»؟! طيلة هذه المدة؟ وإذا كانوا قد انسحبوا، فهل عاد المسلمون إلى هوازن وهزموها بدون رسول الله «صلى الله عليه وآله» أو معه؟!

وإن كان النبي «صلى الله عليه وآله» وعلي «عليه السلام» ومن معهما بقوا يحاربون، فهل بقوا يحاربون عدوهم الذي يعد بعشرات الألوف أياماً؟!

---

(١) المغازي للواقدي ج٣ ص٩١٢ و ٩١٣.

وكيف كانوا يصلُّون، ويأكلون، ويشربون؟!

وإذا حلَّ الليل عليهم، كيف كانوا يتحاجزون، ويتحارسون إلى الصباح؟!

وكيف؟! وكيف؟!

ثانياً: ومما يوضح ذلك: قول أبي قتادة تارة: «مضى سرعان الناس من المنهزمين حتى دخلوا مكة، ساروا يوماً وليلة».

ثم قوله: إنه قد بلغ أهل مكة خبر إيقاع النبي «صلى الله عليه وآله» بهوازن مساء نفس ذلك اليوم(١).

وهذا يدل على: أن الله قد نصر نبيه في غياب المنهزمين عن ساحة المعركة.

وسيأتي المزيد من دلائل ذلك إن شاء الله تعالى..

ثالثاً: قال أبو قتادة: «فرجع المنهزمون إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلحقوه بأوطاس، وقد رحل منها إلى الطائف»(٢).

فالمنهزمون لم يحضروا النصر، ولم يروه، ولا رأوا الرسول «صلى الله عليه وآله» بعد هزيمتهم في حنين أبداً.

متى كانت الهزيمة؟!:

إننا نلاحظ: أن ثمة اضطراباً في بيان ظروف الهزيمة، فبينما نجد الساعين على إعذار قريش، وخالد، وبني سليم، وسائر المنهزمين يدَّعون: أن الذين كانوا في المقدمة كانوا شباناً، ليس معهم سلاح، أو كثير سلاح،

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٠ والمغازي للواقدي ج٣ ص٩١٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٠ والمغازي للواقدي ج٣ ص٩١٠.

ولا خبرة لهم في الحرب، وكانوا من أهل مكة.

ثم يزعمون: أنهم هاجموا المشركين، فانهزم المشركون، فأقبل الناس على الغنائم، فعاد المشركون إلى مهاجمتهم، وحلت بهم الهزيمة.

نجد في مقابل ذلك: أن سائر الروايات تقول:

إن المشركين كمنوا لهم في الشعاب والمضائق، وكان المسلمون ينحدرون في الوادي، فخرجوا عليهم فجأة. وكانت خيل بني سليم أول المنهزمين، وتبعهم أهل مكة، ثم تبعهم الناس.

ونحن نرى: أن هذه الإدعاءات وتلك مختلقة ومكذوبة.

والحقيقة هي: أن الذين انهزموا قد انهزموا من دون مبرر، ولذلك استحقوا التأنيب الإلهي، واعتبرهم الله ورسوله عصاة.. وكان لا بد لهم من التوبة.

وأما الإنتصار، على هوازن فقد كان بيد أمير المؤمنين «عليه السلام» والملائكة معه، ولعل بعض الأنصار من أهل المدينة قد عادوا قبل غيرهم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد أن احسوا ببعض الأمن. فلا داعي لكل هذه التهويلات والتأويلات المختلقة، أو المبالغ فيها، والتي تهدف إلى التبرير، ولو بالتزوير.

ويدل على ما نقول:

ما وري عن أبي عبد الرحمن بن يزيد الفهري ـ يقال: اسمه كرز ـ قال: كنت مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حنين في يوم قائظ شديد الحر، فنزلنا تحت ظلال السمر، فلما زالت الشمس لبست لامتي، وركبت فرسي، فأتيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو في فسطاطه، فقلت: السلام عليك يا رسول الله ورحمته. الرواح قد حان، الرواح يا رسول الله.

قال: «أجل».

ثم قال رسول الله: «يا بلال»!

فثار من تحت سمرة كأن ظله طائر، فقال: لبيك وسعديك، وأنا فداؤك.

قال: «أسرج لي فرسي».

فأتاه بسرج دفتاه من ليف ليس فيهما أشر ولا بطر، فركب فرسه، ثم سرنا يومنا، فلقينا العدو، وتشامت الخيلان، فقاتلناهم، فولى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى. فجعل رسول الله الخ..»[1].

ولانجد في هذا النص ما يوجب الإشكال سوى التعبير بكلمة: «الفرس»، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» كان في حنين يركب بغلة لا فرساً كما هو معلوم.

أسباب الهزيمة عند عمر بن الخطاب:

والتفسير الذي له دلالاته وغاياته هو تفسير عمر بن الخطاب للهزيمة. فقد قال بعض من حضر تلك الوقعة:

«وانهزم المسلمون، فانهزمت معهم، فإذا بعمر بن الخطاب، فقلت له: ما شأن الناس؟!

قال: أمر الله.

ثم تراجع الناس إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»..»[2].

كما أن أم الحارث الأنصارية قالت لعمر بن الخطاب حين مر عليها: يا

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٣ و ٣٢٤ عن ابن سعد، وابن أبي شيبة، واحمد، وأبي داود، والبغوي في معجمه، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي برجال ثقات.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣١ والمغازي ج٣ ص٩٠٤.

عمر، ما هذا؟!

قال: أمر الله تعالى[1].

ونقول:

إن لنا على هذا النص العديد من الملاحظات، نذكر منها:

١ ـ إن هذا الذي انهزم مع الجماعة، لم يرض أن ينسب لنفسه المشاركة في الهزيمة، فلم يقل: انهزم الناس وانهزمت معهم.

بل قال: «انهزم الناس، فانهزمت معهم»، فاستعمل الفاء، بدلاً عن الواو، وكأنه يريد الإيحاء: بأنه لم يكن يريد هذا الأمر، ولا شارك فيه، بل هم الذين انهزموا، فتبعهم. لأنهم قد اضطروا إلى ذلك..

٢ ـ إن كلام عمر يشير: إلى أن الناس لا ذنب لهم في هذه الهزيمة، لأن الله تعالى هو الذي فعل ذلك بهم، فإن كان ثمة من اعتراض، فلا بد أن يوجه إليه تعالى، لا على المنهزمين.

وبذلك يكون قد برَّأ نفسه من عار الهزيمة، وسلم تبعاتها..

٣ ـ لم يقدم عمر دليلاً على ما يدَّعيه من أن امر الله هو السبب فيما حصل.. إلا أن من الواضح: أنه اعتمد على عقيدة الجبر الإلهي، وقد قلنا اكثر من مرة: أن هذه العقيدة من بقايا عقائد المشركين، والظاهر أنهم أخذوها من اليهود، فراجع كتابنا: أهل البيت «عليهم السلام» في آية

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٢٤ وراجع ص٦٢٣ عن البخاري، وبقية الجماعة، وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣٦ وتفسير القمي ج١ ص٢٨٧ والبحار ج٢١ ص١٥٠ والمغازي للواقدي ج٣ ص٩٠٤.

التطهير. والحياة السياسية للإمام الحسن «عليه السلام».

الإفتراء على رسول الله ' :

ثم إن رواية أبي إسحاق السبيعي، عن سؤال رجل للبراء بن عازب: «أوليتم مع رسول الله»؟!

ثم قول البراء: أشهد على رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنه ما ولى.

أو قال: لا والله، ما ولى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم حنين دبره ـ إن هذه الرواية ـ تفيد: أنهم قد أشاعوا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه قد فرّ أيضاً يوم حنين.

ويؤيد ذلك: عودة البراء بن عازب، للتأكيد على شجاعة رسول الله «صلى الله عليه وآله» بقوله: «وكنا إذا احمر البأس نتقي برسول الله «صلى الله عليه وآله». وإن الشجاع منا الذي يحاذيه»(١).

ولعل هذا الإفتراء الصريح على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، يستبطن

---

(١) راجع: إمتاع الأسماع ج٢ ص٢٠٩ وكنز العمال ج١٠ ص٥٤٠ وج١٢ ص٣٤٧ وتفسير البغوي ج٢ ص٢٧٨ والجامع لأحكام القرآن ج٨ ص١٠١ وج١٠ ص٢٠ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٦ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٦ الجمع بين الصحيحين ج١ ص٥٢٣ ومسند أبي عوانة ج٤ ص٢٨١ ومشكاة المصابيح ج٣ ص١٦٥٠ والمنتقى من منهاج الإعتدال ج١ ص٥٢٠ ومنهاج السنة ج٨ ص١٣٠ وميزان الحكمة ج٣ ص٢٢٥١ وج٤ ص٣٢٢٤ وصحيح مسلم ج٥ ص١٦٨ وشرح مسلم للنووي ج١٢ ص١٢٠ وفتح الباري ج٨ ص٢٥ والمصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٥٧٨ وج٨ ص٥٥٠

الحكم عليه: بأنه ـ والعياذ بالله من التفوه بالكفر ـ قد باء بغضب من الله، وفقاً لقوله تعالى: {**وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**}(١).

قال دحلان: «وقد أجمعت الصحابة: أنه «صلى الله عليه وآله» ما انهزم مع من انهزم، بل صار يقدم في وجه العدو. بل ما انهزم في موطن قط، وانعقد الإجماع على ذلك.

وقال القاضي أبو عبد الله بن المرابط: من قال: إن النبي «صلى الله عليه وآله» هزم يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل لأنه ينتقصه(٢).

ولعل الذي دعاهم إلى ذلك هو: أن يخففوا من وطأة الإشكال على الصحابة، الذين يحبونهم، وقد ولوا مدبرين في حنين، والرسول يدعوهم في أخراهم، فلا يستجيبون له، بل إن بعضهم بلغ في هزيمته إلى مكة نفسها.

ويؤيد ما نقول، ما سيأتي: من أن بعضهم يحاول إبعاد التهمة عن عمر في أمر الهزيمة، وأنه مرَّ عليه، ولم يكن مع المنهزمين.

لا عذر لأحد في الهزيمة:

ثم إن من يقرأ نصوص الهزيمة يلاحظ: أن ثمة حرصاً على التهويل والتعظيم لأمر الأعداء، وأنهم كانوا رماة، لا يكاد يسقط لهم سهم، وأنهم قد

---

(١) الآية ١٦ من سورة الأنفال.

(٢) إمتاع الأسماع ج١٤ ص٣٧٨ والشفا بتعريف حقوق المصطفى ج٢ ص٢١٩ وسبل الهدى والرشاد ج٧ ص٤٧ وج١٢ ص٤٥ وراجع: السيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١١١.

شدُّوا على المسلمين شدَّة رجل واحد، وأنهم استقبلوا المسلمين بما لم يروا مثله في ذلك الزمان، من كثرة السواد، وأنهم قد كمنوا في المضائق والشعاب، ثم فاجؤوهم.

وأن المسلمين في المقدمة كانوا شباناً، ولا سلاح، ولا خبرات حربية لديهم، إلى غير ذلك مما تقدم.

والمقصود من كل هذا التهويل هو: تبرير الهزيمة، والتخفيف من ذنب المنهزمين.

ولكننا نجد في المقابل: أن الله سبحانه وتعالى ينعى عليهم هزيمتهم، ويؤنبهم عليها، ويعاقبهم بأن ينزل سكينته على رسوله «صلى الله عليه وآله» وعلى المؤمنين الذين ثبتوا في ساحة الجهاد دونهم.. ثم هو يعرِّض بهم تعريضاً خطيراً، حين يلوح لهم: بأنه يستثنيهم من صفة الإيمان.

إنه تعالى يقول لهم: إن السبب فيما جرى ليس هو تلك الأكاذيب التي يسطرونها للناس، ليخدعوهم بها. بل هي الإعجاب بكثرتهم، وأنها لم تغن عنهم شيئاً، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت. ثم بعد هذا كله، ولوا مدبرين..

ويدل على عدم صحة كل هذه الدعاوى: أن النصر قد تحقق على يد علي «عليه السلام» وحده، حين ثبت في ساحة الجهادن وكان هناك أفراد قليلون من بني هاشم، أحاطوا برسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد أنزل الله سكينته عليهم وعلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فلو أن الناس فعلوا فِعل علي «عليه السلام» لم تحصل هزيمة توجب غضب الله تبارك وتعالى.

ويتأكد ما قلناه: إذا كان المنهزمون قد عادوا إلى أوطاس، حين توجه النبي «صلى الله عليه وآله» إلى ثقيف كما سنرى.

الكمائن ليست هي السبب:

وزعمت الروايات المشبوهة: أن الكمين في المضايق والشعاب كان هو السبب في الهزيمة، وليس ذلك صحيحاً. بل هو المؤامرة، مضافة إلى الخور والجبن.. وإلا، فإن الفريقين قد التقوا في ساحة القتال، واصطف الجيشان.

بل لقد زعموا: «أنهم لما تلاقوا اقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم المشركون، وجلوا عن الذراري، ثم نادوا: يا حماة السوء، اذكروا الفضائح، فتراجعوا وانكشف المسلمون وانهزموا»(١).

وقد قرأنا وسنقرأ إن شاء الله شواهد كثيرة أخرى على ما نقول..

العصبيات.. والدين:

وغني عن القول: أن الإسلام قد جاء بإبطال العصبيات القبلية، وغيرها مما يلتقي معها في المضمون والنتيجة.. وقد اعتبرها «صلى الله عليه وآله» دعوة منتنة لا يجوز الإقتراب منها، فضلاً عن تبنيها.

ولكن صفوان بن أمية يعتبر: أن رب قريش أحب إليه من رب الأعراب، فماذا سيكون موقفه حين يقول له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إن رب قريش والأعراب سواء أكانوا من هوازن، أو من غيرها، واحد؟!

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص١٠٢ وتفسير أبي السعود ج٤ ص٥٥ وتفسير مقاتل بن سليمان ج٢ ص٤٢ وتفسير الثعلبي ج٥ ص٢٢ وتفسير البغوي ج٢ ص٢٧٨.

هل سيرضى به رباً؟!

وهل سيعبده كما تعبده الأعراب وقريش؟!

أم أنه سيتخلى عنه؟!

هل الفرار من الزحف كبيرة؟!

قال السهيلي: «إن قيل: كيف فر أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» عنه، حتى لم يبق معه منهم إلا ثمانية. والفرار من الزحف من الكبائر، وقد أنزل الله فيه من الوعيد ما أنزل؟!

قلنا: لم يجمع العلماء على أنه من الكبائر إلا في يوم بدر.

وكذلك قال: الحسن، ونافع مولى عبدالله بن عمر.

وظاهر القرآن يدل على هذا، فقد قال تعالى: **{وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ}**(١).

فيومئذٍ: إشارة إلى يوم بدر، ثم نزل التحقيق (لعل الصحيح: التخفيف) من بعد ذلك في الفارين يوم أحد، وهو قوله تعالى: **{وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ}**(٢).

وكذلك أنزل في يوم حنين: **{لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ، ثُمَّ أَنَزلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ، ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَاء وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}**(٣).

---

(١) الآية ١٦ من سورة الأنفال.

(٢) الآية ١٥٥ من سورة آل عمران.

(٣) الآيات ٢٥ ـ ٢٧ من سورة التوبة.

وفي تفسير ابن سلام: كان الفرار من الزحف يوم بدر من الكبائر. وكذلك يكون من الكبائر في ملحمة الروم الكبرى، وعند الدجال.

وأيضاً: فإن المنهزمين عنه «عليه السلام» رجعوا لحينهم، وقاتلوا معه، حتى فتح الله عليهم(١).

ونقول:

أولاً: إن قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ، وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}**(٢) خطاب عام، لا يختص بوقت دون وقت، ولا بغزوة دون أخرى..

وعلى هذا، فالمراد بقوله تعالى: **{وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ}** يراد به: يوم لقاء العدو، أو فقل: يوم الزحف.

ثانياً: ويشهد لما ذكرناه: أن الآيات المذكورة آنفاً إنما نزلت بعد وقعة بدر، ولذلك ترى الآيات تتحدث عنها بصيغة الماضي، فتقول: **{فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى}**(٣).

ومن الواضح: أن الأمور يوم بدر قد سارت على ما يرام، ولم يحصل فرار من قبل المسلمين.. ولكن الله، وهو يذكر هذا النصر العظيم، ويمتن على المسلمين به يحذرهم من الفرار من الزحف فيما يأتي من حروب، فيقول

---

(١) الروض الأنف ج٤ ص١٤١ وراجع: مواهب الجليل ج٤ ص٥٤٧.

(٢) الآيتان ١٥ و ١٦ من سورة الأنفال.

(٣) الآية ١٧ من سورة الأنفال.

لهم: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ** (أي في الحروب التالية) **الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ**}(١)، ثم بيَّن جزاء من يفعل ذلك في ذيل الآية التالية..

ثالثاً: إنها حتى لو كانت قد نزلت يوم بدر، فإن خصوصية سبب النزول وخصوصية المورد لا يوجب جعل مدلول الآية خاصاً.

رابعاً: قد صرحت الروايات الكثيرة: بأن الفرار من الزحف من الكبائر. فمن هذه الروايات التي وردت في مصادر الشيعة نذكر:

١ ـ ما روي عن أمير المؤمنين «عليه السلام»: «إن الرعب والخوف من جهاد المستحق للجهاد والمتوازرين على الضلال ضلال في الدين، وسلب للدنيا مع الذل والصغار، وفيه استيجاب النار بالفرار من الزحف عند حضرة القتال: يقول الله عز وجل: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ**}(٢)»(٣).

٢ ـ عن الإمام الصادق «عليه السلام»: والكبائر السبع الموجبات: قتل النفس الحرام..

---

(١) الآية ١٥ من سورة الأنفال.

(٢) الآية ١٥ من سورة الأنفال.

(٣) الكافي ج٥ ص٣٧ و ٣٨ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٥ ص٩٤ و (ط دار الإسلامية) ج١١ ص٧١ والبحار ج٣٣ ص٤٤٨ وجامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص١٢٢ و ١٧١ وميزان الحكمة ج١ ص٥٦٧ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص١٣٨ وتفسير الميزان ج٩ ص٥٦.

إلى أن قال: والفرار من الزحف[1].

٣ ـ روى عبد العظيم الحسني عن الإمام الجواد، عن الرضا، عن الكاظم «عليهم السلام»: أن عمر بن عبيد سأل الإمام الصادق «عليه السلام» عن الكبائر، فقال «عليه السلام»: نعم يا عمر، وأكبر الكبائر الشرك بالله..

إلى أن قال: والفرار من الزحف، لأن الله تعالى يقول: **{وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}**[2]»[3].

٤ ـ عن عبيد بن زرارة قال: سألت أبا عبد الله «عليه السلام» عن الكبائر، فقال: «هن في كتاب علي «عليه السلام» سبع.. فذكرها.. وعد منها: الفرار من الزحف».

وفي رواية أخرى: «هن خمس»[4].

---

(١) مستند الشيعة ج١٨ ص١٢٩ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٥ ص٣٢٩ و (ط دار الإسلامية) ج١١ ص٢٦٠ والكافي ج٢ ص٢٧٦ و ٢٧٧ والتفسير الصافي ج١ ص٤٤٤ وتفسير الميزان ج٤ ص٣٣٣.

(٢) الآية ١٦ من سورة الأنفال.

(٣) مجمع البيان ج٣ ص٣٩ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٥ ص٣١٨ و ٣١٩ و (ط دار الإسلامية) ج١١ ص٢٥٢ وفي الكافي (الأصول) ج٢ ص٢٨٥ وعن من لا يحضره الفقيه ج٢ ص١٨٦ ومسند الإمام الرضا ج١ ص٣٢٦ عن تفسير العياشي ج١ ص٢٥١ وجامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص٣٥٠ وتفسير الميزان ج٤ ص٣٣٣.

(٤) راجع: الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٥ ص٣٢١ و ٣٢٧ و (ط دار =

٥ ـ عن محمد بن مسلم، عن الإمام الصادق «عليه السلام»، قال: «الكبائر سبع: قتل المؤمن..

إلى أن قال: والفرار من الزحف»[1].

٦ ـ عن مسعدة بن صدقة قال: سمعت أبا عبد الله «عليه السلام» يقول: «الكبائر القنوط من رحمة الله..

= الإسلامية) ج١١ ص٢٥٤ و ٢٥٩ والكافي (الأصول) ج٢ ص٢٨٧ والبحار ج٧٦ ص٤ و ٥ وج٨٥ ص٢٦ و ٢٨ وعن عقاب الأعمال ص١٩ وعلل الشرائع ص١٦٢ والخصال ج١ ص١٣١ وجامع أحاديث الشيعة ج١ ص٨ و ١٣٩ وج٤ ص٧٤ وج١٣ ص٣٥٥ ومكاتيب الرسول ج٢ ص١٣٨ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للشيخ هادي النجفي ج٩ ص٣٦٧ و ٣٧٠ ومستند الشيعة ج٧ ص٢٦٥ وج١٨ ص١٣٠ وكفاية الأحكام ج١ ص١٣٩ والحبل المتين (ط ق) للبهائي ص٩ والحدائق الناضرة ج٦ ص١٥ وج١٠ ص٤٨ وكشف اللثام (ط ق) ج٢ ص٣٧٠ و (ط ج) ج١٠ ص٢٧٩ وذخيرة المعاد (ط ق) ج١ ق٢ ص٣٠٤ ومنتقى الجمان ج٢ ص٣٥٢ وراجع: تفسير الصافي ج١ ص٤٤٥ وتفسير كنز الدقائق ج٢ ص٤٣٢.

(١) راجع: الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٥ ص٣٢٢ (ط دار الإسلامية) ج١١ ص٢٥٤ والكافي (الأصول) ج٢ ص٢٧٧ وجامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص٣٥٥ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للشيخ هادي النجفي ج٨ ص٣٤٠ وج٩ ص٢٦٦ وج١٢ ص٢٨٨ وكشف اللثام (ط ق) ج٢ ص٣٧٠ و (ط ج) ج١٠ ص٢٧٩ وذخيرة المعاد (ط ق) ج١ ق٢ ص٣٠٤ والحدائق الناضرة ج١٠ ص٤٨ والقضاء والشهادات للشيخ الأنصاري ص٢٩٥.

إلى أن قال: والفرار من الزحف»[1].

٧ ـ ورد ذلك أيضاً في رواية أبي بصير، عن أبي عبد الله «عليه السلام»[2].

٨ ـ وورد مثله في رواية أبي الصامت عن أبي عبد الله «عليه السلام»[3].

---

(١) الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٥ ص٣٢٤ و (ط دار الإسلامية) ج١١ ص٢٥٥ والكافي (الأصول) ج٢ ص٢٨٠ والبحار ج٦٥ ص٢٦٠ وج٨٥ ص٢٦ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للشيخ هادي النجفي ج١ ص٤٤٩ وج٧ ص١٢٢ وج٩ ص٢٠٩ و ٢٦٧ وج١٠ ص٤١٠ وكشف اللثام (ط ق) ج٢ ص٣٧٠ و (ط ج) ج١٠ ص٢٨٠ وذخيرة المعاد (ط ق) ج١ ق٢ ص٣٠٤ والحدائق الناضرة ج١٠ ص٤٨ وجامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص٣٥٤ ومستدرك الوسائل ج٩ ص١٥ ومستند الشيعة ج١٨ ص١٣١.

(٢) الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٥ ص٣٢٤ و (ط دار الإسلامية) ج١١ ص٢٥٦ والكافي (الأصول) ج٢ ص٢٨١ ومستند الشيعة ج١٨ ص١٣٠ ومستدرك الوسائل ج١١ ص٣٥٤ وجامع المدارك ج١ ص٤٩٥ وجامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص٣٥٦ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للشيخ هادي النجفي ج٥ ص٣٢١ وج٩ ص٢٦٨ وكشف اللثام (ط ق) ج٢ ص٣٧٠ و (ط ج) ج١٠ ص٢٧٩ والحدائق الناضرة ج١٠ ص٤٩.

(٣) الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج٩ ص٥٣٦ وج١٥ ص٣٢٥ و (ط دار الإسلامية) ج٦ ص٣٧٤ وج١١ ص٢٥٨ عن التهذيب للطوسي ج١ ص٣٩٣ و (ط دار الكتب الإسلامية) ج٤ ص١٥٠ وجامع أحاديث الشيعة ج٨ ص٦٢١ وج١٣ ص٣٥٦ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للشيخ هادي النجفي ج٨ ص٣٤٢ والحدائق الناضرة ج١٠ ص٤٩ ومستند الشيعة ج١٨ ص١٠٢ و ١٣٢ .

٩ ـ ورواية عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله «عليه السلام»[١].

١٠ ـ وعن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله «عليه السلام»: «وجدنا في كتاب علي «عليه السلام»: الكبائر خمسة: الشرك بالله.. **إلى أن قال**: والفرار من الزحف»[٢].

١١ ـ وراجع رواية أحمد بن عمر الحلبي، عن أبي عبد الله «عليه السلام»[٣].

---

(١) الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٥ ص٣٢٦ و (ط دار الإسلامية) ج١١ ص٢٥٨ عن من لا يحضره الفقيه ج٢ ص١٨٦ و (ط مركز النشر الإسلامي) ج٣ ص٥٦١ والبحار ج٢٧ ص٢١٠ وج٧٦ ص٥ والخصال ج٢ ص١٤ و (ط مركز النشر الإسلامي) ص٣٦٤ وعلل الشرائع ص١٦٢ و (ط الحيدرية) ج٢ ص٤٧٤ وجامع المدارك ج١ ص٤٩٥ وجامع أحاديث الشيعة ج٨ ص٦٢١ وج١٣ ص٣٥٨ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للشيخ هادي النجفي ج٩ ص٢٧١.

(٢) الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٥ ص٣٢٧ و (ط دار الإسلامية) ج١١ ص٢٥٩ عن علل الشرائع ص٤٧٥ و (ط مركز النشر الإسلامي) ج٢ ص٤٧٥ وعن الخصال ج١ ص١٣١ و (ط مركز النشر الإسلامي) ص٢٧٣ والبحار ج٧٨ ص و٨٥ ص٢٧ و ٢٨ وج٧٦ ص٤ وكشف اللثام (ط ج) ج١٠ ص٢٨١ و (ط ق) ج٢ ص٣٧١ ومكاتيب الرسول ج٢ ص١٤٠.

(٣) الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٥ ص٣٢٩ و (ط دار الإسلامية) ج١١ ص٢٦٠ عن ثواب الأعمال ص٧١ و (ط أمير قم) ص١٢٩ و ١٣٠ والبحار ج٧٦ ص١٢ وجامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص٣٥٠ والتفسير الصافي ج١ ص٤٤٤ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٤٧٣ ومسند الإمام الرضا «عليه السلام» ج١ ص٣٢٦ وتفسير كنز الدقائق ج٢ ص٤٣١ والتحفة السنية (مخطوط) للجزائري ص١٨.

١٢ ـ ورواية الفضل بن شاذان فيما كتبه الإمام الرضا «عليه السلام» للمأمون، وعدّ فيها من الكبائر: الفرار من الزحف[1].

١٣ ـ ورواية محمد بن مسلم عن أبي عبد الله «عليه السلام»[2].

١٤ ـ ورواية الأعمش عن الإمام الصادق «عليه السلام»، في حديث شرايع الدين[3].

---

(١) الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٥ ص٣٢٩ و (ط دار الإسلامية) ج١١ ص٢٦٠ و ٢٦١ عن عيون أخبار الرضا «عليه السلام» ص٢٦٨ و ٢٦٩ وكفاية الأحكام ج١ ص١٤١ ومستند الشيعة ج١٨ ص١٣٢ ورسائل فقهية للشيخ الأنصاري ص٤٤ والبحار ج٧٦ ص١٢ وج٨٥ ص٢٧ وجامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص٣٥٣ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للشيخ هادي النجفي ج٢ ص١٠٠ وج٥ ص٥٥ وج٩ ص٢٠٠ و ٢١١ وج٩ ص٢٧٢ وج١٢ ص٢٨٤ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص١٦٣.

(٢) الكافي ج٢ ص٢٧٧ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٥ ص٣٢٢ و (ط دار الإسلامية) ج١١ ص٢٦١ و ٢٦٢ عن الخصال ج٢ ص٤١ و (ط مركز النشر الإسلامي) ص٣٠٢ ومستدرك الوسائل ج١١ ص٣٥٨ وجامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص٣٥٥ وذخيرة المعاد (ط ق) ج١ ق٢ ص٣٠٤ وكشف اللثام (ط ج) ج١٠ ص٢٧٩ و (ط ق) ج٢ ص٣٧٠ والتحفة السنية (مخطوط) للجزائري ص١٨ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للشيخ هادي النجفي ج٨ ص٣٤٠ وج٩ ص٢٦٦ وج١٢ ص٢٨٨ والحدائق الناضرة ج١٠ ص٤٨ ومنهاج الأحكام ص٧٢ والقضاء والشهادات للشيخ الأنصاري ص٢٩٥.

(٣) الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٥ ص٣٣١ و (ط دار الإسلامية) ج١١ ص٢٦٢ عن الخصال ج٢ ص١٥٥ والبحار ج٧٦ ص٩ عنه، وجامع أحاديث =

١٥ ـ ورواية ابن محبوب عن أبي الحسن في كتاب له[1].

١٦ ـ وراوية ميسر عن أبي جعفر «عليه السلام»[2].

وغير ذلك..

ومن طرق أهل السنة نذكر:

١ ـ عن أبي هريرة، عن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: اجتنبوا السبع الموبقات.

قالوا: وما هن يا رسول الله؟

= الشيعة ج١٣ ص٣٥٠ ومستدرك سفينة البحار ج٩ ص١٤ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للشيخ هادي النجفي ج١ ص٢٠٤ وج٢ ص١٠٠ وج١٢ ص٣٤٩.

(١) الكافي ج٢ ص٢٧٦ و ٢٧٧ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٥ ص٣١٨ و (ط دار الإسلامية) ج١١ ص٢٥٢ عن الكافي، وراجع: مستدرك الوسائل ج١١ ص٣٥٨ ومشكاة الأنوار ص٢٧٢ وجامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص٣٤٩ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج٩ ص٢٦٦ وج١٢ ص١٨ و ١٠٩ وذخيرة المعاد (ط ق) ج١ ق٢ ص٣٠٤ وكشف اللثام (ط ج) ج١٠ ص٢٨١ و (ط ق) ٣٧١ والحدائق الناضرة ج١٠ ص٤٧ ومنهاج الأحكام ص٧١ والقضاء والشهادات للشيخ الأنصاري ص٢٩٤ .

(٢) مستدرك الوسائل ج١١ ص٣٥٥ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٤٧٢ وتفسير كنز الدقائق ج٢ ص٤٣٠ وشرح الأخبار ج٣ ص٤٧٥ والبحار ج٧٦ ص١٣ وج٨٥ ص٢٨ وجامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص٣٥٦ وعن مستدرك سفينة البحار ج٩ ص١٧ وتفسير العياشي ج١ ص٢٣٧ .

قال: الشرك بالله، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، والسحر، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات(١).

(١) صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٣ ص١٩٥ وج٨ ص٣٣ وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج١ ص٦٤ والدر المنثور ج٢ ص١٤٦ عنهما، وعن أبي داود، والنسائي، وابن أبي حاتم، وراجع: المجموع للنووي ج٢٠ ص٥٠ والمغني لابن قدامة ج٤ ص١٢٢ وج١٠ ص٢١٠ وكشف القناع للبهوتي ج٦ ص١٣٣ والمحلى لابن حزم ج٤ ص٢٤٥ وج٧ ص٢٩٣ وج٨ ص٣٢٦ و ٤٨٦ وج١١ ص٢٦٨ وج١١ ص٤٠٠ ونيل الأوطار ج٨ ص٧٨ وفقه السنة ج٢ ص٤٤١ و ٤٦٣ و ٦٥٤ وج٣ ص١٣٣ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٥ ص٣٣٠ و (ط دار الإسلامية) ج١١ ص٢٦١ عن الخصال ج٢ ص١٤ و (ط مركز النشر الإسلامي) ص٣٦٤ وسنن أبي داود ج١ ص٦٥٧ وسنن النسائي ج٦ ص٢٥٧ وجامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص٣٥٦ وج١٧ ص٢٤٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج٦ ص٢٨٤ وج٨ ص٢٠ و ٢٤٩ وج٩ ص٧٦ والسنن الكبرى للنسائي ج٤ ص١١٤ وج٦ ص٤١٨ وشرح مسلم للنووي ج٢ ص٨٣ وعمدة القاري ج٣ ص١١٤ وج٢ ص٢١٦ وج١٤ ص٦١ وج٢٢ ص٨٤ وج٢٤ ص٢٨ والديباج على مسلم ج١ ص١٠٤ والكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص١٣٩ ورياض الصالحين للنووي ص٦٣٧ و ٦٩٢ والجامع الصغير ج١ ص٣٢ وكنز العمال ج١٦ ص٩٠ وكشف الخفاء للعجلوني ج١ ص٤٨ وتفسير الميزان ج٤ ص٣٣٥ وتفسير ابن حاتم ج٨ ص٢٥٥٦ وزاد المسير ج٢ ص١١٤ والجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٣٨٢ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٤٦٧ و ٤٩٢ وج٢ ص٣٠٦ وج٣ ص٢٨٨ =

٢ ـ وروي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كتب إلى أهل اليمن كتاباً فيه السنن، والفرائض، والديات، وفيه: «إن أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة: إشراك بالله، وقتل النفس المؤمنة بغير حق، والفرار من الزحف، وعقوق الوالدين الخ..»(١).

٣ ـ وحديث آخر أيضاً رواه أبو هريرة عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»(٢).

= وتفسير الثعالبي ج٢ ص٢٢٧ وفتح القدير ج١ ص٤٥٨ وتفسير الآلوسي ج٥ ص١٧ وج٩ ص١٨٢ وج٢٧ ص٦٣ وتهذيب الكمال ج١٦ ص٤٣٩ وتاريخ جرجان ص٤٩٥.

(١) مكاتيب الرسول ج٢ ص٥٧٣ والدر المنثور ج١ ص٣٤٢ وج٢ ص١٤٦ عن ابن حبان، وابن مردويه، والمعرفة والتاريخ ج٣ ص٤٠٩ والأحاديث الطوال ص١٤٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص٨٩ ونصب الراية ج٢ ص٤٠٠ وموارد الظمآن ج٣ ص٧٧ وكنز العمال ج٥ ص٨٦٩ وج٦ ص٣١٣ وراجع: الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص١٠٤ و (ط دار الكتاب العربي) ص١٣٠ وميزان الحكمة ج٤ ص٣٦٧٧ عن الترغيب والترهيب ج٣ ص٣٢٧ ح٤ ومجمع الزوائد ج٣ ص٧١ و ٧٢ وعمدة القاري ج٢٢ ص٨٤ وصحيح ابن حبان ج١٤ ص٥٠٤ وتفسير الميزان ج٤ ص٣٣٥ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٤٩٤ والثقات لابن حبان ج٢ ص١٠٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٥ ص٤٨٢ وتهذيب الكمال ج١١ ص٤٢١ وتحفة المحتاج ج٢ ص٤٥١ والإلمام ج٢ ص٧٢٥.

(٢) الدر المنثور ج٢ ص١٤٦ عن البزار، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٤٩٢.

٤ ـ وعن ابن عمر حديث آخر ذكر فيه: الكبائر تسع. وعدّ منها الفرار من الزحف[1].

٥ ـ وراجع أيضاً: حديث عمير الليثي عن النبي «صلى الله عليه وآله»[2].

٦ ـ وحديث ابن عمرو عن النبي «صلى الله عليه وآله»[3].

---

(١) الدر المنثور ج٢ ص١٤٦ عن علي بن الجعد في الجعديات، وابن راهويه، والبخاري في الأدب المفرد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والقاضي إسماعيل في أحكام القرآن، والأدب المفرد ص١٣ وراجع: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢ ص٤٣ وتفسير الآلوسي (روح المعاني) ج٥ ص١٨ والتقرير والتحبير ج٢ ص٣٢٣ وكشف الأسرار لعلاء الدين البخاري ج٢ ص٥٨٤ والزواجر لابن حجر ج١ ص٣٩٣ و ٧٢٣ و ٨٤٣.

(٢) الدر المنثور ج٢ ص١٤٦ عن أبي داود، والنسائي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم، وابن مردويه، وتفسير ابن أبي حاتم ج٣ ص٩٣١ وفتح الباري ج١٢ ص١٦١ ومجمع الزوائد ج١ ص٤٨ والمعجم الكبير ج١٧ ص٤٨ وتهذيب الكمال ج١٦ ص٤٤٠ وكنز العمال ج٣ ص٥٤٤ وزاد المسير ج٢ ص١١٤ وتفسير الآلوسي ج١٥ ص٥٩ وضعفاء العقيلي ج٣ ص٤٥ وتلخيص الحبير ج٤ ص٦٢ والتقرير والتحبير ج٢ ص٣٢٤ والترغيب والترهيب ج١ ص٣٠٣ وج٢ ص١٩٨ وج٤ ص١٧ والزواجر لابن حجر ج٢ ص٦٣١ وراجع: جامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص٣٥٤ ومستدرك الوسائل ج١١ ص٣٦١ عن عوالي اللآلي، وسنن النسائي ج٧ ص٨٩ والسنن الكبرى للنسائي ج٢ ص٢٩٠ والفضائل العددية لمحمد حياة الأنصاري ص٤٠٧ .

(٣) الدر المنثور ج٢ ص١٤٦ عن مردويه، وابن المنذر، والطبراني، وفتح الباري ج١٢ ص١٦١ وكنز العمال ج٣ ص٥٤٤ ومجمع الزوائد ج١ ص١٠٣ وتفسير القرآن =

٧ ـ وحديث أبي أيوب عنه «صلى الله عليه وآله»(١).

٨ ـ وعن أبي قتادة العدوي قال: قرئ علينا كتاب عمر: من الكبائر جمع ما بين الصلاتين يعني بغير عذر، والفرار من الزحف، والنميمة(٢).

٩ ـ عن أبي أمامة عنه «صلى الله عليه وآله»: أنه عدّ الفرار من الزحف من الكبائر(٣).

١٠ ـ وعن علي «عليه السلام» قال: الكبائر: الشرك بالله..

= العظيم ج١ ص٤٩٣ وراجع: مستدرك الوسائل ج١٨ ص٩٠ وعوالي اللآلي ج٣ ص٥٦١.

(١) الدر المنثور ج٢ ص١٤٦ عن أحمد، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن حبان، والحاكم وصححه، ومسند أحمد ج٥ ص٤١٣ وسنن النسائي ج٧ ص٨٨ والمستدرك للحاكم ج١ ص٢٣ والسنن الكبرى للنسائي ج٢ ص٢٨٩ وج٦ ص٣٢٢ ومسند الشاميين ج٢ ص١٧٩ وجامع البيان ج٥ ص٤٣ و (ط دار الفكر) ص٦١ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٤٩٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٢ ص١٧٧ وكنز العمال ج٣ ص٢١٨ وشرح مشكل الآثار للطحاوي ج٢ ص٣٥٠ ومعتصر المختصر لأبي المحاسن الحنفي ج٢ ص٢٧٤ وإعتقاد أهل السنة للالكائي ج٦ ص١٠٦٤

(٢) الدر المنثور ج٢ ص١٤٧ عن ابن أبي حاتم، والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص١٦٩ ونصب الراية ج٢ ص٢٣٢ وكنز العمال ج٨ ص٢٤٦ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٤٩٥ وتفسير ابن أبي حاتم ج٣ ص٩٣٣.

(٣) الدر المنثور ج٢ ص١٤٧ عن ابن جرير، وفتح الباري ج١٢ ص١٦١ وجامع البيان ج٥ ص٦٢ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٤٩٦ وشرح كتاب التوحيد ج١ ص٣٣٨ والزواجر لابن حجر ج٢ ص٨٥٣ وإعراب القرآن للنحاس ج٤ ص٨٧.

إلى أن قال: والفرار من الزحف[1].

١١ ـ وعدّ ابن عباس: الفرار من الزحف من الكبائر، واستدل بآية سورة الأنفال[2].

مقارنتان بين بدر وحنين:

ثالثاً: إن هناك خصوصيات تتشارك فيها غزوتا بدر وحنين، نذكر منها:

١ ـ الإمداد بالملائكة.

٢ ـ أن فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله.

٣ ـ أن النكاية في المشركين في كليهما كانت لعلي «عليه السلام».

٤ ـ أن عدد الذين قتلهم علي «عليه السلام» متقارب في الغزوتين، حيث قتل في حنين أربعين رجلاً بيده[3]، وقتل في بدر ما يقرب من هذا العدد أيضاً.

---

(١) الدر المنثور ج٢ ص١٤٧ عن ابن أبي حاتم، وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٤٩٧ وتفسير أبي حاتم ج٣ ص٩٣٣ وفتح الباري ج١٢ ص١٨٢ وشرح كتاب التوحيد ج١ ص٣٣٨.

(٢) الدر المنثور ج٢ ص١٤٨ عن ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، ومجمع الزوائد للهيثمي ج٧ ص١١٥ والمعجم الكبير للطبراني ج١٢ ص١٩٦.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٩٩ وراجع: كشف الغطاء (ط ق) ج١ ص١٥ والكافي ج٨ ص٣٧٦ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص٣٥٥ وشرح أصول الكافي ج١٢ ص٥٤٢ والبحار ج٢١ ص١٧٦ وج٤١ ص٦٦ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٤٥٢ والتفسير الصافي ج٢ ص٣٣٢ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص٢٠١ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة ج١ ص٢٥٧ وج٩ ص٣٤١.

فقد ذكروا: أنه «عليه السلام» قتل نصف السبعين، وشارك في قتل النصف الآخر كما تقدم في غزوة بدر(١).

وحين يذكرون الأسماء، ونجمع بين مختلفاتها، وأقوال الرواة فيها، فلعل العدد يبلغ الأربعين رغم حرصهم الشديد على التكتم والحذف، وإثارة الشكوك والشبهات.

٥ ـ أن الإمتيازات الحربية في بدر كانت لصالح المشركين، وكذلك الحال في غزوة حنين، كما سنوضحه إن شاء الله تعالى، ولو بصورة جزئية.

٦ ـ أن حرب بدر كانت مصيرية بالنسبة لأهل الشرك وللمسلمين على حد سواء. وكذلك كانت حرب حنين.

ونفس قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إن تهلك هذه العصابة لا تعبد» خير دليل على ذلك.

---

(١) راجع: نهج الحق الموجود في ضمن دلائل الصدق ج٢ ص٣٥٣. ولم يعترض عليه ابن روزبهان بشيء، ونهج الحق وكشف الصدق (ط ستارة قم) ص٢٤٨ وقال في هامشه: راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١ ص٨، وقال: إذا رجعت إلى مغازي محمد بن عمر الواقدي، وتاريخ الأشراف ليحيى بن جابر البلاذري، وغيرها علمت صحة ذلك. وليراجع أيضاً: نور الأبصار ص٨٦ .

وراجع: شرح النهج للمعتزلي ج١ ص٢٤ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٤١٩ والبحار ج٤١ ص١٤٦ وشجرة طوبى ج٢ ص٢٧٣ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ لمحمد الريشهري ج٩ ص٣٣٩ وأعيان الشيعة ج١ ص٣٣٠ و ٣٩٥ وكشف اليقين ص١٢٦ وإحقاق الحق (الأصل) ص٢٠٦ وشرح إحقاق الحق ج٣٢ ص٣٣٤.

٧ ـ أن عدد قتلى المشركين من ثقيف كان سبعين رجلاً كما سيأتي(١).

أما عدد الشهداء، فكان أربعة أو خمسة من المسلمين فقط(٢).

وفي بدر كان عدد قتلى مشركي قريش سبعين رجلاً، وعدد الشهداء أيضاً كان خمسة، على بعض الأقوال.

٨ ـ وكما احتاج المسلمون إلى الماء في بدر، احتاج المسلمون إلى الماء في حنين، فعن سلمة بن الأكوع قال: غزونا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» هوازن، فأصابنا جهد شديد ، فدعا بنطفة من ماء في إداوة ، فأمر بها فصبت في قدح، فجعلنا نطَّهر به، حتى تطهرنا جميعاً(٣).

٩ ـ إن غزوة بدر كانت أول غزوة للعرب، وغزوة حنين كانت آخر غزوة لهم، فخمدت جمرة العرب بهاتين الغزاتين.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣٤ وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٤٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٨٨ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٨٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٨٩٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٣٥ والإكتفاء للكلاعي ج٢ ص٢٤٦ وعيون الأثر ج٢ ص٢١٨.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣٤ وراجع: تفسير الميزان ج٩ ص٢٣٥ ومعجم الزوائد ج٦ ص١٨٩ و ١٩٠ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٥٢ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٨٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٩٠٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٤٤ وتاريخ خليفة بن خياط ج١ ص٨٨.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣٥ وج٩ ص٤٥٤ عن أبي نعيم، وعمدة القاري ج١٣ ص٤٣ وراجع: الفايق في غريب الحديث ج٣ ص٣٠٧ وتاج العروس ج١٠ ص١٢٦ ومسند الروياني ج٢ ص٢٥٧ والخصائص الكبرى ج١ ص٤٥٠ وغريب الحديث للخطابي ج١ ص٤١٢ والمعجم الكبير للطبراني ج٧ ص١٨.

١٠ ـ أنه «صلى الله عليه وآله» رمى بالحصى في وجوه المشركين في الغزوتين.

١١ ـ أن غزوتي بدر وحنين كانتا مع المشركين، وأما سائر الحروب والغزوات فكان بعضها مع المشركين، ولكن عمدتها وأهمها، وأخطرها كان مع اليهود وغيرهم.

معاوية يروي الأكاذيب:

روي عن معاوية بن أبي سفيان أنه قال: لقيت أبي منهزماً مع بني أبيه من أهل مكة، فصحت به: يا ابن حرب، والله ما صبرت مع ابن عمك، ولا قاتلت عن دينك، ولا كففت هؤلاء الأعراب عن حريمك!

فقال: من أنت؟

فقلت: معاوية.

قال: ابن هند؟

قلت: نعم.

قال: بأبي أنت وأمي. ثم وقف فاجتمع معه أناس من أهل مكة، وانضممت إليهم، ثم حملنا على القوم فضعضعناهم. وما زال المسلمون يقتلون المشركين، ويأسرون منهم حتى ارتفع النهار. فأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالكف عنه، ونادى: أن لا يقتل أسير من القوم[1].

---

(١) الإرشاد للمفيد ج١ ص١٤٤ والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص٨٦ والبحار ج٢١ ص١٥٨ وشجرة طوبى ص٣١٠ وكشف الغمة ج١ ص٢٢٣ والدر النظيم لابن حاتم العاملي ص١٨٣ .

ونقول:

إن ذلك لا يصح.

أولاً: لأن أبا سفيان ومعاوية كانا على تل مشرف يتفرجان لمن تكون الدائرة، فقد قالوا: ولما أصبح القوم، ونظر بعضهم إلى بعض أشرف أبو سفيان وابنه معاوية، وصفوان بن أمية، وحكيم بن حزام على تلّ ينظرون لمن تكون الدائرة(١).

ثانياً: قال ابن إسحاق: لما انهزم المسلمون قال أبو سفيان ـ وكان إسلامه بعد مدخولاً ـ: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، وإن الأزلام لمعه في كنانته(٢).

ثالثاً: ما معنى أن يخاطب معاوية أباه بقوله: «يا ابن حرب»؟! أليس

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٧ والبحار ج٢١ ص١٥٨ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٧٧ والسيرة النبوية ج٣ ص٦٢٦ ودلائل النبوة ج٥ ص١٣١ وتاريخ الإسلام ج٢ ص٥٧٨.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٩ وراجع: تفسير الميزان ج٩ ص٢٣٥ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٤٧ والكامل لابن الأثير ج٢ ص٢٦٣ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٧٤ وإمتاع الأسماع ج٢ ص١٧ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٨٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٢١٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦١٩ والنصائح الكافية لمحمد بن عقيل ص١١٠ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ لمحمد الريشهري ج١ ص٢٥٢ وشرح مشكل الآثار ج٦ ص٤١٢ ومعتصر المختصر لأبي المحاسن الحنفي ج١ ص٢٢٩ وزاد المعاد ج٣ ص٤٦٩ والكامل في التاريخ ج٢ ص١٣٧.

هذا من سوء أدب الأبناء مع الآباء؟! أم أن ذلك كان من أساليب الخطاب بين الأبناء والآباء في الجاهلية؟!

ثم ما معنى أن لا يعرفه أبوه ولو من صوته، مع أنه قد أطال خطابه معه؟! حتى احتاج أن يسأله عن نفسه!!

رابعاً: إنه يريد أن يزعم: أن أبا سفيان كان قد أسلم حقاً، مع أن الروايات الكثيرة التي مرت وتمر معنا في هذه الغزوة تصرح بخلاف ذلك. ولأجل الوصول إلى هذه الغاية، قال معاوية له: «ولا قاتلت عن دينك».

ثم أكد ذلك بقوله: ولا كففت هؤلاء الأعراب عن حريمك، للإيهام بأن حريم أبي سفيان في خطر من قبل هوازن، لأنه كان قد أسلم.. مع أن هذا الأمر غير ظاهر، بل لعل غطفان كانت مطمئنة إلى أن أبا سفيان سوف يساعدها على حرب النبي «صلى الله عليه وآله» لو وجد سبيلاً إلى ذلك.

خامساً: إنه يريد أن يقول: إن كرة أبي سفيان وقريش، هي السبب في هزيمة هوازن. مع أن الروايات الآتية تصرح: بأن الأنصار هم الذين كروا على هوازن حتى طردوها(١).

بل الصحيح هو: أن علياً «عليه السلام» هو واهب النصر للمسلمين كما سيتضح.

سادساً: لماذا يعترض معاوية على أبيه، ويؤنبه بهذه الحدة، ولا ينظر إلى

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٩ و ٣٢٠ و ٣٢٣ ومواضع أخرى عن العديد من المصادر، وتفسير البحر المحيط ج٥ ص٢٦ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٢٢٩ .

نفسه، فإنه هو الآخر كان في جملة الهاربين.

فاتضح: أن معاوية في روايته تلك ليس فقط يريد أن يدفع عن نفسه وعن أبيه عار الهزيمة يوم حنين. بل هو يريد أن يدَّعي: أنه هو وأبوه وقريش هم صانعو النصر في حنين، فهم الذين ضعضعوا المشركين، ثم ما زال المسلمون يقتلون ويأسرون، حتى كفهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

ثم إنه يريد أن يثبت إسلام أبي سفيان آنئذٍ، ويبعد صفة النفاق، والشرك عنه، مع تصريحهم بخلاف ذلك حسبما تقدم وسيأتي.

ونحن على يقين من أن هذه الرواية لو صحت، أو حتى لو أمكن التسويق لها، ولو بشق الأنفس، لوجدت محبي معاوية وأبي سفيان يقذفون بها في كل اتجاه، ولكانت قد امتلأت بها كتبهم، ولأشاروا إليها، ودلوا عليها بمناسبة وبغير مناسبة..

ولكن القاعدة التي تقول: حدِّث العاقل بما لا يليق له، فإن لاق له، فاعلم أنه لا عقل له.. قد قيدتهم هنا، وإن لم تستطع أن تفعل شيئاً في مواضع كثيرة أخرى حين يتعلق الأمر بالخليفتين الأولين مثلاً.

ولعل السبب في ذلك: أن معاوية وأبا سفيان وقريشاً، وإن كانت لهم مكانتهم في قلوبهم، ويعزُّون عليهم، ولكن هناك مجال للتساهل في أمرهم، والتغاضي عن بعض ما يرتبط بهم.. أما إذا كان الأمر يرتبط بأركان الخلافة، وخصوصاً الشيخين، فلا بد من تعطيل كل العقول، والقبول بكل حديث عن فضائلهم، وقهر القلوب على محبتهم، ومحاربة، بل وقتل كل من يتوهم أنهم أخطأوا أو ظلموا، أو اغتصبوا حق علي وبنت النبي عليهم الصلاة والسلام، أو غير ذلك.

ولعل أبا بكر وعمر لا يريدان من أتباعهم كل هذا، بل يرضيهم ما هو أقل منه بكثير، ولكن ماذا نصنع بمن يصبحون ملكيين أكثر من الملك نفسه والله ولي الأمر والتدبير.

ومهما يكن من أمر: فإن كل ذلك إن دل على شيء، فإنما يدلنا على أمرين:

أحدهما: مدى معاناة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، مع أناس هذه حالهم، وتلك هي خصوصيتهم التي تهيمن على كل وجودهم وحياتهم، وتحكم واقعهم. فساعد الله قلبك يا رسول الله على ما تحملت من الأذى حتى قلت: صلى الله عليك وعلى آلك الطاهرين: ما أوذي أحد بمثل ما أوذيت في الله[1]، بحزن وأسى.

---

(١) كنز العمال ج٣ ص١٣٠ الحديث رقم: (٥٨١٧ و ٥٨١٨) وج١١ ص٤٦١ الحديث رقم: (٣٢١٦٠ و ٣٢١٦١) وكشف الخفاء ج٢ ص٥٣٢ وشرح أصول الكافي ج٩ ص٢٠٢ وميزان الحكمة ج١ ص٦٧ وج٤ ص٣٢٢٧ و ٣٢٢٨ وفتح الباري ج٧ ص١٢٦ والجامع الصغير ج٢ ص٤٨٨ وفيض القدير ج٥ ص٥٥٠ وحلية الأولياء ج٦ ص٣٣٣وأسنى المطالب ج١ ص٢٤٥ والمقاصد الحسنة ج١ ص٥٧٣ وكشف الخفاء ج٢ ص١٨٠ وكتاب المجروحين ج٢ ص٣٠٥ والكامل ج٧ ص١٥٥ وتهذيب الكمال ج٢٥ ص٣١٤ وميزان الإعتدال ج٣ ص٥٧٠ وج٤ ص٤٧٢ والكشف الحثيث ص٢٣٣ وكتاب التمحيص للإسكافي ص٤ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص٤٢ والبحار ج٣٩ ص٥٦ والتفسير الكبير ج٤ ص١٤٢ وتفسير ابن عربي ج١ ص٢٣٩ وج٢ ص٨٢ وتفسير البحر المحيط ج٧ ص٢٤٢ وتاريخ الإسلام ج٤١ ص٣٣٣ والزواجر ج١ ص١١٧.

الثاني: إن ظهور هذا الدين في مجتمع ليس فيه مثل وقيم، وعلم ومعارف، وتدبير وسياسة، وحكمة وما إلى ذلك. لا بد أن يكون من أكبر الأدلة على أنه هو الأصلح للبشر، والأوفق بفطرتهم، والمنسجم مع خصوصيات خلقتهم.. كما لا بد أن يعد ذلك من معجزات النبوة، ودلائل التسديد بالوحي الإلهي، والهداية والرعاية الربانية.

وكما كان هذا حال النبي «صلى الله عليه وآله»، فإنه أيضاً حال علي «عليه السلام» على قاعدة: «ولك مثلها يا علي»[1]. فقد كانت له «عليه السلام» معجزة مماثلة حيث حقق أعظم الإنتصارات على أقوى الأعداء نفوذاً، وأكثرهم في الناس آنئذٍ احتراماً وتقديساً، على يد أناس هم إلى أولئك الأعداء أميل، وهم بهم أشبه وأمثل، وكانوا يرون الكون معهم أولى وأجمل، والإلتزام بتعاليمهم ونهجهم، أصوب وأفضل..

وذلك في حربه «عليه السلام» للناكثين والقاسطين والمارقين، حتى قال: أنا فقأت عين الفتنة، ولم يكن ليجرؤ عليها أحد غيري. ولو لم أكن فيكم ما قوتل الناكثون، ولا القاسطون، ولا المارقون[2].

---

(١) راجع: ما جرى في غزوة الحديبية عند كتابة العهد..

(٢) أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج٢ ص٣٧٤ و ٣٧٥ وتاريخ الأمم والملوك ج٤ ص٦٦ والأخبار الطوال ص٢١١ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٩٣ وشرح النهج للمعتزلي ج٧ ص٥٧ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) للميرجهاني ج١ ص١٠٣ وراجع ج٢ ص٣٤٦ والغارات للثقفي ج١ ص٧ وراجع ص١٦ وج٢ ص٦٧٧ وشرح الأخبار ج٢ ص٣٩ و ٢٨٦ والملاحم والفتن لابن طاووس ص٢٢١ وتذكرة الخواص ص١٠٥ عن الواقدي، =

وقد شرحنا حقيقة هذه الظروف التي أحاطت بإنجازات أمير المؤمنين في الجزء الأول من كتابنا: «علي والخوارج»، فلا بأس برجوع القارئ الكريم إليه، إن أحب التوسع في البيان، والإطلاع على الدلائل والشواهد بصورة أتم وأوفى.

= والبداية والنهاية ج٧ ص٢٨٩ والكامل لابن الأثير ج٣ ص ٣٤٨ ولم يذكر من بهم رمق. وفي مروج الذهب ج٢ ص٢٠٧ قال: «قسم السلاح والدواب بين المسلمين ورد المتاع والعبيد والإماء إلى أهلهم» وراجع: كتاب سليم بن قيس (تحقيق محمد باقر الأنصاري) ص٢٥٦ وكنز العمال ج١١ ص٢٩٨ وشرح الأخبار ج٢ ص٢٨٦ والبحار ج٣٢ ص٣١٦ وج٣٣ ص٣٥٦ و ٣٦٦ وج٣٤ ص١١٨ و ٢٥٩ وج٤١ ص٣٥٤ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ج١ ص١٩٤ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١٦٥ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٥٩ و ١٣٣ وراجع: نهج السعادة ج٢ ص٤٣٧ والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٦٩٨ وحلية الأولياء ج١ ص٦٨ و ١٦٨ والسنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني ج٢ ص٦٢٧ وأعيان الشيعة ج١ ص٣٥٨ .

الفصل الخامس:

متآمرون على حياة النبي ’

ما الذي جرى بعد الهزيمة؟!:

عرفنا: أن المسلمين انهزموا عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حنين بلا مبرر، وقد أنزل الله في فعلتهم هذه قرآناً يتلى إلى يوم القيامة. يسجل ملامتهم، ويجاهر بتوبيخهم، ويعلن: أن الله سبحانه قد انزل سكينته على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعلى خصوص المؤمنين الذين جاهدوا، وصمدوا، ولم يفروا حسبما بيناه فيما سبق..

ثم جرت أحداث ومعالجات للموقف من قبل رسول الله «صلى الله عليه وآله» انتهت بهزيمة المشركين.. فما هي تلك الأحداث التي جرت، والمعالجات التي حصلت؟!

هذا ما سوف نشير إليه في هذا الفصل الذي عقدناه لبيان هذا الأمر..

فنقول:

إننا نستطيع أن نجمل ما جرى من حين الهزيمة إلى حين عودة بعض المسلمين من هزيمتهم بما يلي:

١ ـ محاولات لاغتيال النبي «صلى الله عليه وآله» هي:

ألف: محاولة شيبة.

ب: محاولة النضير بن الحارث بن كلدة.

٢ ـ حينت وقعت الهزيمة على المسلمين صار «صلى الله عليه وآله» يركض بغلته قِبَل الكفار وقد شهر سيفه. ثم نزل عنها، وصار يتقدم نحوهم.

٣ ـ أمر «صلى الله عليه وآله» عمه العباس: بأن يصعد مرتفعاً لينادي المسلمين، ويذكرهم العهد، لكي يرجعوا.

وقد ناداهم النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه أكثر من مرة: يا للأنصار..

٤ ـ رفع «صلى الله عليه وآله» يديه إلى السماء، وصار يدعو بما دعا به موسى «عليه السلام» حين فلق له البحر..

٥ ـ أخذ كفاً من حصى أو من تراب، ورمى به في وجوه المشركين، وقال: شاهت الوجوه.

٦ ـ تولى علي «عليه السلام» قتال الكفار، والباقون من بني هاشم، احتوشوا النبي «صلى الله عليه وآله»، ليكونوا جداراً بشرياً له، يحميه من العدو.

٧ ـ أنزل الله تعالى جنوداً من الملائكة لتكون مع المسلمين..

٩ ـ إن البعض قد رأى هؤلاء الجنود. وذكر ذلك للرسول حسبما تقدم، وسيأتي.

١٠ ـ حمي وطيس الحرب، حتى كسرت شوكة المشركين بجهاد علي «عليه السلام»، وصبر النبي «صلى الله عليه وآله»..

١١ ـ ثم بدأت عودة بعض الأنصار وخصوصاً من الخزرج إلى ساحة القتال.

١٢ ـ قال «صلى الله عليه وآله»: أنا ابن العواتك (من سليم).

وسنتحدث عن هذه المفردات ونظائرها في الفصول التالية.

أما في هذا الفصل فنكتفي بعرض المؤامرات على حياة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فنقول:

شيبة يريد اغتيال النبي ' :

روي عن عبد الملك بن عبيد، وعن عكرمة قالا: قال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة: لما كان عام الفتح دخل رسول الله «صلى الله عليه وآله» مكة عنوة، وغزا حنيناً، قلت: أسير مع قريش إلى هوازن، فعسى إن اختلطوا أن أصيب من محمد غرّة.

وتذكرت أبي وقتله حمزة، وعمي وقتله علي بن أبي طالب، فقلت: اليوم أدرك ثأري من محمد، وأكون أنا الذي قمت بثأر قريش كلها.

وأقول: لو لم يبق من العرب والعجم أحد إلا اتبع محمداً ما تبعته أبداً.

فكنت مرصداً لما خرجت له، لا يزداد الأمر في نفسي إلا قوة.

فلما اختلط الناس، اقتحم رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن بغلته، وأصلتُّ السيف، ودنوت منه، أريد ما أريد.

وفي رواية: فلما انهزم أصحابه جئته من عن يمينه، فإذا العباس قائم عليه درع بيضاء، قلت: عمه لن يخذله، فجئته من عن يساره، فإذا بأبي سفيان بن الحارث، فقلت: ابن عمه لن يخذله، فجئته من خلفه، فلم يبق إلا أن أسوره سورة بالسيف إذ رفع إليَّ فيما بيني وبينه شواظ من نار كأنه برق.

فخفت أن يتمحشني، فوضعت يدي على بصري، خوفاً عليه، ومشيت القهقرى، وعلمت أنه ممنوع.

فالتفت إليّ وقال: «يا شيبة، أدن مني».

فدنوت منه، فوضع يده على صدري، وقال: «اللهم أذهب عنه الشيطان».

فرفعت إليه رأسي وهو أحب إلي من سمعي وبصري وقلبي.

ثم قال: «يا شيبة، قاتل الكفار».

قال: فتقدمت بين يديه، أحب والله أن أقيه بنفسي كل شيء.

فلما انهزمت هوازن رجع «صلى الله عليه وآله» إلى منزله، ودخلت عليه، فقال: «الحمد لله الذي أراد بك خيراً مما أردت»(١).

ثم حدثني «صلى الله عليه وآله» بما هممت به.

وحسب نص الراوندي: أن شيبة قال: ما كان أحد أبغض إليّ من محمد، وكيف لا يكون ذلك وقد قتل منا ثمانية، كل منهم يحمل اللواء؟!

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٠ و ٣٢١ وج١٠ ص٦٦ و ٢٦٢ عن ابن سعد، وابن عساكر، والبغوي، والطبراني، وأبي نعيم، والبيهقي، وتاريخ مدينة دمشق ج٢٣ ص٢٥٧ و ٢٥٨ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص٦٤ وإمتاع الأسماع ج٢ ص١٧ وج٤ ص١١٨ وج١٤ ص١٦ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠٢ عن السيرة النبوية لابن هشام، وابن أبي خيثمة، وعن الصفوة، وعيون الأثر ج٢ ص٢١٧ وراجع: شجرة طوبى ج٢ ص٣١٠ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٥٩ والبحار ج١٨ ص٦١ وج٢١ ص١٦٦ و ١٦٧ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٨٤ والمعجم الكبير ج٧ ص٢٩٩ وتاريخ الإسلام ج٢ ص٥٨٣ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٨١ وج٨ ص٢٣٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٣٢ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٧١. وراجع: دلائل النبوة للبيهقي ج٦ ص١٨٨ والمغازي للواقدي ج٣ ص٩١٠ والإصابة ج٣ ص١٦١ عن ابن أبي خيثمة، وابن سعد، والواقدي، وابن إسحاق، والبغوي. وراجع: إعلام الورى ص١٢١ و ١٢٢ و (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص٢٣١.

فلما فتح مكة آيست مما كنت أتمناه من قتله، وقلت في نفسي: قد دخلت العرب في دينه، فمتى أدرك ثأري منه؟!

فلما اجتمعت هوازن بحنين قصدتهم لآخذ منه غرة فأقتله، ودبرت في نفسي كيف أصنع، فلما انهزم الناس، وبقي محمد «صلى الله عليه وآله» وحده، والنفر الذين بقوا معه، جئت من ورائه ورفعت السيف، حتى إذا كدت أحطه غشي فؤادي، فلم أطق ذلك، فعلمت أنه ممنوع.

وفي نص آخر قال: رفع إليَّ شواظ من نار حتى كاد أن يحمشني، ثم التفت إليّ محمد «صلى الله عليه وآله»، فقال لي: أدن يا شيبة وقاتل. ووضع يده في صدري، فصار أحب الناس إليّ.

وتقدمت وقاتلت بين يديه، فلو عرض لي أبي لقتلته في نصرة رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فلما انقضى القتال دخلنا على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال لي: الذي أراد الله بك خير مما أردته لنفسك. وحدثني بجميع ما زورته في نفسي.

فقلت: ما اطَّلع على هذا إلا الله. فأسلمت(١).

ونقول:

١ ـ إننا وإن كنا لا نناقش في أن يكون وضع رسول الله «صلى الله عليه وآله» يده على صدر إنسان يحدث هذا الإنقلاب فيه، ليكون ذلك من معجزاته «صلى الله عليه وآله».

---

(١) البحار ج٢١ ص١٥٤ و ١٨١ والخرائج والجرائح ج١ ص١١٧ و ١١٨ وراجع: مجمع البيان ج٥ ص١٨ ـ ٢٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠٢ و ١٠٣.

ولكن المهم في الأمر هو: أن يكون هذا الناقل صادقاً فيما يدَّعيه لنفسه من تحول وانقلاب. إذ لعله نسج هذه الفضيلة ليتستر على ما يصل إلى حد الفضيحة له، حين صارحه رسول الله «صلى الله عليه وآله» بما كان قد دبَّره.

والظاهر: أنه هذه المصارحة بحضور آخرين، كما قد يومي إليه قوله: فدخلنا على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، الدال على: أنه لم يكن وحده.

وحتى لو كان وحده، فإنه لم يعد مطمئناً إلى أن هذا الأمر سيظل مكتوماً.. وهو يعرف أن انتشاره بين أهل الإيمان سوف يضعه في موقع المتهم، وسيجعلهم ينظرون إليه بعين الريبة والشك..

ولعله إذا نسج لنفسه هذه الفضيلة، يجد من يصدقها، ويستعيد بذلك بعضاً من الثقة لدى الناس.. إذ لا يمكن لأحد العيش في محيط مشحون بالريبة والشك.

٢ ـ إن هذا الرجل يدَّعي: أنه أصلت سيفه، وتقدم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» من جهة اليمين، فوجد العباس، ثم من جهة الشمال، فوجد أبا سفيان بن الحارث.. فجاءه من خلفه..

غير أننا نقول:

قد يصعب على العاقل فهم هذه المزاعم، فإن المفروض: أن شيبة قد فعل ذلك بعد انهزام أصحابه «صلى الله عليه وآله» عنه، وإذ قد خلت الساحة منهم، فقد اصبح بإمكان النبي «صلى الله عليه وآله» ومن معه أن يروا كل من يسعى للإقتراب منهم، سواء أتاهم من الأمام، أو عن اليمين، أو اليسار.

كما أنهم حين يرون أنفسهم في موضع الخطر، فالمفروض هو أن يزداد

حذرهم، وأن ينظروا في كل الإتجاهات، ولاسيما عن يمينهم ويسارهم، ولا يعقل أن يتعلق نظرهم بجهة واحدة، وهي الأمام، ثم يغفلون عن سائر الجهات غفلة تامة..

فكيف إذن يمكن أن نتصوره قد جاءهم عن اليمين تارة، وعن الشمال أخرى، وهو مصلت سيفه، ثم لا يلتفتون إليه، لا في المرة الأولى، ولا في الثانية؟!

ولا أقل من أن يكون هو نفسه قد فكَّر بأنهم سوف يرونه، ثم يختار المجيء من جهة الخلف من أول الأمر.

٣ ـ مع أن ما ذكره شيبة عن كون أبي سفيان بن الحارث، كان عن يسار النبي «صلى الله عليه وآله» غير معلوم الصحة، فقد ذكروا أيضاً: أنه كان خلف النبي «صلى الله عليه وآله»، وكان يمسك بسرجه عند ثفر بغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله»[1].

والمراد بثفر البغلة: السير الذي في مؤخر السرج.

هذا كله عدا عن أن الأمر لا ينحصر بالعباس، وبأبي سفيان بن الحارث، فقد كان معه «صلى الله عليه وآله» أشخاص آخرون من بني هاشم يحيطون به..

---

(١) راجع: الإرشاد ج١ ص١٤٠ و ١٤١ والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص٨٢ ومناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج٢ ص٣٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ج١ ص٣٠٥ وج٢ ص٣٣٠ وإعلام الورى ج١ ص٣٨٧ والبحار ج٢١ ص١٥٦ وج٣٨ ص٢٢٠ وج٤١ ص٩٤ وراجع: مجمع البيان ج٣ ص١٨ و ١٩ وأعيان الشيعة ج١ ص٣٧٩ وج٣ ص٥٢٢ وكشف الغمة ج١ ص٢٢١.

٤ ـ إنه يوجد بعض التناقضات بين نصوص هذه الرواية: فهل بدأ شيبة تنفيذ هجومه حين اختلط الناس، أو بعد انهزام المسلمين عن النبي «صلى الله عليه وآله»؟!

وهل رفع إليه شواظ من نار كأنه برق؟! أو أنه حين رفع السيف غشي فؤاده، فلم يطق أن يحطَّه؟!

٥ ـ قال اليعقوبي: «وقال شيبة بن عثمان: اليوم أقتل محمداً، فأراد رسول الله ليقتله، فأخذ النبي «صلى الله عليه وآله» الحربة منه، فأشعرها فؤاده»[1].

النضير يتربص بالنبي ’ شراً:

قال محمد بن عمر: حدثنا إبراهيم بن محمد بن شرحبيل العبدري، عن أبيه قال: كان النضير (بن الحارث بن كلدة) من أحلم قريش. وكان يقول: الحمد لله الذي أكرمنا بالإسلام، ومنَّ علينا بمحمد «صلى الله عليه وآله»، ولم نمت على ما مات عليه الآباء، فذكر حديثاً طويلاً، ثم قال:

خرجت مع قوم من قريش، هم على دينهم ـ بعد ـ: أبو سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو. ونحن نريد إن كانت دبرة على محمد أن نغير عليه فيمن يغير.

فلما تراءت الفِئَتَان، ونحن في حيز المشركين، حملت هوازن حملة واحدة، ظننا أن المسلمين لا يجبرونها أبداً، ونحن معهم، وأنا أريد بمحمد ما أريد.

وعمدت له، فإذا هو في وجوه المشركين واقف على بغلة شهباء، حولها

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٦٢.

رجال بيض الوجوه، فأقبلت عامداً إليه، فصاحوا بي: إليك.

فأرعب فؤادي، وأرعدت جوارحي.

قلت: هذا مثل يوم بدر، إن الرجل لعلى حق، وإنه لمعصوم، وأدخل الله تعالى في قلبي الإسلام، وغيَّره عما كنت أهم به.

فما كان حلب ناقة حتى كرَّ أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» كرَّة صادقة، وتنادت الأنصار بينها: الكرَّة بعد الفرَّة: يا للخزرج، يا للخزرج، فحطمونا حطاماً، فرقوا شملنا، وتشتت أمرنا، وهمة كل رجل نفسه، فتنحيت في غبَّرات الناس، حتى هبطت بعض أودية أوطاس، فكمنت في خمر شجرة لا يهتدي إليَّ أحد إلا أن يدله الله تعالى عليَّ، فمكثت فيه أياماً، وما يفارقني الرعب مما رأيت.

ومضى رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى الطائف، فأقام ما أقام، ثم رجع إلى الجعرانة.

فقلت: لو صرت إلى الجعرانة، فقاربت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ودخلت فيما دخل فيه المسلمون، فما بقي، فقد رأيت عبراً، وقد ضرب الإسلام بجرانه، ولم يبق أحد، ودانت العرب والعجم لمحمد «صلى الله عليه وآله»، فَعِزُّ محمد لنا عز، وشرفه لنا شرف.

فوالله إني لعلى ما أنا عليه إن شعرت إلا برسول الله «صلى الله عليه وآله» يلقاني بالجعرانة كنَّة لكنَّة، فقال: «النضير»؟

قلت: «لبيك».

فقال: «هذا خير لك مما أردت يوم حنين، مما حال الله بينك وبينه».

فأقبلت إليه سريعاً.

فقال: «قد آن لك أن تبصر ما أنت فيه توضع».

قلت: قد أرى أن لو كان مع الله تعالى إلهاً غيره لقد أغنى شيئاً، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنك رسول الله.

قال رسول الله: «اللهم زده ثباتاً».

قال النضير: فوالله الذي بعثه بالحق، لكأن قلبي حجر، ثباتاً في الدين، وبصيرة في الحق، وذكر الحديث(1).

من هو النضير بن الحارث:

قد ذكر اسم النضير بن الحارث بن كلدة، على أنه هو الآخر كان قد حاول اغتيال النبي «صلى الله عليه وآله» في غزوة حنين.

وذكر ابن إسحاق وغيره: أنه كان من المؤلفة قلوبهم، الذين أعطاهم النبي «صلى الله عليه وآله» مائة بعير يوم حنين(2). وهو من مسلمة الفتح.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢١ و ٣٢٢ عن الواقدي، والإصابة ج٣ ص٥٥٨ و ٥٥٥ و (ط دار الكتب العلمية) ج٦ ص٣٤٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٢ ص١٠٢ والبداية والنهاية ج٤ ص٤١٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٩١ ودلائل النبوة للبيهقي ج٥ ص٢٠٦ والخصائص الكبرى للسيوطي ج١ ص٤٤٧ .

(٢) الإصابة ج٣ ص٥٥٧ و ٥٥٨ و (ط دار الجيل) ج٦ ص٣٤٣ عن ابن إسحاق، وابن سعد، وابن شاهين، وابن عبد البر، والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج٣ ص٥٦٦ و (ط دار الجيل) ج٤ ص١٥٢٥ وأسد الغابةج٥ ص٣١ و (ط دار الكتاب العربي) ص٢١ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٢ ص١٠٥ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٥٨ وإعلام الورى ج١ ص٢٣٦ وراجع: السيرة الحلبية ج٢ ص٤٤١.

ولكن يرد على هذا قولهم: إن موسى بن عقبة ذكر: أن النضير هذا من مهاجرة الحبشة(١). وذكر ذلك ابن الأثير بلفظ قيل(٢).

وقال ابن عبد البر: «كان من المهاجرين، وقيل: من مسلمة الفتح، والأول أكثر وأصح»(٣).

وقال أيضاً: «وذكر آخرون النضير بن الحارث فيمن هاجر إلى أرض الحبشة، فإن كان منهم فمحال أن يكون من المؤلفة قلوبهم»(٤).

ويمكن أن يجاب: بما ذكره البلاذري عن الهيثم بن عدي، قال: هاجر النضير بن الحارث إلى الحبشة، ثم قدم مكة، فارتدّ، ثم أسلم يوم الفتح، أو بعده(٥).

وقول البلاذري هذا يدفع الإشكال الذي يقول: إنه لو كان مسلماً مهاجراً، فكيف يعطيه النبي «صلى الله عليه وآله» مائة من الإبل، فإنه إنما كان يعطيها لخصوص المؤلفة قلوبهم(٦).

---

(١) الإصابة ج٣ ص٥٥٥ و (ط دار الجيل) ج٦ ص٣٣٩ و ٣٤٣ و ٣٨٣ والدرر لابن عبد البر ص٢٣٤ والجامع لأحكام القرآن ج٨ ص١٨٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٢ ص١٠٥.

(٢) أسد الغابة ج٥ ص٣١ و (ط دار الكتاب العربي) ص٢١.

(٣) الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج٣ ص٥٦٥ و (ط دار الجيل) ج٤ ص١٥٢٥ وعنه في أسد الغابة ج٥ ص٣١ و (ط دار الكتاب العربي) ص٢١.

(٤) الدرر لابن عبد البر ص٢٣٤ والجامع لأحكام القرآن ج٨ ص١٨٠.

(٥) الإصابة ج٣ ص٥٥٥ و (ط دار الجيل) ج٦ ص٣٣٩.

(٦) أسد الغابة ج٥ ص٣١ و (ط دار الكتاب العربي) ص٢١.

وارتداده عن الإسلام، وإبطاله لهجرته، يكفي شاهداً على أن ثمة حاجة إلى تأليفه..

ولكن يبقى هناك إشكال آخر على كلام البلاذري، وعلى كل من يقول بأنه كان قد أسلم قبل الفتح، وكان من المهاجرين مفاده: أنهم يذكرون: أنه حضر عند الرسول «صلى الله عليه وآله» يوم حنين، وصار يسأله عن فروض الصلاة ومواقيتها.. فمن كان من المسلمين المهاجرين إلى الحبشة، أو إلى المدينة كيف يسأل عن الصلاة ومواقيتها يوم حنين، التي كانت في آخر سنة ثمان؟![1].

ويمكن أن يجاب: بأن الراوي لم يفصل لنا تلك الأسئلة ولم نعرف حيثياتها وخصوصياتها، فلعله سأله عن تفاصيل، وغوامض ودقائق ترتبط بفروض الصلاة وبأوقاتها، غير ما كان متداولاً بين الناس..

لا بد من التذكير:

ربما يتساءل البعض بسلامة نية تارة، أو بخبث أخرى، حين يريد أن يجعل من سؤاله هذا وسيلة للتشنيع، والإهانة، والرفض والإدانة، فيقول: ما الفائدة من بحوث وتدقيقات من هذا القبيل، أليست مضيعة للوقت، وهدراً للطاقة؟!.

ونقول في الجواب:

لا، ليس الأمر كذلك، فإن لهذه البحوث ونظائرها فوائد وعوائد مختلفة. ولعل أهمها:

____

(١) أسد الغابة ج٥ ص٣١ و (ط دار الكتاب العربي) ص٢١.

١ ـ تعويد القارئ الكريم على عدم الإستئسار السريع للنص الذي يقرؤه، فلا يأخذ الأمور على عواهنها..

ثم هو يعطيه القدرة على التطواف في حنايا وزوايا أي نص يعرض عليه، واستخراج مكنوناته، والإستفادة من مخزوناته.. وبذلك يكون قد خرج من حالة الغفلة والسذاجة، إلى حالة من التيقظ والحذر، تصونه من أن يقع في فخ الهيمنة الفكرية من خلال الإدّعاءات، والإلقاءات المغرضة، والمؤثرة في استلابه القدرة على التأمل، والتدبر، والنقد الموضوعي، الصحيح والعميق.

٢ ـ إن للعلاقة العاطفية بالأشخاص، والثقة بهم أثراً عميقاً في النفس الإنسانية، يهيؤها ذلك للإنقياد التام لهم، والتسليم لكل ما يأتي عنهم، أو ينسب إليهم. حتى لو بلغ الأمر إلى حد نقل هؤلاء المستسلمين من دين إلى دين، ومن النقيض إلى النقيض..

وهذا يحتم على العلماء تعويد الناس على التدقيق بحالة وبواقع كل شخصية يحتاجون إلى التعامل معها بنحو أو بآخر، وربما يكون لها أدنى دور في تكوينهم الفكري والثقافي، أو الإيماني، أو ما إلى ذلك..

وفرق كبير بين شخص تتعاطى معه على أنه خالص الإيمان، ومجاهد باليد واللسان، وبين أن تعرفه بأنه منافق، أو من المؤلفة قلوبهم، أو متآمر، أو ما إلى ذلك..

٣ ـ إنه لا يصح الإستهانة بأي شيء يمكن أن يكون مؤثراً في حياة الناس، فكما لا يهمل الإنسان ربطة عنقه، ولا يرضى بأن يكون فيها أدنى خلل، حتى في شكلها، فكيف يتغاضى عن أمور تؤثر على فكره، ومسلكيته، وثقافته، وقيمه ومفاهيمه، وما إلى ذلك، بحجة أن هذه أمور

صغيرة، وغير ذات أهمية؟! فهل ربطة العنق أهم من الدين والإعتقاد؟! ومن الفكر، ومن القيم؟! و.. و.. الخ..

أبو سفيان لم يكن مسلماً بل متآمراً:

قد تقدم أكثر من مرة: بعض الحديث عن إسلام أبي سفيان، وأن النصوص تؤكد على: أنه لم يسلم يوم الفتح، بل هو لم يزل كهفاً للمنافقين إلى أن توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

ثم يأتي له تاريخ بعد وفاة النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» مليء بالمفاجآت التي تؤكد هذا الإنطباع عنه.

وقد تقدم: أنه خرج إلى حنين، وكانت الأزلام معه في كنانته.. وأنه كان هو ومعاوية وآخرون على التل ينظرون لمن تكون الغلبة، ويحبون أن تدور الدوائر على النبي «صلى الله عليه وآله» والمسلمين.. وستأتي نصوص عديدة أخرى تؤكد هذا المعنى أيضاً..

وها هي رواية النضير بن الحارث تؤكد أمرين خطيرين:

أولهما: كفر أبي سفيان.

والثاني: تآمره على النبي «صلى الله عليه وآله» في حنين.

يقول النضير بن الحارث: «خرجت مع قوم من قريش، هم على دينهم بعد: أبو سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو. ونحن نريد إن كانت دبرة على محمد أن نغير عليه في من يغير».

ولكن تبقى هناك حلقة مفقودة، لا بد من البحث عنها، وهي: هل كان هناك تنسيق بين هؤلاء المتآمرين وبين غطفان؟!

وهل كان غيرهم ممن خرجوا إلى حنين، وهم بعد على شركهم، وعددهم ثمانون رجلاً ـ كما يقول البعض ـ يعرفون بنواياهم هذه؟!

وهل كان القرشيون ـ الشبان ـ الذين كانوا مع بني سليم في المقدمة قد اطَّلعوا على نية هؤلاء؟!

وهل أطلعوا بني سليم أيضاً على ما كانوا دبروه وبيتوه؟!

وهل يمكن أن نعتبر سرعة فرار القرشيين وسليم بمثابة دليل على أن تلك المؤمراة كانت في طريقها إلى التنفيذ؟! وأن هزيمة المقدمة كانت أحد فصولها المهمة؟!..

إن هذه الأسئلة كلها تحتاج إلى إجابات مقنعة ومقبولة..

ولعلنا لا نجد لهذه الإجابات أثراً، إلا إن كانت شتائم وإهانات تواجهنا من قبل محبي معاوية وأبي سفيان وأضرابهما..

لا توجد كمائن:

وقد ذكرنا فيما سبق: أن النصوص تدل على أن سبب الهزيمة لم يكن هو الكمائن في الشعاب والمضايق.. ورواية النضير بن الحارث قد أظهرت ـ كرواية أبي إسحاق السبيعي، عن البراء بن عازب ـ: أن المسلمين قد التقوا بالمشركين في ساحة القتال، فلما تراءت الفئتان، حمل المشركون عليهم حملة واحدة. فكانت الهزيمة.

وهذا معناه: أن هزيمتهم لم تكن بسبب المفاجأة، والكمائن في المضايق والشعاب كما يدَّعون..

وسيأتي المزيد من شواهد ذلك، ودلائله إن شاء الله تعالى.

النضير..مع المشركين:

لقد صرح النضير بن الحارث: أنه كان مع المشركين. وأن الأنصار قد عادوا إلى ساحة القتال، قال: «فحطمونا حطاماً، فرقوا شملنا، وتشتت أمرنا».

وصرح أيضاً: بأنه لما تراءت الفئتان «كانوا ـ هو وأصحابه ـ في حيِّز المشركين».

ولعلهم انحازوا إلى المشركين حين وصولهم إلى ساحة القتال. ولو بأن وقفوا على تل، بالقرب منهم كما قال معاوية.

ثم بدأت المعركة، فانهزم المسلمون أولاً، ثم عاد قسم منهم إلى القتال، فلما انهزم المشركون أعلن هؤلاء (أبو سفيان ورفاقه) استسلامهم وبخوعهم، فأعطاهم النبي «صلى الله عليه وآله» من الغنائم تأليفاً لهم..

وقد صرحوا: بأن النضير كان من جملة الآخذين لمائة من الإبل كسائر المؤلفة قلوبهم، فإذا كان قد قاتل مع مشركي هوازن، فذلك يدل على أمرين:

الأول: أنه انضم إليهم بعد وصوله مع الجيش الإسلامي إلى ساحة المعركة.

الثاني: أن في المؤلفة قلوبهم من كان متظاهراً بالشرك، ولم يكونوا جميعاً من المتظاهرين بالإسلام، ولا كانوا في صفوف المسلمين. بل كان بعضهم ممن قاتل المسلمين مع جيش هوازن. سواء أكان قرشياً مثل النضير بن الحارث، أو من قادة هوزان. بل قائدها نفسه مثل مالك بن عوف.

إنه لعلى حق، وإنه لمعصوم:

وقد أظهر الحديث المتقدم: أن رؤية النضير للملائكة دعته إلى أن يقارن بين يوم حنين، ويوم بدر، حيث ظهرت الملائكة في كلا هذين اليومين للمشركين..

فاعترف: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» على حق، وإنه لمعصوم، أي ممنوع بالملائكة، فلا يمكن الوصول إليه لقتله..

ثم زعم: أن الله تعالى أدخل حينئذٍ الإسلام في قلبه..

غير أننا نلاحظ على ذلك:

١ ـ إن الذين يرون الملائكة حال القتال هم الكفار، وسيأتي في حديث شيبة الحجبي قول النبي «صلى الله عليه وآله»: لا يراها إلا كافر.

٢ ـ إنه إذا كان قد رأى الملائكة يوم بدر، وهي تدافع عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلماذا لم يؤمن منذ ذلك اليوم؟!

فإن كان يريد أن يزعم: أن أمر الإيمان لا يعود إليه، وإنما هو فعل إلهي جبري، يفرضه الله على الناس ـ كما ربما يوحي به قوله: «وأدخل الله في قلبي الإسلام، وغيَّره عما كنت أهم به».

فهو كلام مرفوض جملة وتفصيلاً. فإن الله تعالى لا يتدخل في أمر الإيمان بصورة جبرية، بل هو يقول للناس: **{فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ}**[1].

فإن شاء الإنسان الإيمان زاد في توفيقاته، وألطافه.. وإن اختار الكفر وكله إلى نفسه، وحجب ذلك عنه على قاعدة: **{وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ}**[2] و **{فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ}**[3].

---

(١) الآية ٢٩ من سورة الكهف.

(٢) الآية ١٧ من سورة محمد.

(٣) الآية ٥ من سورة الصف.

ويبقى **السؤال التالي يطرح نفسه، وهو:** إذا كان الله تعالى هو الذي يحوِّل قلبه، وهو الذي يدخل الإسلام فيه، فلماذا لم يغيِّر قلبه في بدر، حين رأى الملائكة تنصر النبي «صلى الله عليه وآله»؟!

٣ ـ إنه إذا كان الله قد غيَّر قلبه، وأدخل فيه الإسلام حين رأى الملائكة في حنين، فلماذا لم يمل مع المسلمين على المشركين، ويدفع عن نبي الإسلام من يريده بسوء؟! ولماذا بقي مع المشركين مقدار حلب الناقة حتى حطمهم المسلمون حطماً، وفرقوهم، وشتتوهم.

٤ ـ لماذا لم يمض مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى الطائف، ويظهر إسلامه أمامه ويقاتل معه مشركي ثقيف؟!

٥ ـ لماذا لم يفارقه رعبه مدة أيام، مع أن الله أدخل الإسلام إلى قلبه وغيَّره؟! ولماذا لم يغيِّر قلبه، من قلب جبان إلى قلب شجاع، ولماذا لم يبدل خوفه طمأنينة، واضطرابه سكينةً؟!

٦ ـ ولنا أن نسأل عن: أنه حين بقي أياماً مستتراً في خمر الشجر، فمن أين كان يأكل، ويشرب؟!

وهل ضعف جسده بسبب فقدان الطعام والشراب أياماً؟! أم بقي متماسكاً؟! وهل احتاج إلى معونة أحد للوصول إلى الجعرانة؟! وهل؟! وهل؟!

٧ ـ إن قول الرسول «صلى الله عليه وآله» للنضير حين لقيه بالجعرانة: «قد آن لك أن تبصر ما أنت فيه توضع» يدل على: أنه حتى تلك اللحظة لم يكن قد أبصر أو اهتدى بعد. والله سبحانه قد أمهله، ولم يعاقبه رغم استحقاقه لذلك.

٨ ـ إن الرواية المشار إليها قد ذكرت: أن المسلمين قد عادوا بسرعة من فرارهم، بحيث لم يغيبوا عن ساحة المعركة إلا قدر حلب شاة، مع أن الروايات قد تحدثت عن بلوغ المنهزمين في هزيمتهم مكة..

كما أنه سيأتي حين الحديث: أن النصر قد تحقق على يد علي «عليه السلام» دون سواه، قولهم: فوالله، ما رجعت راجعة للمسلمين حين هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتوفين عند رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فإن صح ذلك، فلا بد أن يكون المراد بها: أن الذين عادوا بسرعة هم طائفة الخزرج من الأنصار، لا جميعهم وهو ما صرحت به نفس هذه الرواية، التي نحن بصدد الحديث عنها، حيث قالت: وتنادت الأنصار بينها: الكرة بعد الفرة، يا للخزرج، يا للخزرج، فحطمونا، الخ..

ومن الواضح: أن الخزرج الذين حضروا المعركة قد لا يصل عددهم إلى بضع مئات. بل لعل المقصود هو: خصوص الثمانين أو المائة رجل، الذين عادوا قبل انهزام المشركين بيسير.

٩ ـ أما الحديث عن إمداد الله تعالى بالملائكة، فسيأتي عن قريب إن شاء الله تعالى..

١٠ ـ وأخيراً.. فإن مراجعة ما كان النضير يحدث به نفسه ليقنعها بالإسلام، يشير إلى: أنه إنما كان يعرض على نفسه أموراً دنيوية ومادية، وليس من بينها أي شيء يمكن تصنيفه في عداد قناعات حَكَمَ بها عقله، وقادته إليها فطرته، فهو لم يتحدث مع نفسه عن فساد الشرك، وسخافة عبادة الأحجار، وصحة التوحيد، ونفي الشريك. وما إلى ذلك..

بل غاية جهده أن قال وهو مرعوب وخائف: «..فقد رأيت عبراً، وقد

ضرب الإسلام بجرانه، ولم يبق أحد، ودانت العرب والعجم لمحمد، فعز محمد لنا عز، وشرفه لنا شرف».

الباب الثالث

النصر الإلهي

الفصل الأول: النبي ’ يعالج الموقف

الفصل الثاني: هزيمة المشركين على يد علي ×

الفصل الثالث: الثابتون في حنين

الفصل الرابع: نهايات حرب حنين

الفصل الأول:

النبي ’ يعالج الموقف

النداء والدعاء:

قال الشيخ المفيد: «ولما رأى رسول الله «صلى الله عليه وآله» هزيمة القوم عنه، قال للعباس ـ وكان رجلاً جهورياً صيّتاً ـ: «نادِ في القوم وذكرهم العهد»، فنادى العباس بأعلى صوته: يا أهل بيعة الشجرة، يا أصحاب سورة البقرة، إلى أين تفرون؟ اذكروا العهد الذي عاهدتم عليه رسول الله «صلى الله عليه وآله».

والقوم على وجوههم قد ولّوا مدبرين.

وكانت ليلة ظلماء، ورسول الله في الوادي، والمشركون قد خرجوا عليه من شعاب الوادي، وجنباته، ومضايقه، مصلتين سيوفهم، وعمدهم، وقسيهم.

قال: فنظر رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى الناس ببعض وجهه في الظلماء، فأضاء كأنه القمر ليلة البدر. ثم نادى المسلمين: «أين ما عاهدتم الله عليه»؟

فأسمع أولهم وآخرهم، فلم يسمعها رجل إلا رمى بنفسه إلى الأرض، فانحدروا إلى حيث كانوا من الوادي، حتى لحقوا بالعدو فقاتلوه»[1].

---

(١) البحار ج٢١ ص١٦٧ وراجع ص١٥٦ و ١٥٧ والإرشاد ج١ ص١٤٢ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٧٩ وكشف الغمة ج١ ص٢٢٢ وكشف اليقين ص١٤٤.

ونص آخر يقول: «فلما رأى رسول الله «صلى الله عليه وآله» الهزيمة ركض نحو عليٍّ بغلته، فرآه قد شهر سيفه، فقال: يا عباس، إصعد هذا الظرب[١]، وناد: يا أصحاب البقرة، ويا أصحاب الشجرة، إلى أين تفرون؟ هذا رسول الله.

ثم رفع رسول الله «صلى الله عليه وآله» يده، فقال: «اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان».

فنزل جبرئيل، فقال: يا رسول الله، دعوت بما دعا به موسى حيث فلق له البحر، ونجاه من فرعون.

ثم قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» لأبي سفيان بن الحارث: ناولني كفاً من حصى، فناوله، فرماه في وجوه المشركين، ثم قال: «شاهت الوجوه».

ثم رفع رأسه إلى السماء، وقال: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لم تعبد، وإن شئت أن لا تعبد لا تعبد».

فلما سمعت الأنصار نداء العباس، عطفوا، وكسروا جفون سيوفهم الخ..» [٢].

وما ذكر آنفاً من دعائه «صلى الله عليه وآله» بما دعا به موسى حين فلق البحر، رواه الواقدي وغيره، وقالوا: إنه دعا به لما انكشف عنه الناس، ولم

---

(١) الظرب: ما نشأ من حجر، وحدّ رأسه. والرابية الصغيرة.

(٢) البحار ج٢١ ص١٥٠ و ١٥١ والتفسير الصافي ج٢ ص٣٣١ و ٣٣٢ والتفسير الأصفى ج١ ص٤٥٩ و ٤٦٠ وتفسير الميزان ج٩ ص٢٣٤ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص١٩٩ و ٢٠٠ وتفسير القمي ج١ ص٢٨٧ و ٢٨٨ وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص١٠٤ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١١١.

يبق معه إلا المائة الصابرة[1].

ورووا عن أنس أيضاً: انه «صلى الله عليه وآله» قال: «اللهم إنك إن تشأ لا تعبد بعد اليوم»[2].

روى ابن إسحاق، وأحمد، عن جابر بن عبد الله، وابن إسحاق، وعبد الرزاق، ومسلم عن العباس، عم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، قال العباس: شهدت مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يوم حنين، فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلم نفارقه، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» على بغلة له شهباء.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٧ عن الواقدي، وفي هامشه عن: المعجم الصغير ج١ ص١٢٢ ومجمع الزوائد ج١٠ ص١٨٣ والترغيب والترهيب ج٢ ص٦١٨ تاريخ الخميس ج٢ ص١٠٤ وراجع: تفسير النسفي ج٢ ص٨٤ البحار ج٢١ ص١٥٠ وتفسير القمي ج١ ص٢٨٧ والتفسير الصافي ج٢ ص٣٣١ و ٣٣٢ والتفسير الأصفى ج١ ص٤٥٩ و ٤٦٠ وتفسير الميزان ج٩ ص٢٣٤ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص٢٠٠ وتفسير القمي ج١ ص٢٨٧ و ٢٨٨.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٦ و ٣٢٧ عن ابن أبي شيبة، وأحمد برجال الصحيح، وقال في هامشه: عن أحمد ج٥ ص١٥٢ وعن ابن أبي شيبة ج١٠ ص٣٥١ وج١٤ ص٥٢٢ وعن مسلم ج٣ ص١٣٦٣ (١٧٤٣/٢٣) وابن سعد ج٢ ق١ ص٥٢ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١١١ وراجع: المصنف لابن أبي شيبة ج٦ ص٧٥ و (ط دار الفكر) ج٧ ص٩٥ وج٨ ص٥٥٠ وكنز العمال ج١٠ ص٥٤٨ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٧٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٢١ وميزان الحكمة ج٣ ص٢٢٥١ عن البحار ج٢١ ص١٨٠ ح١٦.

قال: فلما التقى المسلمون والكفار ولَّى المسلمون مدبرين.

فطفق رسول الله «صلى الله عليه وآله» يركض بغلته قِبَل الكفار، وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وفي رواية: أكفها أن لا تسرع، وهو لا يألو ما أسرع نحو المشركين [1].

(وهو يقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب).

وأبو سفيان بن الحارث آخذ بركاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»[2].

وفي رواية: بغرزه (بغرز (النبي) رسول الله «صلى الله عليه وآله»)[3].

---

(١) راجع: تاريخ الخميس ج٢ ص١٠٣ ومسند أحمد ج١ ص٢٠٧ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٣٧٩ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١٩٤ وكنز العمال ج١٠ ص٥٤٦ وتفسير القرآن للصنعاني ج٢ ص٢٦٩ وجامع البيان ج١٠ ص١٣١ والدر المنثور ج٣ ص٢٢٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٥٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٤ ص١٨ وتهذيب الكمال ج٢٤ ص١٣٤ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٢.

(٢) راجع: صحيح مسلم ج٥ ص١٦٧ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٣٢٨ وفتح الباري ج٦ ص٩٣ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١٩٧ ورياض الصالحين للنووي ص٧١٥ والجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٩٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٤ ص١٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٤ ص١٧ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٧٨ وإمتاع الأسماع ج٥ ص٦٧ وج٧ ص٢١٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٢٧ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٢ وج١١ ص١٠٢.

(٣) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٢ وج٧ ص٤٧ وذخائر العقبى ص١٩٨ ومسند أحمد ج١ ص٢٠٧ ومسند أبي يعلى ج١٢ ص٦٧ وصحيح ابن حبان =

وفي رواية: بثفره (بثفر بغلته)[1].

فالتفت رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى أبي سفيان بن الحارث، وهو مقنَّع في الحديد، فقال: «من هذا»؟

فقال: ابن عمك يا رسول الله[2].

وفي حديث البراء: وأبو سفيان ابن عمه يقود به[3].

قال ابن عقبة: وقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الركابين، وهو على البغلة، فرفع يديه إلى الله يدعو، يقول: «اللهم إني أنشدك ما وعدتني..

= ج١٥ ص٥٢٤ وتفسير القرآن للصنعاني ج٢ ص٢٦٩ والدر المنثور ج٣ ص٢٢٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٤ ص١٩ وتهذيب الكمال للمزي ج٢٤ ص١٣٤ والدر المنثور ج٤ ص١٦٠ وجامع البيان ج١٠ ص١٣١ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١٢٤ و ١٩٤ ومسند أبي يعلى ج١٢ ص٦٧ ومشاهير علماء الأمصار لابن حبان ص٤٤ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٥٥ ومسند أبي عوانة ج٤ ص٢٧٧ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٣٨٠ وفضائل الصحابة ج٢ ص٩٢٧ وطبقات الشافعية الكبرى ج١ ص٢٥٩.

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٢ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٤٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٨٩٦ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٧٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦١٩.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٢ وكتاب التوابين لابن قدامة ص١١٦.

(٣) راجع: السنن الكبرى ج٥ ص١٨٨ وج٦ ص١٥٥ وكنز العمال ج١٠ ص٥٤٠ وجامع البيان ج١٠ ص١٣٢ وتفسير البحر المحيط ج٥ ص٢٦ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٤٨ وإمتاع الأسماع ج٧ ص٢١٨ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٢ و ٣٤٩.

اللهم لا ينبغي لهم أن يظهروا علينا»[١] انتهى.

وفي نص آخر قال العباس: فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «يا عباس!! نادِ يا معشر الأنصار، يا أصحاب السمرة، يا أصحاب سورة البقرة».

قال العباس: وكنت رجلاً صيتاً، فقلت بأعلى صوتي: أين الأنصار؟ أين أصحاب السمرة؟ أين أصحاب سورة البقرة؟

قال: والله لكأنما عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها[٢].

عطفة الأنصار:

وقالوا أيضاً: فلما سمعت الأنصار نداء العباس عطفوا، وكسروا جفون

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٢ وقال في هامشه: أخرجه الطبراني في الكبير ج١٠ ص١٨٨ وانظر المجمع ج٦ ص٨٢ وج٨ ص٦١٩ والبيهقي في الدلائل ج٥ ص٣١ وعبد الرزاق في المصنف (٩٧٤١) والحميدي (٤٥٩) وابن سعد ج٢ ق١ ص١١٢ وأحمد ج١ ص٢٠٧ وراجع: إعلام الورى ص١٢٢ والبحار ج٢١ ص١٦٧ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠٢ و ١٠٣ وشجرة طوبى ج٢ ص٣١٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٧٨ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٧٨ وإمتاع الأسماع ج٥ ص٦٦ وإعلام الورى ج١ ص٢٣٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٢٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٢ و ٣٢٣ وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص١٠٣ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٨٠ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٧٨ ودلائل النبوة للبيهقي ج٥ ص١٣٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٢٧ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٦٢ و ٦٣ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١١٠ و ١١١.

سيوفهم، وهم يقولون: لبيك، ومروا برسول الله «صلى الله عليه وآله»، واستحيوا أن يرجعوا إليه، ولحقوا بالراية، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»، للعباس: من هؤلاء يا أبا الفضل؟

فقال: يا رسول الله، هؤلاء الأنصار.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: الآن حمي الوطيس.

ونزل النصر من السماء، وانهزمت هوازن[1].

وعند الطبرسي: «فلما سمع المسلمون صوت العباس، تراجعوا، وقالوا: لبيك، لبيك. وتبادر الأنصار خاصة، وقاتلوا المشركين حتى قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: الآن حمي الوطيس.

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

ونزل النصر من عند الله تعالى، وانهزمت هوازن هزيمة قبيحة، فمروا في كل وجه، ولم يزل المسلمون في آثارهم. ومر مالك بن عوف، فدخل حصن الطائف»[2].

شاهد عيان في حنين:

وفي حديث عثمان بن شيبة: أنه «صلى الله عليه وآله» قال: «يا عباس،

---

(١) تفسير القمي ج١ ص٢٨٧ و ٢٨٨ والبحار ج٢١ ص١٥١ وشجرة طوبى ج٢ ص٣٠٩ والتفسير الأصفى ج١ ص٤٦٠ والتفسير الصافي ج٢ ص٣٣٢ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص٢٠٠ وتفسير الميزان ج٩ ص٢٣٤.

(٢) مجمع البيان ج٥ ص١٧ و ١٨ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص٣٥ والبحار ج٢١ ص١٤٧ و ١٨١ وتفسير الميزان ج٩ ص٢٣١.

إصرخ بالمهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة، وبالأنصار الذين آووا ونصروا».

قال: فما شبهت عطفة الأنصار على رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلا عطفة الإبل على أولادها (أو عطفة البقر على أولادها، أو عطفة النحل على يعسوبها) حتى ترك رسول الله «صلى الله عليه وآله» كأنه في حرجة، فلرماح الأنصار كانت أخوف عندي على رسول الله «صلى الله عليه وآله» من رماح الكفار[1]. انتهى.

فقالوا: يا لبيك، يا لبيك، يا لبيك.

قال: فيذهب الرجل يثني بعيره، ولا يقدر على ذلك، أي لكثرة الأعراب المنهزمين ـ كما ذكره أبو عمر بن عبد البر ـ فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه، ويأخذ سيفه وترسه، ويقتحم عن بعيره، فيخلي سبيله، فيؤم الصوت، حتى ينتهي إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

حتى إذا اجتمع منهم مائة، استقبلوا الناس، فاقتتلوا هم والكفار. والدعوة في الأنصار: يا معشر الأنصار، ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج، وكانوا صُبَّراً عند الحرب.

وأشرف رسول الله «صلى الله عليه وآله» في ركابيه، فنظر إلى مجتلدهم، وهم يجتلدون، وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «هذا حين حمي الوطيس» أو (الآن حمي الوطيس).

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٣ والمعجم الكبير للطبراني ج٧ ص٢٩٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٣ ص٢٥٧ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٦٦ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٨٤.

ثم أخذ رسول الله «صلى الله عليه وآله» حصيات فرمى بهن وجوه الكفار، ثم قال: «انهزموا، ورب محمد».

فذهبت أنظر، فإذا القتال على هيئته فيما أرى، فوالله، ما هو إلا أن رماهم بحصياته، فما زلت أرى حدَّهم كليلاً، وأمرهم مدبراً، فوالله ما رجع الناس (أو فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم، حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله «صلى الله عليه وآله») إلا وهم أسارى عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» مكتفون، قتل الله تعالى منهم من قتل، وانهزم منهم من انهزم، وأفاء الله تعالى على رسوله أموالهم، ونساءهم، وأبناءهم[1].

حديث ابن مسعود:

وروي برجال ثقات، عن ابن مسعود قال: كنت مع رسول الله «صلى

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٣ عن أبي القاسم البغوي، والبيهقي، وفي هامشه عن: الطبراني في الكبير ج٧ ص٣٥٨ وابن عساكر كما في التهذيب ٦ ص٣٥١ وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص١٠٣ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١١٠ و ١١١ والسيرة الحلبية ج٣ ص١١١ وراجع ص١٠٨ و ١٠٩ وراجع: مسند أحمد ج١ ص٢٠٧ وصحيح مسلم ج٥ ص١٦٧ وشرح مسلم للنووي ج١٢ ص١١٥ وفتح الباري ج٨ ص٢٥ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١٩٧ ومسند أبي يعلى ج١٢ ص٦٧ وتفسير البغوي ج٢ ص٢٧٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٤ ص١٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٤ ص١٩ والجمع بين الصحيحين لمحمد بن فتوح الحميدي ج٣ ص٣٢٧ ومشكاة المصابيح للخطيب التبريزي ج٨ ص١٦٤٩ وتهذيب الكمال ج٢٤ ص١٣٤ وسيرة النبي المختار ج١ ص٣٥٥ والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم ج٣ ص٣٣٤.

الله عليه وآله» يوم حنين، فولى الناس عنه، وبقيت معه في ثمانين رجلاً من المهاجرين والأنصار، فقمنا على أقدامنا ولم نولهم الدبر، وهم الذين أنزل الله تعالى عليهم السكينة، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» على بغلته لم يمض قدماً، فحادت به بغلته، فمال عن السرج، فقلت له: ارتفع رفعك الله.

فقال: «ناولني كفاً من تراب»، فناولته، فضرب وجوههم، فامتلأت أعينهم تراباً، ثم قال: «أين المهاجرون والأنصار»؟

قلت: هم أولاء.

قال: «اهتف بهم». فهتفت بهم، فجاؤوا وسيوفهم بأيمانهم كأنها الشهب، وولى المشركون أدبارهم[1].

حديث أنس:

وعن أنس قال: جاءت هوازن يوم حنين بالنساء، والصبيان، والإبل، والغنم، فجعلوهم صفوفاً، ليكثروا على رسول الله «صلى الله عليه وآله»،

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٥ عن أحمد، والطبراني، والحاكم، وأبي نعيم، والبيهقي، وقال في هامشه: أخرجه أحمد ج١ ص٤٥٣ والطبراني في الكبير ج١٠ ص٢٠٩ وانظر المجمع ج٦ ص٨٤ و ١٨٣ والحاكم ج٢ ص١١٧ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠٤ عن أحمد، والحاكم، والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١١٠ و ١١١ وراجع: مسند أحمد ج١ ص٤٥٤ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٨٠ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٥٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٣ ص٧٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٨٢ وإمتاع الأسماع ج٥ ص٧٠ ومسند البزار ج٥ ص٣٦٨. وراجع: والسيرة الحلبية ج٣ ص١١٠.

فالتقى المسلمون والمشركون، فولى المسلمون مدبرين، كما قال الله تعالى، وبقي رسول الله «صلى الله عليه وآله» وحده، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «يا عباد الله، أنا عبد الله ورسوله».

ونادى رسول الله «صلى الله عليه وآله» نداءين لم يخلط بينهما كلاماً، فالتفت عن يمينه، فقال: «يا معشر الأنصار، أنا عبد الله ورسوله».

فقالوا: «لبيك يا رسول الله، نحن معك».

ثم التفت عن يساره، فقال: يا معشر الأنصار، أنا عبد الله ورسوله.

فقالوا: لبيك يا رسول الله، نحن معك.

فهزم الله تعالى المشركين، ولم يضرب بسيف، ولم يطعن برمح[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٥ عن ابن أبي شيبة، وأحمد، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي، وقال في هامشه: أخرجه أحمد ج٣ ص١٩٠ و ٢٧٩ و ج٥ ص٢٨٦ وابن سعد ج٢ ق١ ص١١٣ وابن أبي شيبة ج١٤ ص٥٣٠ و ٥٣١ والبيهقي في الدلائل ج٥ ص١٤١ وفي السنن ج٦ ص٣٠٦ والدولابي في الكنز ج١ ص٤٢ وانظر الدر المنثور ج٣ ص٢٢٤ وراجع: السيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١١١ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٠٨ و ١٠٩ والمصنف ج٨ ص٥٥١ وكنز العمال ج١٠ ص٥٥٠ وصحيح البخاري ج٤ ص١٥٦٧ و (ط دار الفكر) ج٥ ص١٠٦ وصحيح مسلم ج٢ ص٧٣٥ و (ط دار الفكر) ج٣ ص١٠٦ والمسند المستخرج على صحيح مسلم ج٣ ص١٢٣ وصحيح ابن حبان ج١١ ص٨٨ والجمع بين الصحيحين ج٢ ص٤٩٤ والمصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٤١٦ ومسند أحمد ج٣ ص٢٨٠ وعمدة القاري ج١٧ ص٣١١ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٥٧ و (ط دار إحياء التراث العربي) ص٤٠٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٧٥.

تراجع الأنصار، لسماع صوت النبي ' :

ويقول أبو بشير المازني: إنه حين رأى المقدمة قد انهزمت، وصار الناس ينهزمون معها: «وأكرّ في وجوه المنهزمين، ليس لي همة إلا النظر إلى سلامة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حتى صرت إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو يصيح: «يا للأنصار».

فدنوت من دابته، والتفت من ورائها، وإذا الأنصار قد كروا كرة رجل واحد، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» واقف على دابته في وجوه العدو.

ومضت الأنصار أمام رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقاتلون، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» سائر معهم يفرجون العدو عنه، حتى طردناهم فرسخاً، وتفرقوا في الشعاب، حتى فلوا من بين أيدينا.

فرجع رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى منزله وقبته، وقد ضربت له، والأسرى مكتفون حوله، وإذا نفر حول قبته. وفي قبته زوجاته: أم سلمة وميمونة، حولها النفر الذين يحرسون رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهم: عباد بن بشر، وأبو نائلة، ومحمد بن مسلمة[1].

وفي نص آخر: أنه «صلى الله عليه وآله» نادى أصحابه، وذمرهم: «يا أصحاب البيعة يوم الحديبية، الله، الله الكرة على نبيكم».

وقيل: إنه قال: «يا أنصار الله وأنصار رسوله، يا بني الخزرج»، وأمر العباس بن عبد المطلب فنادى في القوم بذلك، فأقبل إليه أصحابه سراعاً

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٩ و ٣٢٠ عن الواقدي.

يبتدرون[١].

ونقول:

قد تضمنت النصوص المتقدمة أموراً نشير إلى طائفة منها، كما يلي:

المشركون خرجوا على رسول الله ' :

ويذكرون في تبرير هزيمتهم: أن المشركين اختبأوا في مضايق الوادي، وشعابه، وأجنابه، وتهيأوا، قالوا: «فما راعنا إلا كتائب الرجال بأيديها السيوف، والعمد، والقنا، فشدوا علينا شدة رجل واحد، فانهزم الناس راجعين..»[٢].

ولكن الشيخ المفيد يقول: إنه بعد أن فرَّ المسلمون، وبعد نداء العباس: «وكانت ليلة ظلماء، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» في الوادي، والمشركون قد خرجوا عليه من شعاب الوادي، وجنباته، ومضايقه، مصلتين سيوفهم، وعمدهم وقسيهم»[٣].

---

(١) الإرشاد ج١ ص١٤٢ والبحار ج٢١ ص١٦٧ وراجع ص١٥٦ و ١٥٧ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٧٨ وإعلام الورى ج١ ص٢٣٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٢٦ وراجع: دلائل النبوة للبيهقي ج٥ ص١٣١ والإكتفاء ج٢ ص٢٤٤ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٦٦ وتاريخ الإسلام ج٢ ص٥٧٨.

(٢) إعلام الورى ص١٢١ و (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص٢٣٠ والبحار ج٢١ ص١٦٦ وقصص الأنبياء للراوندي ص٣٤٧ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج١ ص١٨١ وشجرة طوبى ج٢ ص٣٠٩ والدر النظيم لابن حاتم العاملي ص١٨٢.

(٣) الإرشاد ج١ ص١٤٢ والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص٨٤ والبحار ج٢١ ص١٥٦ و ١٥٧ وشجرة طوبى ج٢ ص٣٠٨ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٧٩.

ولعل شدة المشركين على المسلمين شدة رجل واحد، قد أرعبت المسلمين، فهربوا، ثم خرج باقي المشركين على النبي «صلى الله عليه وآله» من المضائق والشعاب، بأيديهم العمد، والسيوف، والقسي.

أنا ابن العواتك:

عن سيابة بن عاصم السلمي: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال يوم حنين: «أنا ابن العواتك»[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج١ ص٣٢٣ وج٥ ص٣٣٦ عن الطبراني، وفي هامشه عن: الطبراني في الكبير ج٧ ص٢٠١، وانظر مجمع الزوائد ج٨ ص٢١٩ والبيهقي في الدلائل ج٥ ص١٣٥ وسعيد بن منصور (٢٨٤٠ و ٢٨٤١) وابن عساكر كما في التهذيب ج١ ص٢٨٩ وراجع: عمدة القاري ج١٤ ص٢٨٧ والمعجم الكبير (ط دار إحياء التراث) ج٧ ص١٦٩والإستيعاب (ط دار الجيل) ج٢ ص٦٩١ شرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص٢٦٧ عن الواقدي، وكنز العمال ج١١ ص٤٤٣ وج١٢ ص٤٣٨ وطبقات خليفة بن خياط ص١٠١ والجرح والتعديل ج٤ ص٣٢١ والثقات ج١ ص٢٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٣ ص١٠٧ و ١١٠ وأسد الغابة ج٢ ص٣٨٢ وج٤ ص١٨٤ وتذكرة الحفاظ ج٣ ص١٠٦٧ والإصابة ج٣ ص١٩٤ وج٥ ص٣٠٤ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٢٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٨٠ والوافي بالوفيات للصفدي ج١٦ ص٣٦ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٧٥ و ٣٧٦ وإمتاع الأسماع ج١ ص١٦٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٢٢ و ٦٢٣ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج١ ص٦٧ وج٢ ص٥٠٥ وتاج العروس ج٢ ص٩١ والتاج والإكليل ج٣ ص٣٩٢ والمراسيل لابن أبي حاتم ج١ ص٦٩ ومعجم الصحابة ج١ ص٣٠٢.

أو: «أنا ابن العواتك من قريش»(١).

أو: «أنا ابن العواتك من سليم»(٢).

ونقول:

العواتك من سليم ثلاث نساء من جدات رسول الله «صلى الله عليه

---

(١) الكافي ج٥ ص٥١ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٩ ص٢٥٠ و (ط دار الإسلامية) ج١٣ ص٣٤٦ والبحار ج١٩ ص١٧١ والحدائق الناضرة ج٢٢ ص٣٥٧ وجواهر الكلام ج٢٨ ص٢٢٢ وجامع أحاديث الشيعة ج١٩ ص١٥٧ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٨١ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج٥ ص٣٣ ومستدركات علم رجال الحديث ج٨ ص٥٨٥ ومجمع البحرين ج٣ ص١١٨.

(٢) البحار ج١٩ ص١٧١ و ١٧٢ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج٢ ص٦٩١ والفايق في غريب الحديث ج٢ ص٣٣٠ والجامع الصغير ج١ ص٤١١ وكنز العمال ج١١ ص٤٠٢ و ٤٤٣ وج١٢ ص٤٣٤ وغوامض الأسماء المبهمة ج٢ ص٧٧٩ والصحاح للجوهري ج٤ ص١٥٩٨ والنهاية في غريب الحديث ج٣ ص١٧٩ وتاريخ واسط ج١ ص٤٣ وغوامض الأسماء المبهمة ج٢ ص٧٨٠ ولسان العرب ج١٠ص ٤٦٤ وفيض القدير ج٣ ص٥٠ وتاج العروس ج١٣ ص٦١٠ وإكمال الكمال لابن ماكولا ج٥ ص١٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٣ ص١٠٧والأعلام للزركلي ج٣ ص٢٤٢ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٢٠ والفردوس بمأثور الخطاب ج١ ص٤٦ والفائق ج٢ ص٣٩٠ والروض الأنف ج١ ص٢٠٧ ومنح الجليل ص٣ ص٢٤٠ والوافي بالوفيات للصفدي ج١٦ ص٣٦ والدر النظيم ص٣٤ وسبل الهدى والرشاد ج١ ص٣٢٣ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج١ ص٦٧ و ١٤٤ وتهذيب اللغة ج١ ص١٩٧ .

وآله»، وهن:

١ ـ عاتكة بنت هلال بن فالج بن ذكوان. أم عبد مناف بن قصي.

٢ ـ عاتكة بنت مرة بن هلال، بن فالج بن ذكوان. أم هاشم بن عبد مناف.

٣ ـ عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان. أم وهب بن عبد مناف بن زهرة، جد النبي «صلى الله عليه وآله»..

فالأولى عمة الثانية، والثانية عمة الثالثة، وبنو سليم تفخر بهذه الولادة(١).

والعواتك من جداته «صلى الله عليه وآله» اثنتا عشرة: ثلاث منهن من بني سليم، واثنتان من قريش، وكنانية، وأسدية، وهذلية، وقضاعية، وأزدية(٢).

وقال اليعقوبي: «واللاتي ولدنه من العواتك اثنتا عشرة عاتكة: عشر منهن مضريات، وقحطانية، وقضاعية. والمضريات: ثلاث من قريش، وثلاث من سليم، وعدوانيتان، وهذلية، وأسدية..»(٣).

---

(١) راجع: لسان العرب ج١٠ص ٤٦٤ والأعلام للزركلي ج٣ ص٢٤٢ والبحار ج١٩ ص١٧٢ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٨١ وفيض القدير ج٣ ص٥٠ والنهاية في غريب الحديث ج٣ ص١٨٠ وغوامض الأسماء المبهمة ج٢ ص٧٨٠ والحدائق الناضرة ج٢٢ ص٣٥٧ ومستدركات علم الرجال ج٨ ص٥٨٥ وسبل الهدى والرشاد ج١ ص٣٢٣ وراجع: الروض الأنف ج١ ص٢٠٦.

(٢) لسان العرب ج١٠ص ٤٦٤ وراجع: كتاب المحبر للبغدادي ص٤٧ والكامل في التاريخ ج١ ص٥٥٦ و (ط دار صادر) ج٢ ص٣٤ وراجع: تاج العروس ج٢٦ ص٢٦٦.

(٣) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٢٠.

وذكر ابن عساكر في تاريخه عن أبي عبد الله العدوي: أن العواتك أربع عشرة وأن السلميات أربع(١) ومن أراد التوسع في البحث فليراجع.

غير أننا نقول:

لعل كلمة «من سليم» أو «من قريش» قد أضيفت إلى كلمة رسول الله «صلى الله عليه وآله».. حيث إن المناسب هو: أن يكون مقصوده «صلى الله عليه وآله» جميع العواتك الاثني عشر.

إذ قد تقدم: أن الهزيمة التي جرت على المسلمين كان سببها قبيلة سليم، ومن معها من أهل مكة في مقدمة الجيش.

بل صرحت بعض الروايات: بأن المسؤول عن ذلك هو خصوص سليم دون سواها..

فهل يريد «صلى الله عليه وآله»: أن يكافئ سليماً على فعلتها الشنعاء تلك؟!..

من أجل ذلك نقول:

لعله «صلى الله عليه وآله» كان يقصد بكلمته هذه: أن يقول للناس:

أولاً: إن خطأ من حضر من سليم في هذه الحرب، لا يعني أن يلحق العار بالأبرياء من هذه القبيلة أيضاً.

ثانياً: إن هذا الخطأ يجب أن لا يكون سبباً في استمرار سير هذه القبيلة باتجاه واحد، هو سبيل الإنحراف والغي، فالذي يخطئ وينحرف يمكنه أن يرجع عن سبيل الغي إلى سبيل الخير والصلاح ولو بعد حين..

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ج٣ ص١١٠ وكنز العمال ج١٢ ص٤٣٥.

وقد كان في بني سليم أناس صالحون في السابق، إلى حد أن ثلاث جدات لرسول الله «صلى الله عليه وآله» كنّ منها، وقد نشأن في بيوت عز وخير.. فما المانع من أن تعود سليم إلى انتهاج طريق الهدى، والفلاح والنجاح؟!..

ثالثاً: إنه لا بد لرسول الله «صلى الله عليه وآله» من العمل على ترميم سمعة القبائل التي تبتلى بخطأ بعينه، حتى لا تسقط في مهاوي الخزي والعار، فإن ذلك من شأنه أن يحدث خللاً في البنية الإجتماعية، وأن تنشأ عنه تداعيات كبيرة وخطيرة..

لذلك نلاحظ: أنه ينسب نفسه إلى العواتك، ويقول للناس: إن عليهم أن لا يتمادوا في الطعن في هذه القبيلة أو تلك، ما دام أن له «صلى الله عليه وآله» رحماً فيها، وفي كثير من تلك القبائل، مثل: سليم، وكنانة، وأسد، وهذيل، وقضاعة، والأزد.

ونضيف نحن هنا أمراً رابعاً: وهو أن راوي هذه الرواية وهو سيابة بن عاصم. كان من بني سليم، فقد يكون ذلك من أسباب الشبهة في صحة هذه الإضافة، وهي كلمة «من بني سليم»، من حيث إن من الممكن أن يكون قد أراد بروايته هذه جرّ النار إلى قرصه، ودفع العار عن بني جنسه.. فلا بأس بالبحث عن طريق آخر لهذه الرواية لا يكون فيه تهمة من هذا القبيل.

يا أصحاب سورة البقرة:

وعن المراد بقوله «صلى الله عليه وآله»: يا أصحاب سورة البقرة، نقول:

إن هذه السورة هي أول سورة نزلت في المدينة، فلعل هذا النداء يرمي إلى تذكيرهم ببعض آياتها التي تقول: {وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ} (١)، وتقول: {كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ الله} (٢).

وتقول: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ الله وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ} (٣).

كما أن هذه السورة تضمنت أيضاً: حديثاً عن المؤمنين الذين يؤمنون بالغيب، ويوقنون بالآخرة، وسائر العقائد، وحديث المنافقين، وعن مختلف قضايا التشريع، وحقائق الدين.

غير أننا نقول:

لعل القول بأن المراد التذكير بقوله تعالى: {وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ} هو الأنسب بقوله: يا أهل بيعة الشجرة، و يا أصحاب السمرة.

وبقوله: ذكّرهم بالعهد.

وقوله: إلى أين تفرون؟ أذكروا العهد الذي عاهدتم.

وقوله: يا أصحاب البيعة يوم الحديبية.. ونحو ذلك..

فإن مثل هذا كله يدل على: أن المقصود هو: إلزامهم بعهدهم، ليكون ذلك حافزاً لهم على العودة إلى ساحات الجهاد.

كما أنه يتضمن قدراً من التهديد بأن الله تعالى سوف يعاملهم بالمثل،

---

(١) الآية ٤٠ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٢٤٩ من سورة البقرة.

(٣) الآية ٢٠٨ من سورة البقرة.

وهذا ما لا يمكنهم تحمله والرضا به لأنفسهم.

فأسمع أولهم وآخرهم:

وحين نادى النبي «صلى الله عليه وآله» الفارين: أين ما عاهدتم الله عليه؟! أسمع أولهم وآخرهم، ليقيم الله عليهم الحجة بذلك. لأنها معجزة تثبت صدق هذا النبيّ العظيم «صلى الله عليه وآله» من جهة. وتذكرهم بها يحفزهم للثبات والتصدي من جهة أخرى، فلم يعد يمكن لأي منهم أن يقول: إن الخوف أنساني كل شيء، ولو أنني التفت لهذه الأمور في تلك اللحظات لكان لي موقف آخر.

عاهدوا الله ورسوله:

والذي يراجع النص الذي أورده الشيخ المفيد «رحمه الله»، يلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يقل: اذكروا العهد الذي عاهدتموني عليه، بل قال: اذكروا العهد الذي عاهدتم عليه رسول الله.. فيكون بذلك قد تجنب الإيحاء بأن الأمر يرتبط به كشخص، وأثار في الأذهان صورة عن ارتباط الموضوع بالله تعالى، حين ذكروا: أن العهد كان معه بما أنه رسول الله، لا بما له من صفة شخصية.

ولكنه حين ظهرت معجزته لهم، ورأوا شاهد نبوته عياناً، حيث رأوا وجهه في الظلمات، فأضاء كأنه القمر ليلة البدر، عاد فذكَّرهم بالعهد، ولكنه ربطه بالله مباشرة، ولم يعد ثمة من حاجة إلى تحديد دوره في هذا الأمر. فإن المعجزة قد حددت ذلك، وعرفتهم برسوليته «صلى الله عليه وآله»، ولابد أن ينتهي كل شيء إليه تبارك وتعالى..

دعاء النبي ’ بعد فرار أصحابه:

وعن دعاء النبي «صلى الله عليه وآله» بعد فرار أصحابه عنه نقول:

إنه «صلى الله عليه وآله» ذكر فقرات ثلاثاً، هي:

١ ـ اللهم لك الحمد.

٢ ـ وإليك المشتكى.

٣ ـ وأنت المستعان.

وفي سياق بيان ذلك نقول:

ألف: إنه «صلى الله عليه وآله» يريد أن يعرِّف كل أحد انه حتى حين يفر عنه جميع من معه، ويبقى وحده في مواجهة عشرات الألوف من أعدائه، الساعين إلى سفك دمه، فإن ذلك لا ينقص من نعم الله عليه، بل ذلك يؤكد أن لا أحد يستحق الحمد سواه تبارك وتعالى؛ لأنه وحده المنعم المتفضل..

بل إن فرارهم عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا بد أن يفهم على أنه بمثابة التفريط بنعمة الله تعالى عليهم، لا أنه إضرار برسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو إنقاص من النعم الواصلة إليه، ولذلك قال «صلى الله عليه وآله»: اللهم لك الحمد.

ب: وإذا فرط هؤلاء الناس بنعم الله، وتخلوا عن واجبهم الإلهي، واستحقوا الإبعاد عن ساحة رحمته، ولطفه جل وعلا.

وإذا كان الله تعالى ـ وحده ـ هو المنعم الواهب، والمتفضل.. فإن أحداً لا يستطيع أن ينفعهم بشيء. ولا أن يصلح ما أفسدوه، ويبني ما هدموه إلا هو تبارك وتعالى..

وهذا يعني: أن الشكوى لغير الله لا تثمر شيئاً، بل هي ليست بشكوى، لأن غير الله لا يستطيع أن يدفع، ولا أن يمنع.. والإنسان العاقل لا يعبث ولا يلعب. بل إن الشكوى لغير الله ـ والحالة هذه ـ تمثل نكراناً لفضله تبارك وتعالى، وهذه خطيئة لا يمكن أن تصدر من المعصوم. ولذلك قال «صلى الله عليه وآله»: وإليك المشتكى.

ج: وإذا كان الله تعالى وحده هو القادر، والقاهر، والحكيم، والعليم، والرؤوف الرحيم، والمعطي والمانع. وإذا كانت المخلوقات كلها تستمد منه، وتفتقر إليه. فلا معنى للإستعانة بسواه. لأن ذلك من السفه الذي لا يصدر عن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أيضاً. ولذلك قال «صلى الله عليه وآله»: وأنت المستعان.

د: وإذا كانت هذه هي العقيدة الراسخة بالله تبارك وتعالى، وهي خلاصة نظرة الإنسان إلى الكون وما فيه، وإلى الحياة بكل مظاهرها..

وإذا تمحض في الإخلاص والصدق في هذا الدعاء المرتكز إلى ذلك الإيمان الراسخ، فسوف يتحقق بعمق وصدق مفهوم قوله تعالى: **{ادْعُونِي}**. ويكون لا بد من الإستجابة لمن يدعوه تعالى ولا يدعو غيره.. ويرجوه ولا يرجو غيره..

ولابد بعد هذا أن ننتظر تحقق المعجزات، وقد تحققت في حنين فعلاً، كما تحققت لموسى «عليه السلام» من قبل، وشاهد تحقق المعجزات في حنين: أن الله تعالى قد هزم عشرات الألوف بسيف علي «عليه السلام» وحده. بعد أن أمد الله رسوله «صلى الله عليه وآله» والمؤمنين بجنود لم يروها، تماماً كما حصل في حرب بدر العظمى..

إن تهلك هذه العصابة لا تعبد:

وكما جرى في حرب بدر جرى في حرب حنين، فقد قال «صلى الله عليه وآله» في كلتا الواقعتين: اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد، وإن شئت أن لا تعبد، لا تعبد.

ونقول:

أولاً: لا شك في أن المقصود بـ «هذه العصابة» هو عصابة أهل الإيمان، الذين يدافعون عن دينهم وعن نبيهم، وعلي «عليه السلام» أولهم، وعلى رأسهم..

وأما شمولها للذين ولوا الأدبار، ولم يفوا بعهدهم، بما فيهم المشركون. وقد صرحوا: بأنهم ثمانون رجلاً، بما فيهم المنافقون وما أكثرهم. يضم إليهم أصحاب المطامع والأهواء.. نعم.. أما شمول هؤلاء فذلك غير ظاهر.. فإن الإسلام إنما كان يقوم على النبي «صلى الله عليه وآله» وعلي «عليه السلام»، فإن هلكا فلا إسلام بعد ذلك، ولا عبادة لله تعالى.

وأما المنهزمون، فإن فرارهم الذي هو بمثابة هلاك وبوار دورهم، وانعدام تأثيرهم ـ فلم يمنع من استمرار عبادة الله تبارك وتعالى.

ثانياً: إنه «صلى الله عليه وآله» قد علق استمرار عبادة الله تعالى على مشيئة الله تبارك وتعالى.

ومن الواضح: أن وجوب شكر المنعم، وعبادة الله، والطاعة له حكم عقلي، لا مجال للتخلف عنه. وهذا معناه: أن المقصود بكلامه هذا «صلى الله عليه وآله»، ليس هو إسقاط هذا الوجوب، بل المراد: أن تزول عبادة الله تعالى بزوال المؤمنين، وهلاكهم.

هزيمة الأعراب أم هزيمة قريش والقادة؟!:

وتحاول بعض النصوص: أن تلطف العبارات، وتخفف من حدة قبح الهزيمة، بطريقة ذكية، حين تنسب الهزيمة إلى الأعراب، لكي يفهم الناس أن قريشاً، وأهل مكة، والمهاجرين لم يكونوا مع المنهزمين.. وإن كان معهم منهم أحد، فإنما هم أفراد قليلون، جرفهم السيل البشري للأعراب ربما من غير اختيار منهم.

وهذا ولا شك خيانة للحق والحقيقة، لما يستبطنه من تزوير وتضليل، ولا نريد أن نقول أكثر من ذلك.

هل كانت الهزيمة ليلاً؟!:

تقدم: أن المسلمين انهزموا عن النبي «صلى الله عليه وآله» في ليلة ظلماء، وأن وجهه «صلى الله عليه وآله» أضاء للناس كالقمر ليلة البدر.

ولكن قد يقال: إن ذلك مما يصعب القبول به، إذا أخذنا بالرواية التي تقول: فلما تراءت الفئتان حمل المشركون على المسلمين حملة رجل واحد، فانهزموا.. لأن ترائي الفئتين يكون في النهار عادة..

ويمكن أن يجاب عن ذلك: بأن المقصود بترائي الفئتين: هو مواجهة كل منهما للأخرى، ولو بوصول طلائع الفريقين إلى موقع ترى فيه طرفاً من الفريق الآخر. وهذا يحصل ليلاً كما يحصل نهاراً.

وليس المقصود: الرؤية المباشرة نهاراً..

ويؤيد ما نقول: قولهم أيضاً في نصوص أخرى سبقت: إنه «صلى الله عليه وآله» صار يسأل عن أبي سفيان بن الحارث، وسأل أيضاً عن الأنصار

الذين حضروا بعد الهزيمة إلى ساحة القتال.. إذ لعله «صلى الله عليه وآله» احتاج إلى السؤال عنهم بسبب حيلولة الظلام بينه وبينهم، فلا يراهم..

ويمكن الرد على ذلك: بأنه ربما يكون قد سأل عنهم لأنه يريد تعريف الناس بهم، والجهر باسمهم، وبيان حالهم.. حتى وإن كان قد عرفهم بالرؤية المباشرة، أو بالعلم الخاص، الذي اختصه الله تعالى به.

نداء النبي ' أم نداء العباس؟!:

قد ظهر من سياق رواية المفيد: أن الناس لم يصغوا إلى نداء العباس، بل مروا على وجوههم في هزيمتهم.

فلما ناداهم النبي «صلى الله عليه وآله»: «أين ما عاهدتم الله عليه»؟ لم يسمعها رجل إلا رمى بنفسه إلى الأرض، فانحدروا إلى حيث كانوا من الوادي، حتى لحقوا بالعدو، فقاتلوه[1].

فلا يصح قولهم ـ حسبما تقدم وما سيأتي ـ: إن عودة الأنصار كانت لسماعهم نداء العباس[2].

---

(١) البحار ج٢١ ص١٦٧ وراجع ص١٥٦ و ١٥٧ والإرشاد ج١ ص١٤٢ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٧٩ وكشف الغمة ج١ ص٢٢٢ وكشف اليقين ص١٤٤

(٢) راجع على سبيل المثال: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٣ ومجمع البيان ج٥ ص١٧ و ١٨ والمعجم الكبير للطبراني ج٧ ص٢٩٩ والثقات ج٢ ص٦٩ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٤٨ وعيون الأثر ج٢ ص٢١٨ وزاد المعاد ج٣ ص٤٧١ والإكتفاء ج٢ ص٢٤٣ والدرر لابن عبد البر ص٢٢٦ والسيرة النبوية لابن هشام (ط دار الجيل) ج٥ ص١١٣ وكتاب التوابين لابن قدامة ج١ =

غير أن لنا تحفظاً على قوله «لحقوا بالعدو فقاتلوه» إذ إن الدلائل والشواهد تشير إلى أنهم لم يقاتلوهم، كما سيأتي.

الأنصار.. وخصوصاً الخزرج:

قد صرحت رواية عثمان بن شيبة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» طلب من العباس: أن ينادي المهاجرين والأنصار.

ولكن الغريب في الأمر: أن المهاجرين لم يستجيبوا للنداء أبداً، وإنما استجاب الأنصار فقط، كما ذكرته رواية القمي وغيره(1)، ورواية عثمان بن أبي شيبة نفسها، بل لقد صرحت رواية الطبرسي بالقول: «تبادرت الأنصار خاصة»(2).

ونص آخر يذكر: أنه «صلى الله عليه وآله» طلب منه أن ينادي خصوص الأنصار.

بل لقد ذكرت رواية أبي بشير المازني: أنه «صلى الله عليه وآله» كان يصيح: يا للأنصار، وإذ بهم كروا كرة رجل واحد، ومضت الأنصار أمامه

= ص١١٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٣ ص٢٥٧ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٦٥ و ٦٦ والبحار ج٢١ ص١٤٧ و ١٥١ وتفسير القمي ج١ وغير ذلك كثير جداً.

(١) تفسير القمي ج١ ص٢٨٧ و ٢٨٨ والبحار ج٢١ ص١٥١ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣١ والمغازي للواقدي ج٣ ص٩٠٤ وراجع المصادر في الهامش السابق.

(٢) مجمع البيان ج٥ ص١٧ و ١٨ والبحار ج٢١ ص١٤٧.

«صلى الله عليه وآله» يقاتلون حتى طردوا العدو، فلماذا خص نداءه بالأنصار، ولم يذكر المهاجرين؟

أليس لأنه كان قد يئس من نصرهم؟!

وتقدم عن أنس: أنه لما بقي النبي «صلى الله عليه وآله» وحده، نادى «صلى الله عليه وآله» نداءين لم يخلط بينهما كلاماً، فالتفت عن يمينه، وقال: يا معشر الأنصار، أنا عبد الله ورسوله، فقالوا: لبيك يا رسول الله، نحن معك، فهزم الله تعالى المشركين الخ..

وعن سعيد بن جبير: فيومئذٍ سمى الله تعالى الأنصار مؤمنين، قال: **{ثُمَّ أَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ}**[1]»[2].

بل صرحت رواية عثمان بن شيبة[3]: بأنه لما اجتمع حول النبي «صلى الله عليه وآله» مائة، وكانت الدعوة في الأنصار: يا معشر الأنصار. ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج.

بل روي: أنه «صلى الله عليه وآله» قال: يا أنصار رسول الله**!** يا بني الخزرج**!!**

وذلك يدل على عدم صحة ما ذكرته رواية ابن مسعود، من أنه بعد أن

---

(١) الآية ٢٦ من سورة التوبة.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٧ عن ابن أبي حاتم، وفي هامشه عن الدر المنثور ج٣ ص٢٢٣ وراجع: الدر المنثور ج٤ ص١٦٢ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص٢٢٥ وجمع البيان ج١٠ ص١٠٣ و (ط دار الفكر) ص١٣٣ وتفسير ابن أبي حاتم ج٣ ص٧٥٢ وج٦ ص١٧٧٤ وفتح القدير ج٢ ص٣٤٩ .

(٣) راجع: تاريخ الخميس ج٢ ص١٠٥ .

ضرب وجوه المشركين بكف من تراب، أمره بأن يهتف: يا للمهاجرين والأنصار، فهتف بهم، فجاؤوا وسيوفهم بأيمانهم كأنها الشهب.

فإن الصحيح هو: أن الذين جاؤوا ولبوا النداء هم خصوص الأنصار ولاسيما الخزرج. بل الخزرج منهم فقط.

الحب والحنان في الأنصار:

ويتجلى حب الأنصار لرسول الله «صلى الله عليه وآله» في تعبيرات الروايات، كقول العباس: «والله، لكأنما عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقرة على أولادها»(١).

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٣ و ٣٥٠ وج١١ ص١٠٢ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٣ ص١١١ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٠٩ و (ط دار المعرفة) ص٦٦ وذخائر العقبى ص١٩٨ ومسند أحمد ج١ ص٢٠٧ وصحيح مسلم ج٥ ص١٦٧ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٣٢٨ وشرح مسلم للنووي ج١٢ ص١١٥ وفتح الباري ج٨ ص٢٥ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٣٨٠ ومسند الحميدي ج١ ص٢١٩ والآحاد والمثاني ج١ ص٢٧٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص١٩٧ وصحيح ابن حبان ج١٥ ص٥٢٤ والمعجم الكبير للطبراني ج٧ ص٢٩٩ وكتاب التوابين لابن قدامة ص١١٥ ورياض الصالحين للنووي ص٧١٥ وتفسير ابن أبي حاتم ج٦ ص١٧٧٣ وتفسير الثعلبي ج٥ ص٢٣ وتفسير البغوي ج٢ ص٢٧٨ وتفسير القرطبي ج٨ ص٩٨ والدر المنثور ج٣ ص٢٢٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٤ ص١٧ و ١٩ وتهذيب الكمال ج٢٤ ص١٣٤ وتاريخ الإسلام ج٢ ص٥٨٠ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٧٨ وإمتاع الأسماع ج٥ ص٦٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٢٧ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٨٤.

وقولهم: «ما شبهت عطفة الأنصار على رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلا عطفة الإبل على أولادها»(١).

وفي نص آخر: فثابوا من كل ناحية، كأنهم النحل تأوي إلى يعسوبها(٢).

وحين يكون المحارب محباً لقائده، فإنه وإن فرَّ حين تفاجئه هجمة قوية، ولكن محبته تبقيه على مقربة ممن يحب، وتدفعه لأن يبذل محاولة لمعرفة ما جرى عليه، ثم العودة إليه بمجرد أن تلوح له بارقة أمل عن حياته ونجاته..

وأما غير المحب، فلا يرده عن هزيمته شيء، ولا يفكر بأحد.

ولعل هذا كان شأن المهاجرين وكان ذاك شأن الأنصار، وخصوصاً الخزرج منهم، ولذلك نادى النبي «صلى الله عليه وآله» الأنصار، فكانوا هم الذين استجابوا، وعادوا إليه.

وجه النبي ' كالقمر:

وقد ذكرت رواية الإرشاد المتقدمة: أنه لما انهزم المسلمون عن النبي «صلى

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٣ عن البيهقي، وأبي القاسم البغوي، وفي هامشه عن المعجم الكبير للطبراني ج٧ ص٣٥٨ وتهذيب تاريخ دمشق ج٦ ص٣٥١ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠٣ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٣ ص١١١ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٠٩ و (ط دار المعرفة) ص٦٦ وفتوح الشام للواقدي ج١ ص٢٠٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٣ ص٢٥٧ والخصائص الكبرى للسيوطي (ط دار الكتب العلمية) ج١ ص٤٤٩.

(٢) راجع: تاريخ الخميس ج٢ ص١٠٥ وراجع: الإكتفاء ج٣ ص٥٨ وسبل الهدى والرشاد ج٣ ص٥٨.

الله عليه وآله» التفت إليهم ببعض وجهه، فأضاء لهم كأنه القمر ليلة البدر.

ونقول:

إن هذا النور المتدفق من وجه الرسول «صلى الله عليه وآله» بحيث يراه الناس، والمفروض: أن هذا الأمر يحصل في الليل.. لا بد أن يعطي الدلالة لأهل الإيمان على أن عليهم أن يكونوا أعمق إيماناً، وأشد يقيناً مما هم عليه..

ولابد أن يدفعهم ذلك إلى إعادة النظر في فرارهم المزري هذا، ويؤكد لهم أن ذلك معناه: خسران الدنيا والآخرة، إذ لا يمكن أن يوفقهم الله لحياة سعيدة في الدنيا، بعد أن تركوا نبيهم لتتناهبه سيوف أعدائه، وأعدائهم..

بل المتوقع لهم هو: الخذلان الدائم، والعار، والخزي المقيم.. وفي الآخرة ينتظرهم عذاب أليم.

كما أن الحجة تتم على الأعداء، الذين أظهر الله لهم نور النبوة، في الليلة الظلماء، فلماذا، وعلام يحاربون الأنبياء، ويسعون لقتلهم، وإسقاط دعوتهم؟ وما هو المبرر لطاعة ساداتهم وكبرائهم في أمر خطير كهذا؟!

وهل يمكن لأولئك السادات أن يحموهم من غضب الله تعالى، أو أن يكونوا بديلاً لهم عن عونه ولطفه ورعايته؟!

ثم إن ذلك يحدد مركز الرسول «صلى الله عليه وآله» للأعداء، فإذا منعهم الله من الوصول إليه رغم كثرتهم وقوتهم، فذلك معجزة أخرى لهم، تيسر لهم الإيمان، وتقودهم إلى التسليم والبخوع لنبوته «صلى الله عليه وآله»، حين تتهيأ الظروف لإسلامهم، بعد أن تضع الحرب أوزارها، ولا يكون إسلامهم ـ والحالة هذه ـ قهراً وجبراً، وبلا حجة ودليل..

كما أن المنهزمين لا يمكن أن يعتذروا عن إمعانهم في هزيمتهم: بأنهم لم

يعرفوا مصير النبي «صلى الله عليه وآله»، فلا معنى للمخاطرة بالعودة إلى ساحة القتال، لأن ذلك إلقاء للنفس إلى التهلكة بلا وجه ظاهر..

الخزرج صبَّر عند الحرب:

ثم إنهم حين يترقبون سؤالاً يحرجهم، وهو: لماذا كان الخزرج هم السبَّاقون لإجابة نداء الرسول «صلى الله عليه وآله»، والعودة إلى ساحة القتال دون الأوس، ودون سائر المهاجرين؟!

ولماذا خص النبي «صلى الله عليه وآله» الخزرج بندائه، وخصهم الأنصار أنفسهم بالدعوة أيضاً؟!

نعم.. إنهم يترقبون سؤالاً من هذا القبيل يبادرون إلى الإجابة بطريقة ضمنية، ويوردون الكلام بعفوية طبيعية، ويرسلونه إرسال المسلمات، فيقولون: إن الخزرج صبَّر عند اللقاء.

ونقول:

١ ـ ولا ندري كيف، ولماذا كان الخزرج كذلك دون إخوانهم من الأوس، فضلاً عن غيرهم من قبائل المنطقة؟! مع أنهم كانوا في الجاهلية يتصاولون مع الأوس تصاول الفحلين.

ولم يظهر لنا: أنهم قد عرفوا بهذه الخصوصية قبل حرب حنين..

٢ ـ ولو كانت هذه صفتهم، فلماذا هربوا قبل لحظات ولم يصبروا كما صبر علي «عليه السلام»، ونفر من بني هاشم؟!

إن الحقيقة هي: أن الخزرج كانوا ـ بصورة عامة ـ أكثر إيماناً، والتزاماً، وطاعة لرسول الله «صلى الله عليه وآله» من غيرهم، وقد عرف فيهم النبي

«صلى الله عليه وآله» ذلك فخصهم بالنداء.. وعمّ الأنصار.. فكانوا أسرع استجابة، فصاروا ينادون يا للأنصار، على أمل أن يلتحق بهم غيرهم من سائر القبائل، فلما لم يبادر أحد إلى ذلك صاروا يقولون: يا للخزرج ـ حسبما تظهره النصوص التي ذكرناها فيما سبق..

هل هذا خطأ؟!:

وقد ذكرت رواية ابن مسعود المتقدمة: أنه «صلى الله عليه وآله»، «لم يمض قُدُماً». أي أنهم يريدون القول: بأنه «صلى الله عليه وآله» قد ثبت في موضعه، ولم يتقدم للقتال، مكتفياً بالدفاع عن نفسه، وحفظ موقعه بانتظار عودة المنهزمين لمهاجمة الكافرين، ليكون تحقيق النصر على المشركين على أيديهم.. مع ان ذلك غير صحيح.

والظاهر: أن هذا من أخطاء النساخ.

والصحيح هو: أن يقال: «لم يزل يمضي قدماً» وعلي «عليه السلام» يهد المشركين هداً بعد ان قتل صاحب لوائهم. وتحقق النصر.

وقد صرحت الروايات المتقدمة نفسها، بالقول: «فطفق رسول الله «صلى الله عليه وآله» يركض بغلته قِبَلَ الكفار، وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله»..».

وفي رواية: «أكفها أن لا تسرع، وهو لا يألو ما أسرع نحو المشركين»(١).

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٢ والدر المنثور ج٤ ص١٦٠ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص٢٢٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٤ ص١٨ ومسند أحمد ج١ ص٢٠٧ وراجع: المصنف للصنعاني ج٥ ص٣٧٩ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١٩٤ وكنز =

ركض ' بغلته نحو علي × :

وقد تقدم في حديث الشيخ المفيد: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لما رأى الهزيمة ركض نحو عليٍّ بغلته، فرآه قد شهر سيفه الخ.. [1].

ولم تفصح الروايات: عن سبب ذلك منه «صلى الله عليه وآله»، فهو يعرف: أن علياً «عليه السلام» لا يمكن أن يفرَّ من ساحة المعركة.. فلعله أراد ان يطمئن على سلامته من أي سوء، وأن يؤكد موقعه «عليه السلام» في ساحة الجهاد، لكي لا يحاول المغرضون نسبة الأباطيل إليه «عليه السلام»، وخداع البسطاء من الناس بها.

ولعل هذه الرواية قد حُرِّفت وحذفت منها كلمة «نحو علي» ووضع مكانها «نحو المشركين» أو «قبل الكفار» كما ورد في روايات الآخرين، من الذين يحاولون مساواة علي «عليه السلام» بغيره.

وفي بعض هذه الروايات: «..كان النبي «صلى الله عليه وآله» يركض ناحية هوازن (الكفار) ويقول:

= العمال ج١٠ ص٥٤٦ وتفسير القرآن للصنعاني ج٢ ص٢٦٩ وجامع البيان (ط دار الفكر) ج١٠ ص١٣١ وتهذيب الكمال ج٢٤ ص١٣٤ ومسند أبي عوانة ج٤ ص٢٧٧ وفضائل الصحابة ج٢ ص٩٢٤ و ٩٢٧ والمنتظم ج٣ ص٣٣٤.

(١) البحار ج٢١ ص١٥٠ و ١٥١ والتفسير الصافي ج٢ ص٣٣١ و ٣٣٢ والتفسير الأصفى ج١ ص٤٥٩ و ٤٦٠ وتفسير الميزان ج٩ ص٢٣٤ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص١٩٩ و ٢٠٠ وتفسير القمي ج١ ص٢٨٧ و ٢٨٨ وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص١٠٤ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١١١.

أنــــا الـــنـــبـــي لا كــــــذب أنــــــا ابـــن عبـــــد المـطـــلـب»[(١)].

مع ملاحظة: أن تعبيرهم أيضاً ليس فيه شيء من الكذب، لأن علياً «عليه السلام» كان يغوص في أوساط المشركين، ويقتل منهم من حضرت منيته، ومن بلغ إليه سيفه.

النبي ' يطالب المهاجرين بعهدهم:

ويستفاد من النصوص المتقدمة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» حين قال للعباس: نادِ بالقوم، وذكرهم العهد، إنما قصد بذلك خصوص المهاجرين.

ويدل على ذلك: ما ورد في حديث عثمان بن شيبة المتقدم، حيث قال «صلى الله عليه وآله»: «يا عباس، إصرخ بالمهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة، وبالأنصار الذين آووا ونصروا».

فإن الأنصار والمهاجرين معاً قد بايعوا النبي «صلى الله عليه وآله» تحت الشجرة، فما معنى تخصيص المهاجرين بهذا الوصف، وتوصيف الأنصار بالذين آووا ونصروا؟!

---

(١) السيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١١٠ وراجع: تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٥٨٠ وتفسير السعدي ج١ ص٣٣٣ وتفسير أبي السعود ج٤ ص٥٦ وتيسير الكريم الرحمن في كلام المنان ص٣٣٣ والبداية والنهاية ج٦ ص٦٧ والتفسير الكبير ج١٦ ص١٨ ومناهل العرفان ج٢ ص٢٦٩ وشرح الزرقاني على الموطأ ج٣ ص٢٧ وراجع: تفسير الثعلبي ج٥ ص٢٣ وإمتاع الأسماع ج٧ ص٢١٧ وروح المعاني ج١٠ ص٧٤ وفتح الباري ج٨ ص٣١ وعمدة القاري ج١٤ ص١٥٧.

ألا يؤكد هذا: على أن المقصود هو تسجيل إدانة للمهاجرين، من حيث إنهم لم يفوا بعهدهم، ومن حيث أن وازعهم للعودة هو وفاؤهم بالعهود التي يعطونها، وهو ما يلتزم به حتى الإنسان الجاهلي.

وأما الأنصار، فإنهم وإن أسرعوا في الفرار في بادئ الأمر، إلا أن إيواءهم ونصرتهم تكفي حافزاً لهم على سرعة العودة إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» لكي يحفظوه، ويطيعوه، وليحفظوا جهدهم، ولا يبطلوا جهادهم، وذلك هو ما يفرض عليهم الإلتزام والطاعة.

وهذا يشير إلى اختلاف أساسي بين النظرتين، وبين الفريقين..

ويدل على نوع الوعي، ودرجة الإيمان، وحوافز الإلتزام لدى هؤلاء، وأولئك، ولا نريد أن نقول أكثر من ذلك.

حياء الأنصار من رسول الله ’ :

وقد تقدم في حديث القمي: أن الأنصار حين عادوا إلى القتال، استحيوا من أن يرجعوا إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، ولحقوا بالراية في ساحة المعركة مباشرة.

وهذا يشير إلى: أن ثمة معاني إنسانية، وقيماً أخلاقية تهيمن على الأنصار، وتؤثر في سلوكهم وحركتهم.. وعلى قاعدة: الحياء من الإيمان. يكون ذلك دليلاً على بعض نفحات الإيمان فيهم أيضاً.

من هؤلاء يا أبا الفضل؟!:

وسأل رسول الله «صلى الله عليه وآله» العباس بن عبد المطلب عن أولئك الناس الذين كانوا يرجعون إلى ساحات القتال، فيقول: من هؤلاء

يا أبا الفضل؟!

فيقول: يا رسول الله، هؤلاء الأنصار.

فهل كان العباس «رحمه الله» أعرف بهم من رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! ولماذا خفي أمرهم على النبي «صلى الله عليه وآله»، وظهر لغيره؟!

إن الجواب الأقرب إلى الإعتبار هنا هو: أنه «صلى الله عليه وآله» كان يريد من العباس أن يعلن هوية الراجعين على الملأ، ليعرف الناس الفضل لأهل الفضل، ولكي يقطع الطريق على المترصدين من سارقي الفضائل، ومنتحلي المواقف كذباً وزوراً. حتى لا يحرموا الأنصار من حقهم، وفضلهم بالسطو على هذه الفضيلة ايضاً في جملة ما يسطون عليه.

وهكذا يقال أيضاً: حين رأى «صلى الله عليه وآله» أبا سفيان بن الحارث وهو مقنع بالحديد، فسأل عنه، فأجابه أبو سفيان: ابن عمك يا رسول الله..

تناقضات.. يلاحظها القارئ:

وقد يلاحظ القارئ الكريم: أن ثمة تناقضات فيما بين الروايات..

فمن ذلك: اختلاف الروايات في الذي ناول النبي «صلى الله عليه وآله» الحصى، أو التراب، أو أن النبي «صلى الله عليه وآله» تناوله بنفسه.. وهل نزل عن البغلة من أجل ذلك؟ أم أنها هي التي انخفضت به؟ وقد تقدم ذلك.. وتقدم أن من الممكن دفع التناقض المتوهم.

ومنه أيضاً: أن عودة الأنصار هل كانت لسماعهم نداء العباس، أو لسماع نداء الرسول «صلى الله عليه وآله» نفسه؟!

ويمكن حل هذا التناقض: بأن من الممكن أن يعود فريق لسماعه صوت النبي «صلى الله عليه وآله»، ويعود فريق آخر لسماعه صوت العباس.

ومنه: الإختلاف في موقع العباس، وأبي سفيان بن الحارث من رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد فرار المسلمين.

فهل كان أبو سفيان آخذاً بركاب النبي «صلى الله عليه وآله»؟ أم بغرزه؟ أم بثفر السرج؟

وهل كان الآخذ بعنان البغلة هو العباس؟ أم أبو سفيان بن الحارث؟

وهل كان العباس أمامه «صلى الله عليه وآله»؟ أم كان آخذاً بلجام البغلة؟ أم كان عن يمينه؟

ويمكن أن يدفع هذا التناقض: بأن الحالات قد اختلفت، فتارة كان هذا يأخذ بعنان البغلة، وأخرى ذاك. وتارة يكون أمامه، وأخرى يكون خلفه، وغير ذلك.

ومنه: الإختلاف في نداء النبي «صلى الله عليه وآله» والعباس.

هل كان للأنصار فقط؟ أم كان للأنصار والمهاجرين معاً؟ وقد تقدم ذلك.

ويمكن دفع التناقض: بأنه «صلى الله عليه وآله» ناداهم جميعاً أولاً، ثم خص الأنصار بالنداء، حين رأى أن المهاجرين لا يلوون على شيء.

ومنه: الإختلاف في عدد من ثبت مع النبي «صلى الله عليه وآله» كما سيأتي إن شاء الله تعالى..

ومنه: الإختلاف في أنهم بعد عودتهم من فرارهم إلى ساحة المعركة هل قاتلوا أم لا؟

ومنه: الإختلاف في الذين نزلت عليهم السكينة. وقد أوضحنا ذلك فيما سبق، وربما نعود إلى التوضيح.

ومنه: اختلاف الروايات في أن هوازن خرجت من الشعاب على النبي «صلى الله عليه وآله»، فثبت لهم. أم خرجت على المسلمين، فانهزموا؟ كما سنرى.

النبي ' يركب بغلة:

إنه لا شك في أنه كانت لدى النبي «صلى الله عليه وآله» خيول معروفة بأسمائها وأعيانها، مثل الظرب، ولزاز.

ولكننا نقرأ في النصوص المتقدمة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يركب شيئاً من الخيل في حنين، بل كان يركب البغلة الشهباء، أو تلك المسماة بدلدل.

ولعل ذكر الفرس في حديث عبد الرحمن الفهري، حيث قال: إنه «صلى الله عليه وآله» اقتحم عن فرسه، فأخذ كفاً من تراب، قد ورد سهواً من الراوي، وإذ قد ظهر ذلك، فإن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو:.

لماذا لم يركب «صلى الله عليه وآله» فرساً، فإنها أقدر على التحرك السريع في ساحات القتال؟!

ويؤكد ضرورة اختيار الخيل هنا: أنه «صلى الله عليه وآله» كان هو المستهدف الأول لكل تلك الجيوش والكتائب، وستكون همتها مصروفة للوصول إليه.. وسيكون ركوبه البغلة من دواعي الحرص على استهدافه بالهجمات، حيث يترجح لدى أعدائه احتمال تمكنهم من إلحاق الأذى به «صلى

الله عليه وآله».

ونقول في الجواب:

لعل السبب في هذا الإختيار هو:

١ ـ أن ذلك يدل على: أن ثمة شجاعة نادرة، وثباتاً لا مثيل له لدى رسول الله «صلى الله عليه وآله». «لأن ركوب الفحولة مظنة الإستعداد للفرار والتولي. وإذا كان رأس الجيش قد وطن نفسه على عدم الفرار، والأخذ بأسباب ذلك كان أدعى لاتباعه»(١).

٢ ـ إن النبي «صلى الله عليه وآله» كان قد وعد المسلمين النصر، وأن يجعل الله ما جاؤوا به من أموال، وأنعام وسواها، غنائم للمسلمين. فإذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» يركب بغلة، وليس فرساً، وقد فر عنه جميع من كان معه وهم اثنا عشر ألفاً، أو أكثر، أو أقل، وقد أصبح هو وابن عمه علي «عليه السلام»، وربما بضعة أشخاص آخرين من بني هاشم وحيدين في بلاد الأعداء النائية، وإذا كان اعداؤه الذين يهاجمونه هم أهل البلاد، العارفون بمسالكها، وفجاجها، ومضايقها، وهم على درجة كبيرة من الكثرة، ووفرة العدد، وحسن العدة، حتى إن عددهم قد يصل إلى عشرين ألف سيف، أو أزيد من ذلك.

وإذا كان قد تفرق عنه جيشه في تلك البلاد وتاه في أرجائها، حتى لم يعد يمكن جمعه، ولا الإعتماد عليه في تحقيق أي شيء يؤثر على مصير الحرب..

فإذا كان الأمر على هذا الحال.. فإن المتوقع هو أن يغير النبي «صلى الله

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٤٩ وفتح الباري ج٨ ص ٢٦ .

عليه وآله» من مسير حركته، وان يدخل تغييرات أساسية على أوضاعه الأمنية، والقتالية، ليتمكن من تجاوز هذه المحنة بسلام.

ولكن هذا النبي «صلى الله عليه وآله» العظيم والكريم لم يتخذ أي إجراء احتياطي حتى في هذه الحال الشديدة، فلم يبحث عن مركوب يستطيع بحركته السريعة أن يمكِّن من يمتطيه، ليس من الخروج من ساحة القتال، وإنما من حفظ نفسه ـ ولو من خلال المراوغة السريعة ـ من هجمات أعدائه المتتابعة.

بل بقي في موقع التحدي والتصدي ليحقق النصر، الذي كان قد وعد الناس به، فكان له ما أراد، على يد أحب الخلق إلى الله تعالى، وإليه، وهو علي بن أبي طالب «عليه السلام».

وليكون ذلك دليلاً آخر على صدقه، وعلى نبوته «صلى الله عليه وآله»، وعلى أنه متصل بالغيب، ومؤيد بالله، ومسدد بألطافه، ومحاط بعناياته الظاهرة والخفية.

٣ ـ والذي زاد من وضوح هذه المعجزة الظاهرة، وسطوع هذه الكرامة الباهرة: أنه «صلى الله عليه وآله» يعلن للناس عن نفسه، ويصرح لهم باسمه الشريف، ليسمعه الأعداء منهم والأصدقاء على حد سواء.

ومضمون هذا الإعلان هو: إخبارهم بأنه سينتصر، كما أخبرهم، مضيفاً إلى ذلك أنه قد جعل نفس النبوة رهينة بهذا النصر.. ويكون هذا منه في الوقت الذي يرى كل أحد أنه لا يملك شيئاً، يمكن أن يعطي أية فرصة مهما كانت ضئيلة لذرة من خيال لاحتمال نجاة له من عشرين ألف سيف يحيطون به، بعد أن فرَّ عنه جميع أنصاره، وتركوه في بلاد عدوه وحيداً فريداً.

وقيل: إن جيش الكفار كان ضعفي المسلمين في العدد، وأكثر من ذلك. «ولذا جزم في النور: بأن هوازن كانوا أضعاف الذين كانوا معه «صلى الله عليه وآله»..»(١).

وتقدم القول: بأن بعض جيش المشركين كان ثلاثين ألفاً.

وذكر الثعالبي: أنهم كانوا ثلاثين ألفاً(٢).

والدليل على أنه «صلى الله عليه وآله» قد جعل نفس نبوته رهينة بهذا النصر: أنه «صلى الله عليه وآله» كان يعرِّف الناس بموقعه وبمكانه، ويتحدث عن نفسه لهم، بعنوان: أنه الذي يحمل صفة النبوة، التي «يستحيل معها الكذب. ويقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب(٣)

وكأنه «صلى الله عليه وآله» قال: لأنني أنا النبي. والنبي لا يكذب،

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٥١.

(٢) راجع: تفسير الثعالبي ج٣ ص١٧٢ وراجع: السيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٠٧ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٠٩ و (ط دار المعرفة) ص٦٦. وأعيان الشيعة ج١ ص٢٨٢.

(٣) مصادر هذه الفقرات كثيرة، فراجع على سبيل المثال: إعلام الورى ص١٢٢ والبحار ج٢١ ص١٦٧ والإرشاد ج١ ص١٤٣ وأمالي الطوسي ص٥٧٤ ومناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج١ ص١٨١ وسنن الترمذي ج٣ ص١١٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٢٤٣ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠٣ ومسند أحمد ج٤ ص٢٨١ و ٢٨٩ وصحيح البخاري ج٣ ص٢١٨ و ٢٢٠ وج٤ ص٢٤وصحيح مسلم ج٥ ص١٦٨.

فلست بكاذب فيما أقول حتى أنهزم، وأنا متيقن من أن الذي وعدني به الله من النصر حق.

«**وقيل معنى قوله**: لا كذب. أي أنا النبي حقاً لا كَذبَ في ذلك»[1].

ونظير هذا الموقف رواه لنا محمد بن سنان عن الإمام الرضا «عليه السلام»، فإنه قال له في أيام هارون: إنك قد شهرت نفسك بهذا الأمر، وجلست مجلس أبيك، وسيف هارون يقطر بالدم؟!.

قال: جرأني على هذا، ما قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إن أخذ أبو جهل من رأسي شعرة، فاشهدوا أني لست بنبي.

وأنا أقول لكم: إن أخذ هارون من رأسي شعرة، فاشهدوا أني لست بإمام[2].

٤ ـ ثم إنه «صلى الله عليه وآله» قد نسب نفسه إلى عبد المطلب، لشهرة أمر عبد المطلب في البلاد والعباد، لما رزقه من نباهة الذكر، وطول العمر..

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٤٩ وراجع: فتح الباري ج٨ ص٢٥ وتحفة الأحوذي ج٥ ص٢٧٤ وراجع: فيض القدير ج٣ ص٤٩ ومجمع البحرين ج٤ ص٢٨ والتيسير بشرح الجامع الصغير ج١ ص٣٧٤.

(٢) راجع: الكافي ج٨ ص٢٥٧ و ٢٨٥ وشرح أصول الكافي ج١٢ ص٣٥٦ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص٤٥١ والبحار ج٤٩ ص٥٩ و ١١٥ والأنوار البهية ص ٢١٧ ومدينة المعاجز ج٧ ص٢٢٧ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٣٩٥ و مسند الإمام الرضا للعُطاردي ج١ ص١٦٥ وراجع: حياة الإمام الرضا «عليه السلام» للقرشي ج١ ص٤١ وج٢ ص٢٢٧ وعن أعيان الشيعة ج٤ ق٢ ص٩٧ والحياة السياسية للإمام الرضا «عليه السلام» ص٣٢٤.

ولم يكن لعبد الله والد النبي «صلى الله عليه وآله» شهرته.

٥ ـ والأهم من ذلك كله: أنه «صلى الله عليه وآله» ـ كما ذكر في الروايات المتقدمة ـ قد نزل عن بغلته حين غشيه الأعداء، وذلك مبالغة منه في إظهار الإصرار على الثبات والصبر مهما كانت النتيجة، فإن توهم أحد أن للبغلة أي أثر في حفظ نفسه الشريفة «صلى الله عليه وآله»، أو التسريع في خروجه من دائرة الخطر، فإن نزوله عنها يبدد هذا الوهم، ويمحو أثره من الوجود..

يضاف إلى ذلك: أن ذلك يتضمن مواساةً منه «صلى الله عليه وآله» لمن ثبت وجاهد، وعرَّض نفسه للخطر، أو لاحتمالاته، أو احتمالات الضرر، فإنه «صلى الله عليه وآله» لا يرغب بنفسه عن أنفسهم.

٦ ـ ثم إن هناك تصعيداً آخر في موقفه الحازم والصارم هذا، وهو: أن الروايات قد ذكرت: أنه «صلى الله عليه وآله» قد تجاوز موضوع اختيار البغلة كمركوب له في ساحات الخطر..

ثم النزول عنها ليصبح راجلاً.

ثم تعريف الناس بمكانه، وبصوته، وأنه ما زال على قيد الحياة.

نعم.. لقد تقدم خطوة أخرى باتجاه الخطر الهائل الذي يتحاشاه أعظم الناس بطولة وبسالة، وأشدهم إقداماً، وشجاعة.. وهو أنه حين غشوه، وأصبح راجلاً، صار يتقدم باتجاه أعدائه..

ولا شك في أن هذا سيفاجئ الأعداء، ويصدمهم، ويثير أمامهم احتمالات تزلزلهم، وتشوش الموقف أمام أعينهم، وستختلط عليهم الأمور، وتتناقض المشاعر، وسيفهمون ذلك على أنه كرامة، بل معجزة، لا يجوز لهم متابعة التحدي لها، لأن ذلك سيعرضهم لأخطار لم يحسبوا لها

حساباً، ولم تخطر لهم على بال، ولا مرت لهم في خيال..

وتتبلور تلك الصدمة الكبرى برؤيتهم علياً «عليه السلام»، وهو يحصدهم حصداً، بسيف يتوالى لمعانه لهم كأنه شعلة نار، يتجلى فيها غضب الجبار، وهي تجري فيهم حكم الواحد القهار.

٧ ـ كما أن المهزومين من المسلمين، سوف يصعقون لهذه المفاجأة، وستتأكد لديهم المعجزة، والرعاية الإلهية، والحفظ الرباني لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، وتأييده بنصره، وسيثير ذلك مشاعر الندم لدى طائفة كبيرة منهم، ويعطيهم القوة والعزيمة، ويدعوهم إلى تدارك ما بدر منهم، والعودة إلى ساحة الحرب، والشدة في الطعن والضرب.

نعم.. إن ذلك لا بد أن يعطي الكثير منهم القوة في الإيمان، والنفاذ في البصيرة، والصدق في العزيمة، والحماس للتضحية، والرغبة في مثوبة الله تبارك وتعالى.

النبي ' والشعر:

وقد تقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» قد قال حين فرَّ عنه الناس:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وهذا الكلام له وزن الشعر، فهل يعتبر قائله شاعراً؟!

وكيف نوفق بين ذلك، وبين القول: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن شاعراً؟!..

ونجيب:

أولاً: إن الكلام العادي، قد يأتي على وزن الشعر في بعض الأحيان،

ولكنه لا يعد شعراً إلا إذا قصد ذلك منه.

والشاهد على ذلك: أنه قد ورد في القرآن بعض من ذلك، ولم يقل أحد: إن القرآن قد تضمن شعراً.

فقد قال تعالى: **{وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً}**(١).

وقال: **{وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا}**(٢).

وقال سبحانه: **{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}**(٣).

ولكن ذلك لا يصحح القول: بأن القرآن قد تضمن بيتاً من الشعر، أو شطر بيت، ولم يقل ذلك أحد من المشركين، والذين اتهموا النبي «صلى الله عليه وآله»، بأنه شاعر لم يستطيعوا أن يتخذوا من هذه الآيات شاهداً على مزاعمهم، بل إن الناس كذبوهم في مزاعمهم هذه..

ولم يستطيعوا أن يردوا قوله تعالى: **{وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ}**(٤).

ولا قوله عز وجل: **{وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ}**(٥).

بادِّعاء: أن الآيات التي ذكرناها آنفاً تدل على خلاف ما دلت عليه هاتان الآيتان.

---

(١) الآية ١٠٦ من سورة الإسراء.

(٢) الآية ١ من سورة الكوثر.

(٣) الآية ٢ من سورة الزلزلة.

(٤) الآية ٦٩ من سورة يس.

(٥) الآية ٤١ من سورة الحاقة.

ثانياً: إن الآيات حين نفت عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يكون شاعراً، فإنما أرادت أن تقول أمرين:

الأول: أن الشعر مما لا يليق بالأنبياء «عليهم السلام»، وقد نزه الله تعالى عنه نبيه الكريم «صلى الله عليه وآله»، رفعاً لدرجته، وتنزيهاً لساحته عن أن يكون ممن يزين المعاني الشعرية بالتخييلات الكاذبة، والأوهام الباطلة.

الثاني: أن هذا القرآن لم يعتمد الطريقة الشعرية في بيان مقاصده. لكن ذلك لا يعني أن لا يصدر عن النبي «صلى الله عليه وآله» كلام يتوافق مع وزن بيت، أو شطر بيت من الشعر.

بيان ذلك: أن الشعر يقوم على أمرين:

أحدهما: اعتماد الأمور الخيالية، والأوهام، والتزيينات اللفظية والبديعية، في عرضه للمعاني على القلوب والنفوس، ودفعها للقبول بها.

الثاني: التزام الوزن بما له من موسيقى مثيرة، وإيقاع مؤثر كأسلوب آخر من أساليب التسويق للمقاصد والمعاني، التي يراد إبعادها عن مجال التأمل والتحليل العقلي، فتُلقى إلى القلوب والنفوس عبر المشاعر والإنفعالات فتتلقفها، وتتفاعل معها من دون فكر وروية، وبلا تدبر في الأبعاد، والأسباب، أو في الأهداف والنتائج.

أما إذا جاء الكلام موزوناً، ولكن من دون أن يكون للإيقاع والوزن أي تأثير في التسويق للمعنى، ومن دون أن يعطل دور العقل في التأمل والتفكر، والتحليل، والتدبر، ومن دون أن تمازج تلك المعاني خيالات أو أوهام. فإن هذا الكلام لا يكون مشمولاً لما نزه الله نبيه عنه تجليةً منه وتكريماً له، وتنزيهاً عنه.

وهذا هو السبب في أن وجود فقرة أو فقرات يتوافق وزنها مع وزن بعض الشعر لم يجعل هذه الفقرات من الشعر، ولا يكون نقضاً للقاعدة التي أطلقها القرآن حول الشعر والشعراء، وحول القرآن، والأنبياء. إدانة ورفضاً، وحلاً ونقضاً.

النبي ' يركض البغلة، والعباس يكفها:

ونقرأ في الروايات المتقدمة: كيف أن النبي كان يركض البغلة نحو الكفار، وكان العباس يكفها، بعد أن ولى المسلمون مدبرين.

ومن الواضح: أن هذا الهجوم على الأعداء من رسول الله «صلى الله عليه وآله» من شأنه أن يرعبهم، لاسيما وهم يرون أنه راكب على بغلة، تقصر به عن بلوغ مراده في ساحة الحرب، فاندفاعه الواثق والقوي هذا يجعل المشركين يحسبون ألف حساب لما يمكن أن يكون معتمده، وما يريد أن يحققه. ولابد أن يمنعهم ذلك من الإقدام والمغامرة، أو هو على الأقل يوجب قدراً من التردد لديهم في ذلك..

أما العباس فهو يكف البغلة عن الإسراع باتجاه العدو، لأنه يرى أن من واجبه أن يحتاط للأمر، ويحفظ حياته وحياة رسول الله «صلى الله عليه وآله». وهو لا يلام في ذلك، لأنه لا يقصد مخالفة الرسول، ولا يريد إبطال تدبيره..

على أن هذا الاندفاع من رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان لأجل أن يكون بالقرب من أخيه علي «عليه السلام»، الذي كان قد غاص في أوساط الأعداء، حتى افتقده العباس، وظن أنه تخلى عن موقعه، وعن دوره، فأطلق

كلمات تبرُّم وشك، فدلوه على موقعه فيما بين تلك الكتائب المتكالبة على قتله، وقتل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومن معهما من المؤمنين.

الفصل الثاني:

هزيمة المشركين على يد علي ×

الآن حمي الوطيس:

وقد ذكرت الروايات: أنه لما عاد الأنصار للقتال قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: الآن حمي الوطيس[1].

ونقول:

إن الهزيمة للمشركين قد حصلت على يدي علي «عليه السلام»، فإن كان «صلى الله عليه وآله» قد قال هذه الكلمة، فقد قالها حين اشتد القتال بين المشركين وبين علي «عليه السلام»، لا بين المسلمين بعد عودتهم والمشركين. إذ

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٨ عن ابن مردويه، والبيهقي، وابن عساكر، وراجع: إعلام الورى ص١٢٢ و (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص٢٣٢ والبحار ج٢١ ص١٥٧ و ١٦٧ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١١١ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٠٩ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٦٢ و ٦٣ ومناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج١ ص١٨١ والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص٨٥ وشجرة طوبى ج٢ ص٣٠٩ وتفسير جوامع الجامع للشيخ الطبرسي ج٢ ص٥٦ وتفسير مجمع البيان ج٥ ص٣٥ وتفسير الميزان ج٩ ص٢٣١ وزاد المسير لابن الجوزي ج٣ ص٢٨٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٥١ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٨٠.

إنهم بعد عودتهم لم يرمِ أحد منهم بسهم، ولم يطعن برمح، كما سيتضح.

لم يحارب أحد سوى علي × :

وقد ادَّعت بعض الروايات المتقدمة: أن المسلمين الذين عادوا إلى ساحة المعركة قد قاتلوا. فراجع رواية أبي بشير المازني، وكذلك رواية عثمان بن شيبة، ورواية الشيخ المفيد «رحمه الله»، وغير ذلك.. وقد أخذ المؤرخون هذه الرواية بحسن نية، ولم يدققوا في صحتها وسقمها..

بل لقد قال دحلان: «لما انهزم المشركون تبع أثرهم المسلمون قتلاً وأسراً حتى حدّث بعض من هوازن قال: ما خيل لنا إلا أن كل حجر وشجر فارس يطلبنا.

وأنزل الله من الملائكة خمسة آلاف، وقيل: ثمانية، وقيل: ستة عشر ألفاً.

فقيل: إنهم قاتلوا، وقيل: لم يقاتلوا لإلقاء السكينة في قلوب المؤمنين بإلقاء الخواطر الحسنة»[1].

ونقول:

إن هذا الرجل قد وهم في فهم كلام بعض من هوازن، فإنه إنما أراد: أن الملائكة كانت تلاحقهم[2].

ولم يرد: أن الذين عادوا من هزيمتهم كانوا يلاحقونهم.

---

(١) السيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١١١.

(٢) راجع: السيرة الحلبية ج٣ ص١١٠ و (ط دار المعرفة) ص٧٥ وإمتاع الأسماع ج٢ ص١٦ وج٣ ص٣٢٢ ومجمع الزوائد ج٦ ص٨٣ وعمدة القاري ج١٧ ص ٧٧ و ٢٩٥ والمعجم الكبير ج١١ ص٣٠٨ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٤١٠

ولو سلمنا: أنه أراد ذلك، فلعله رأى جنود الملائكة، فظن أن المنهزمين قد عادوا من هزيمتهم.

وقد صرحت بعض الروايات الآتية حين الحديث عن «النصر الإلهي والإمداد بالملائكة»: بأنهم كانوا يرون المسلمين بين الملائكة كمثل الشامة. ويرون أن الملائكة هم الذين قتلوهم.

غير أننا نقول:

إن ذلك مشكوك فيه، بل الذي قاتل هو خصوص علي «عليه السلام»، وقد قتل أربعين رجلاً بيده، حسب تصريحهم.

وهو ما روي عن الإمام الصادق «عليه السلام» أيضاً[1].

قال أنس: وكان «عليه السلام» يومئذ أشد الناس قتالاً بين يديه[2].

---

(١) الكافي ج٨ ص٣٧٦ والبحار ج٢١ ص١٧٦و ١٧٨و ١٧٩ وج٤١ ص٩٤ و ٦٦ عنه، وعن مناقب آل أبي طالب ج١ ص٢٩٥ و ٢٩٦ و (ط المكتبة الحيدرية) ج١ ص٣٥٥ والأمالي لابن الشيخ ص٥٨٥ والإرشاد للمفيد ج١ ص١٤٤ والجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٩٩ وراجع: كشف الغطاء (ط ق) ج١ ص١٥ والكافي ج٨ ص٣٧٦ وشرح أصول الكافي ج١٢ ص٥٤٢ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٤٥٢ والتفسير الصافي ج٢ ص٣٣٢ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص٢٠١ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة ج١ ص٢٥٧ وج٩ ص٣٤١.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٤ عن أبي يعلى، والطبراني، ومجمع الزوائد ج٦ ص١٨٠ و ١٨٢ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١٠ ص٥٤٨ (٣٠٢٢٥)، ومسند أبي يعلى ج٦ ص٢٩٠ والمطالب العالية ج١٧ ص٤٨٩ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٤ وميزان الحكمة ج٣ ص٢٢٥١ وشرح إحقاق الحق ج٨ =

وأما من عداه: فيشك كثيراً في أن يكون أحد منهم قاتل، فلاحظ ما يلي:

١ ـ روي عن أنس، وعكرمة قالا: لما انهزم المسلمون بحنين، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» على بغلته الشهباء ـ وكان اسمها دلدل ـ فقال لها رسول الله «صلى الله عليه وآله»: دلدل، البدي. فألزقت بطنها بالأرض، فأخذ رسول الله «صلى الله عليه وآله» حفنة من تراب، فرمى بها في وجوههم، وقال: «حم، لا ينصرون»، فانهزم القوم، وما رمينا بسهم، ولا طعنا برمح[1]. أو فما رموا بسهم، ولا طعنوا برمح، ولا ضربوا بسيف. فهزمهم الله.

٢ ـ وعن أنس أيضاً: أنه «صلى الله عليه وآله» بقي وحده، فنادى الأنصار عن يمينه تارة، وعن يساره أخرى بندائين لم يخلط بينهما، فلبوه بأنهم معه، «فهزم الله المشركين، ولم يضرب بسيف، ولم يطعن برمح»[2].

حيث إن الراجح هو: أن تقرأ كلمتا «يضرب» و «يطعن» في العبارة الأخيرة بصيغة المبني للمجهول، فتتوافق في مفادها مع الرواية السابقة. أو

= ص٣٦٣ وج٣٢ ص٣٩٧ والمعجم الأوسط ج٣ ص١٤٨ ومعجم رجال الحديث لمحمد حياة الأنصاري ج١ ص١٧٧.

(١) مجمع الزوائد ج٦ ص١٨٣ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٤ عن أبي نعيم، والطبراني، وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠٤ عن الطبراني في الأوسط، وراجع: السيرة الحلبية ج٢ ص١٠٨ و ١٠٩ و ١١٠ وتخريج الأحاديث والآثار ج١ ص٣٦ والخصائص الكبرى للسيوطي (ط دار الكتب العلمية) ج١ ص٤٤٩ والبحار ج٦١ ص١٩١ والمعجم الأوسط ج٤ ص٢٠٢ والدر المنثور ج٥ ص٣٤٥ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٥٠ ودلائل النبوة للإصبهاني ج١ ص٢٢٨.

(٢) تقدمت مصادر هذا الحديث، حيث ذكرناها تحت عنوان: حديث أنس.

تكون قد حصل فيها تصحيف في لفظ الحروف نضرب ونطعن. صحفت فصارت: يضرب ويطعن. وربما يكون ذلك قد حصل سهواً، وربما عمداً، لحاجة في النفس قضيت.

٣ ـ قال ابن إسحاق: «ورجع رسول الله «صلى الله عليه وآله» من جهة المشركين بعد انهزامهم إلى العسكر، وأمر أن يقتل كل من قدر عليه، وثاب من انهزم من المسلمين»[١]. فإنه ظاهر في أن عودة من انهزم قد كانت بعد انقضاء الأمر.

٤ ـ قولهم: فوالله، ما رجعت راجعة للمسلمين حين هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتوفين (مكتفين) عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»[٢]. فإنه صريح في أن هزيمة المشركين وقعت، وأسر من أسر منهم قبل

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣٢ عن ابن إسحاق، والسيرة الحلبية ج٣ ص١١٢ وتفسير السمرقندي ج٢ ص٤٩ وإمتاع الأسماع ج٢ ص١٣.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٣ عن أبي القاسم البغوي، والبيهقي، وفي هامشه عن: تهذيب تاريخ ابن عساكر ج٦ ص٣٥١ وعن الطبراني في المعجم الكبير ج٧ ص٣٥٨ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١١١ والسيرة الحلبية ج٣ ص١١١ و (ط دار المعرفة) ص٧٠ وراجع ص١٠٨ و ١٠٩ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠٣ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٨٠ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٧٣ و ٣٧٧ وعيون الأثر ج٢ ص٢١٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦١٩ و ٦٢٥ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٤٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٨٩٦ وراجع: شرح إحقاق الحق ج٣٢ ص٣٩٧ ودلائل النبوة للبيهقي ج٥ ص١٢٩.

رجعة راجعة المنهزمين.

وهذا معناه: أن المنهزمين لم يشاركوا في القتال بعد عودتهم..

٥ ـ إن أحاديث: أنه «صلى الله عليه وآله» حثا التراب في وجوه المشركين، فهزمهم الله تعالى، تدل على: أن المشركين انهزموا من دون أن يباشر المسلمون العائدون من الهزيمة أي قتال معهم..

النبي ' يحثو التراب في وجوههم:

والأحاديث هي التالية:

١ ـ حديث ابن مسعود عن أنه مع ثمانين من المهاجرين والأنصار لم يولوا الدبر، وأن النبي «صلى الله عليه وآله» قال له: ناولني كفاً من تراب، فناوله فضرب وجوههم، فامتلأت أعينهم تراباً، ثم قال: أين المهاجرون والأنصار؟!

قلت: هم أولئك.

قال: إهتف بهم.

فهتف بهم، فجاؤوا وسيوفهم بأيمانهم كأنها الشهب، وولى المشركون أدبارهم[1].

٢ ـ عن كرز بن يزيد الفهري قال: «فولى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى، فجعل رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: «يا عباد الله. أنا عبد الله ورسوله، يا أيها الناس، إني أنا عبد الله ورسوله».

____

(١) تقدمت مصادر هذا الحديث.

فاقتحم رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن فرسه، وحدثني من كان أقرب إليه مني: أنه أخذ حفنة من تراب، فحثاها في وجوه القوم، وقال: «شاهت الوجوه».

قال يعلى بن عطاء: وأخبرنا أبناؤهم عن آبائهم، أنهم قالوا: «ما بقي منا أحد إلا امتلأت عيناه وفمه من التراب، وسمعنا صلصلة من السماء كمر الحديد على الطست، فهزمهم الله تعالى»[1].

٣ ـ عن أنس: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أخذ يوم حنين كفاً من حصى أبيض، فرمى به وقال: «هزموا ورب الكعبة».

وكان علي «عليه السلام» يومئذٍ أشد الناس قتالاً بين يديه[2].

٤ ـ عن شيبة بن عثمان: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال يوم حنين: يا عباس، ناولني من الحصباء.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٣ و ٣٢٤ وقال في هامشه: أخرجه أبو داود (٥٢٣٣) وأحمد ج١ ص٢٥٥ و ٨٤ و ج٣ ص٤٣٨ وج٥ ص٢٨٦ و ٣٧٢ و ٣٨١ وانظر الدر المنثور ج٥ ص٢٠٥ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص٢٢٤. وراجع: السيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١١٠ والسيرة الحلبية ج٣ ص١١٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠٤ عن أحمد، وأبي داود، والدارمي، ومسند أبي داود الطيالسي ص١٩٦ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٨٢ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٧٩ وإمتاع الأسماع ج٥ ص٦٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٢٩ ودلائل النبوة للبيهقي ج٥ ص١٤١ والخصائص الكبرى للسيوطي ج١ ص٤٤٥.

(٢) تقدمت مصادر هذا الحديث.

قال: وأفقه الله تعالى البغلة كلامه، فانخفضت به حتى كاد بطنها يمس الأرض، فتناول رسول الله «صلى الله عليه وآله» من البطحاء، فحثا في وجوههم، وقال: «شاهت الوجوه، حم لا ينصرون»[١].

٥ ـ وفي نص آخر: أنه «صلى الله عليه وآله» طلب كف التراب من أبي سفيان بن الحارث[٢].

٦ ـ وفي نص ثالث: أنه «صلى الله عليه وآله» طلبه من العباس وأبي سفيان[٣].

٧ ـ وفي نص رابع: أنه «صلى الله عليه وآله» طلب كف التراب من ابن مسعود[٤].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٤ عن البغوي، والبيهقي، وأبي نعيم، وابن عساكر، وقال في هامشه: أخرجه ابن عساكر كما في التهذيب ج٦ ص٣٥١، والطبراني في الكبير ج٧ ص٣٥٩ و (ط دار إحياء التراث العربي) ص٢٩٩، والمجمع ج٦ ص١٨٤، وأبو نعيم في الدلائل ج١ ص٦١، والبيهقي في الدلائل ج٥ ص١٤١. وراجع: والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١١٠ والسيرة الحلبية ج٣ ص١١٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠٤ والبحار ج٦١ ص١٩٢ وتخريج الأحاديث والآثار ج١ ص٣٦.

(٢) البحار ج٢١ ص١٥٠ و ١٥١ وتفسير القمي ج١ ص٢٨٧ و ٢٨٨ والتفسير الصافي ج٢ ص٣٣٢ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص٢٠٠ وتفسير الميزان ج٩ ص٢٣٤.

(٣) راجع: الجامع لأحكام القرآن ج١٦ ص٢٦٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٣ ص٢٥٧ والخصائص الكبرى للسيوطي ج١ ص٤٤٩ والناسخ والمنسوخ ج١ ص١٣٦ و ١٩٣.

(٤) المستدرك للحاكم ج٢ ص١١٧ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٨٠ وفتح الباري ج٨ =

٨ ـ عن يزيد بن عامر السوائي، وكان شهد حنيناً مع المشركين، ثم أسلم، قال: أخذ رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم حنين قبضة من الأرض، ثم أقبل على المشركين، فرمى بها في وجوههم وقال: «ارجعوا، شاهت الوجوه».

قال: فما من أحد يلقى أخاه إلا وهو يشكو القذى في عينيه، ويمسح عينيه[1].

٩ ـ عن عياض بن الحارث، وعن عمرو بن سفيان قالا: قبض رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم حنين قبضة من الحصباء، فرمى بها وجوهنا،

= ص٢٥ والمعجم الكبير ج١٠ ص١٦٩ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٥٨ والدر المنثور ج٣ ص٢٢٤ وفتح القدير ج٢ ص٣٤٨ و ٣٤٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٣ ص٧٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٨٢ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٨٠ وإمتاع الأسماع ج٥ ص٦٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٢٩ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٥ و ٣٥٠ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٦٨.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٤ عن عبد بن حميد، وتاريخ البخاري، والبيهقي، وابن الجوزي وأشار في هامشه إلى: البخاري في التاريخ ج٨ ص٣١٦ والطبري في التفسير ج١٠ ص٧٣ وابن حجر في المطالب (٤٣٧٢) والمجمع ج٦ ص١٨٢ والسيوطي في الدر المنثور ج٣ ص٢٢٦. وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص١٠٤ والمعجم الكبير للطبراني ج٢٢ ص٢٣٧ وأسد الغابة ج٥ ص١١٥ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٨٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٣١ والآحاد والمثاني ج٣ ص١٣٦ ومعجم الصحابة ج٣ ص٢٢٥ والخصائص الكبرى ج١ ص٤٤٦ والمطالب العالية ج١٧ ص٤٨٧ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٦٨.

فانهزمنا[١].

زاد عمرو بن سفيان قوله: فلما خُيِّل إلينا أن كل حجر وشجر فارس يطلبنا[٢].

١٠ ـ وفي حديث سلمة بن الأكوع قال: لما غشوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» نزل عن بغلته، ثم قبض قبضة من تراب من الأرض، ثم إنه استقبل به وجوههم، وقال: «شاهت الوجوه».

فلما خلى (خلق) الله تعالى منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً من تلك القبضة. فولوا مدبرين.

وقسم رسول الله «صلى الله عليه وآله» غنائمهم بين المسلمين[٣].

---

(١) راجع: تاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٨٢ وإمتاع الأسماع ج٥ ص٧٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٣٠ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٨٠ والمستدرك للحاكم ج٢ ص١٢١ ودلائل النبوة للبيهقي ج٥ ص١٤٢ والخصائص الكبرى ج١ ص٤٤٦ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٦.

(٢) راجع: الدر المنثور ج٣ ص٢٢٦ وتاريخ مدينة دمشق ج١١ ص٤٠٣ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٨٠ وإمتاع الأسماع ج٥ ص٧٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٣١ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٦ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٦٨ والمعرفة والتاريخ ج١ ص١٥٢ و ٢٨٧.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٦ عن البخاري، ومسلم، والبهقي، وفي هامشه عن: مسلم ج٣ ص١٤٠٢ (٨١)، والبيهقي في الدلائل ج٥ ص١٤٠ و ١٤١، وانظر الدر المنثور ج٣ ص٢٢٦. وراجع: إعلام الورى ص١٢٢ و (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص٢٣٢ والبحار ج٢١ ص١٦٧ وتخريج الأحاديث والآثار ج٢ ص١٩ وصحيح مسلم ج٥ ص١٦٩ وفتح الباري ج٨ ص٢٥ والسيرة النبوية لابن كثير =

ونقول:

إن هذه الحادثة تحتاج ـ قبل أن نواصل الحديث ـ إلى بعض التوضيح، والبيان، فلاحظ ما يلي:

شاهت الوجوه:

تقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» قد دعا على المشركين بقوله: «شاهت الوجوه»، وذلك حين رمى التراب، أو الحصى في وجوههم.

وقد يسأل سائل عن المراد بهذا الدعاء، فنقول في الجواب:

قد يقال في معنى هذا الدعاء العديد من الوجوه، إذ:

١ ـ لعل المقصود هو: الإلماح إلى أن الله تعالى قد خلق الإنسان في أحسن تقويم، سواء بالنسبة لتكوينه الظاهري المتمثل في صورته البشرية، أو في تكوينه الباطني، المتمثل بما أعطاه الله إياه من فطرة سليمة، وعقل

= ج٣ ص٦٢٨ والجمع بين الصحيحين ج١ ص٥٨١ ومسند الروياني ج٢ ص٢٥٣ ومشكاة المصابيح ج٣ ص١٦٥٠ وفتح الباري ج٨ ص٣٢ ومرقاة الجنان ج١١ ص٢٩ والبيان والتعريف لإبراهيم بن محمد الحسيني ج٢ ص٧٦ والأموال لابن سلام ج١ ص١٨٣ وإرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع للشوكاني ج١ ص٦٣ والجواب الصحيح لابن تيمية ج٦ ص٢٥٧ والمنتقى من منهاج الإعتدال للذهبي ج١ ص٥٢٠ ومنهاج السنة ج٨ ص١٣٠ ودلائل النبوة للبيهقي ج٥ ص١٤٠ وصحيح ابن حبان ج١٤ ص٤٥١ ودلائل النبوة للإصبهاني ج٣ ص١١٣٠ وتفسير البغوي ج٢ ص٢٧٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٨١ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٧٩ وإمتاع الأسماع ج٥ ص٦٨.

قويم، ومن عواطف ومشاعر نبيلة، ومن سمات وصفات وميزات إنسانية، لو حافظ عليها لسار في خط التكامل، والإرتقاء، حتى يصبح أفضل من الملائكة الأصفياء.

ولكن هذا الإنسان بسوء اختياره، وبعمله الفاسد، ورأيه الكاسد، يشوّه صورته الباطنية، من خلال العدوان على تلك الصفات والميزات الإنسانية وتشويهها، وتبقى صورته الظاهرية، التي يتعامل بها مع الآخرين على حالها، فيظن الناس فيه الخير والصلاح، والنجاح والفلاح، مع أن الأمر ليس كذلك، بل هو يضم جناحيه على طبيعة هي للحيوان أقرب منها للإنسان، فهو يحمل طبع الذئب أوالخنزير، أو السبع، أو غير ذلك، ولكن صورته صورة إنسان..

ولأجل ذلك، فإن دعاء النبي «صلى الله عليه وآله» على المشركين بتشويه الوجوه، هو الطلب إلى الله تعالى أن يفضح أمرهم، ويظهرهم على حقيقتهم.

٢ ـ وقد يفهم هذا الدعاء: على معنى أن النبي «صلى الله عليه وآله» يطلب من الله تعالى: أن يحول هذه الوجوه، التي يظهر عليها الإستبشار والإبتهاج بانتصار الباطل على الحق ـ يحولها ـ إلى وجوه كالحة، يشوهها الغيظ والخزي، والذل والشنار بنصر الحق الإلهي على باطلهم الشيطاني..

٣ ـ وقد يكون المقصود هو: تشويه وجوههم بعذاب النار في الآخرة على قاعدة: **{تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ}**(١).

____

(١) الآية ١٠٤ من سورة المؤمنون.

وقوله تعالى: {**يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ**}(١).

٤ ـ وقد يكون المقصود أيضاً هو: مجموع ذلك. أو سواه من المعاني التي تناسب هذا المقام..

كف الحصى:

وقد اختلفت الروايات المتقدمة: حول كيفية أخذ النبي «صلى الله عليه وآله» كفاً من حصى (أو من تراب).

هل نزل عن بغلته، وأخذها بنفسه؟

أم أن البغلة نفسها انخفضت به حتى أخذ ما أراد؟

أم أن ابن مسعود ناوله إياها؟

أم ناوله إياها أبو سفيان بنفسه؟

أم ناوله إياها هو والعباس؟

وفي بعضها: أن علياً «عليه السلام» هو الذي فعل ذلك(٢).

وحاول الصالحي الشامي الجمع بين هذه الروايات، فقال:

«والجمع بين ذلك: أن النبي «صلى الله عليه وآله»، قال لصاحبه: ناولني، فناوله، فرماهم.

ثم نزل عن البغلة، فأخذ بيده، فرماهم أيضاً.

فيحتمل أن الحصى في إحدى المرتين، وفي الأخرى التراب. وأن كلاً

---

(١) الآية ١٠٦ من سورة آل عمران.

(٢) راجع: السيرة الحلبية ج٣ ص١١٠.

ممن ذُكِرَ ناوله»[١].

ونقول:

يمكننا تصور وجه آخر للجمع، وهو أن المشركين كانوا يعدون بعشرات الألوف، فقيل: عشرون ألفاً.

وقيل: أربعة وعشرون.

وقيل: ثلاثون.

وقيل: أضعاف عدد المسلمين.

فلعلهم انقسموا في هجومهم على النبي «صلى الله عليه وآله» والمسلمين إلى عدة طوائف، بسبب ضيق الوادي الذي تجري فيه الحرب. فكان «صلى الله عليه وآله» يأخذ الحصى، أو التراب، ويرميه في وجه كل طائفة، ولعله أخذه مرة من العباس، وأخرى من ابن مسعود، وثالثة من علي «عليه السلام»، ورابعة بانخفاض البغلة حتى تلزق بطنها بالأرض، أو بنزوله «صلى الله عليه وآله» عنها. وربما كان يرميهم تارة بالتراب، وأخرى بالحصى..

وإنما قلنا هذا: لأننا لا نرى مبرراً لتكرار رمي التراب في وجوههم، فإن الله سبحانه لا بد أن يلقي في قلوب المهاجمين الرعب، من أول مرة يرميهم النبي «صلى الله عليه وآله» فيها كما هو ظاهر.

معجزتان: فعلية وخبرية:

وقالوا أيضاً: في رميه «صلى الله عليه وآله» الكفار، وقوله: «انهزموا

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٥٠.

ورب الكعبة الخ..» معجزتان ظاهرتان لرسول الله «صلى الله عليه وآله»:

إحداهما: فعلية.

والأخرى: خبرية.

فإنه «صلى الله عليه وآله» أخبر بهزيمتهم، ثم رماهم بالحصى، فأثر ذلك فيهم، فولوا مدبرين فعلاً.

وفي رواية: استقبل وجوههم، فقال: «شاهت الوجوه».

وهنا أيضاً معجزتان: فعلية وخبرية[1].

فقد أخبر «صلى الله عليه وآله»: عن أن هذا الأمر سيصيب وجوههم، ثم كان لفعله تأثير في حصول ذلك لهم..

نزول السكينة:

قال الطبرسي: **{..ثُمَّ أَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا..}**[2]. حين رجعوا إليهم وقاتلوهم.

وقيل: على المؤمنين الذين ثبتوا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»: علي، والعباس، في نفر من بني هاشم. عن الضحاك.

وروى الحسن بن علي بن فضال، عن أبي الحسن الرضا «عليه السلام» أنه قال: السكينة ريح من الجنة، تخرج طيبة، لها صورة كصورة وجه

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٥٠ وشرح مسلم للنووي ج١٢ ص١١٦ ومرقاة المفاتيح ج١١ ص٢٧.

(٢) الآية ٢٦ من سورة التوبة.

الإنسان، فتكون مع الأنبياء[1].

وروي مثله عن العباس بن هلال[2].

وروي في قول الله عز وجل: **{وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا}** قال: هم الملائكة. **{وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ}**. قال: قتلهم بالسيف.

وروي أيضاً عن سعيد بن جبير، قال: «في يوم حنين أمدّ الله تعالى رسوله «صلى الله عليه وآله» بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين، ويومئذٍ سمى الله تعالى الأنصار مؤمنين، قال: **{ثُمَّ أَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ}**»[3].

وعن ابن مسعود، قال: كنت مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم

---

(١) الكافي ج٤ ص٢٠٦ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٣ ص٢١٢ و (ط دار الإسلامية) ج٩ ص٣٢٨ ومجمع البيان ج٥ ص١٧ و ١٨ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص٣٢ وجامع أحاديث الشيعة ج١٠ ص٤٤٢ وراجع: البحار ج١٣ ص٤٥٠ و ٤٥١ وج٢١ ص١٤٧ وراجع: شجرة طوبى ج٢ ص٣٠٩ ومستدرك سفينة البحار ج٥ ص٨٩ ومسند الإمام الرضا «عليه السلام» ج١ ص٣٣٧ وتفسير العياشي ج٢ ص٨٤ وتفسير نور الثقلين ج١ ص١٢٦ وج٢ ص٢٠١ ومنتقى الجمان ج٣ ص٢٢.

(٢) البحار ج١٣ ص٤٥٠ و ٤٥١ ومسند الإمام الرضا «عليه السلام» ج١ ص٣٣٧ وتفسير العياشي ج١ ص١٣٣ .

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٧ عن ابن أبي حاتم، والدر المنثور ج٣ ص٢٢٣ و (ط دار المعرفة) ص٢٢٥ وتفسير ابن أبي حاتم ج٣ ص٧٥٢ وج٦ ص١٧٧٤ وفتح القدير ج٢ ص٣٤٩ وتفسير الثعالبي ج٥ ص٢٣ وتفسير البغوي ج٢ ص٢٧٩.

حنين، فولى الناس عنه، وبقيت معه في ثمانين رجلاً من المهاجرين والأنصار، فنكصنا على أعقابنا نحواً من ثمانين قدماً. (وفي نص آخر: فقمنا على أقدامنا) ولم نولهم الدبر، وهم الذين أنزل الله تعالى عليهم السكينة، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» على بغلته لم يمض قدماً الخ.. وقد تقدم[1].

ونقول:

إن لنا مع ما تقدم بعض الوقفات، للتوضيح، أو للتصحيح، فلاحظ ما يلي:

حقيقة السكينة:

إن ما رواه الحسن بن فضال، عن أبي الحسن الرضا «عليه السلام» في معنى السكينة ليس بالأمر المستهجن، الذي يمكن المبادرة إلى رده بيسر

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٥ و ٣٢٩ و ٣٥٠ عن أحمد، والحاكم، والطبراني، والبيهقي، وأبي نعيم، برجال ثقات. وفي هامشه عن: أحمد ج١ ص٤٥٣ والطبراني في المعجم الكبير ج١٠ ص٢٠٩ عن مجمع الزوائد ج٦ ص٨٤ و ١٨٣ والحاكم ج٢ ص١١٧. وراجع: فتح الباري ج٨ ص٢٥ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٥٨ والدر المنثور ج٣ ص٢٢٤ وفتح القدير ج٢ ص٣٤٨ و ٣٤٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٣ ص٧٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٨٢ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٨٠ وإمتاع الأسماع ج٥ ص٦٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٢٩ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٦٨.

وسهولة، وإن كان قد تضمن بعض التعابير، التي قد لا تروق لبعض الناس.

وذلك لأن السكينة كما قلنا: هي حالة من الرضا يلقيها الله على من يستحقها، واستعد وتهيأ لها من عباده، ليزدادوا بها إيماناً، وتزيد بها طهارة قلوبهم، وصفاء نفوسهم..

ولكن ذلك لا يمنع من أن تكون لهذه السكينة تجليات خاصة بالنسبة للأنبياء، تتناسب مع حالاتم صلوات الله وسلامه عليهم. وإن لم نستطع نحن أن ندرك حقيقة ذلك بدقة، إذ يكفينا أن نعلم: بأن ثمة أمراً خاصاً يمتازون به عن سائر الناس.

متى سمّى الله الأنصار مؤمنين؟!:

أما قول سعيد بن جبير: أنه تعالى سمى الأنصار مؤمنين «يوم حنين» فهو محض اجتهاد منه، ويرد عليه:

أولاً: إن الآيات القرآنية وصفت الذين كانوا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأنهم مؤمنون مثل قوله تعالى في أهل بيعة الشجرة: **{لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً}**(١).

ومنها قوله تعالى عن فتح مكة: **{إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ**

---

(١) الآية ١٨ من سورة الفتح.

كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً}(١).

وقال عز وجل: **{هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَللهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً}**(٢).

ولا شك في أن الأنصار كانوا من بين المؤمنين الذين ذكروا في هذه الآيات، الواردة في سورة الفتح، التي نزلت قبل حنين.

ثانياً: قد ذكرنا وسنذكر: أن النصر إنما كان على يد علي أمير المؤمنين فقط. فالسكينة إنما نزلت على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعلى علي «عليه السلام» فقط.. ولا أقل من أن يكون هذا الذي ذكرنا راجحاً.

ثالثاً: هل نستطيع أن نفهم من الكلام المنسوب لسعيد بن جبير: أن المقصود هو توهين أمر الأنصار، وإثارة الريب في إيمانهم، وتكريس الآيات التي تتحدث عن وجود مؤمنين مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأنها تقصد خصوص المهاجرين، رغم فرارهم في هذا الموطن وسائر المواطن؟!

رابعاً: تقدم أن الضحاك يقول: إن السكينة إنما نزلت على خصوص الذين ثبتوا مع رسول الله، وهم علي «عليه السلام» والعباس، في نفر من بني هاشم..

وهذا معناه: أن المقصود بالمؤمنين هم خصوص هؤلاء، وهم من المهاجرين لا من الأنصار، فما معنى قول ابن جبير: إن السكينة نزلت على الأنصار؟!

---

(١) الآية ٢٦ من سورة الفتح.

(٢) الآية ٤ من سورة الفتح.

قيمة رواية ابن مسعود:

وأما رواية ابن مسعود المتقدمة، فنقول فيها:

أولاً: إن المهاجرين فروا مع الفارين.. فلا معنى لحشر اسمهم في جملة من ثبت، إلا إن كان المقصود بهم خصوص علي «عليه السلام» والعباس، ونفر من بني هاشم..

ولكن يبقى سؤال: لماذا هذه التعميمات الموهمة، والتعميمات المضللة؟!

ثانياً: ما زعمه من أن الثمانين لم يولوا الدبر غير صحيح، بل الجميع قد ولى الدبر باستثناء النبي «صلى الله عليه وآله»، وعلي «عليه السلام».. وبعض بني هاشم الذين احتوشوا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لكي يحموه من سيوف الأعداء..

وسنوضح هذه الحقيقة بصورة أتم في مقام آخر.

جبنهم ونزول السكينة:

قال تعالى: **{لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ثُمَّ أَنَزلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَاء وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}**[1].

وقد زعموا: أن سبب نزول السكينة على المسلمين ليس هو جبنهم،

---

(١) الآيات ٢٥ ـ ٢٧ من سورة التوبة.

فإن فرار المسلمين لم يكن عن جبن، وإنما كان بسبب مفاجأة هوازن وثقيف لهم، حيث شدوا عليهم شدة رجل واحد، ورموهم بالسهام حتى ما تكاد تخطئ لهم رمية، فاحتاجوا إلى السكينة، فأنزلها الله تعالى عليهم..

واحتاجها أيضاً رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لأجل ما دخله من الحزن والإضطراب والأسف مما جرى على المسلمين..

والدليل على أن جبنهم ليس هو السبب: أنهم رجعوا إلى ساحة القتال، بمجرد سماعهم لنداء العباس.

ونقول:

إن ذلك لا يمكن قبوله.. وذلك لما يلي:

أولاً: إن ظاهر الآيات من سورة التوبة هو: أنهم قد فروا جبناً وخوفاً، لأنهم اعتقدوا: أن كثرتهم تغني عنهم في ساحة القتال، ولم يفكروا: بأن عليهم أن يرجعوا إلى الله، ويعتمدوا عليه.. ولم يتذكروا ربهم الذي نصرهم في ثمانين موطناً.

ثانياً: إن الآيات المشار إليها إنما هي بصدد لومهم وتأنيبهم على فرارهم، وتولية أدبارهم، الأمر الذي يوجب لفاعله: أن يبوء بغضب من الله ـ كما دلت عليه الأية الشريفة: **{وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}**(1).

فتولية الأدبار المَحرمة في الحرب توجب الغضب الإلهي، سواء أكان بسبب الإضطراب الناشئ من المفاجأة، أو بسبب الجبن..

---

(١) الآية ١٦ من سورة الأنفال.

ثالثاً: إن أسف النبي «صلى الله عليه وآله»، وحزنه على ما صدر من أصحابه، حيث لم يعتصموا بالله، أمر محمود، ومحبوب لله تعالى، ولا شأن للسكينة به، ولا يمكن أن يكون مبغوضاً، ومع غض النظر عن ذلك، فإنه «صلى الله عليه وآله» معصوم، ولا يصدر منه ما يكون مبغوضاً.

رابعاً: إن المسلمين الذين انهزموا كان فيهم منافقون، ومشركون، ولا يعقل أن تنزل السكينة على هؤلاء.. لأن السكينة ليست هي مجرد السكون والثبات والطمأنينة، ورباطة الجأش، لأن السكينة بهذا المعنى كانت حاصلة للكافرين حين هاجموا المسلمين في المرة الأولى، بل هي معطاة لكل شجاع باسل..

وإنما السكينة حالة يعطيها الله سبحانه لأوليائه المؤمنين كرامة منه تعالى لهم.

وهذا ما يفسر لنا السبب في أنه سبحانه يمتن بهذه السكينة على خصوص عباده المؤمنين، ويتفضل بها عليهم، وعلى رسوله الكريم والعظيم «صلى الله عليه وآله».

وهذه السكينة تحتاج إلى أن يكون من تنزل عليه أهلاً لتلقيها، متصفاً بالتقوى، وطهارة القلب، وصدق الإيمان، وما إلى ذلك.. وهي من موجبات زيادة الإيمان كما صرحت به الآية (٤) من سورة الفتح..

والذين ثبتوا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» هم المستحقون لهذه الكرامة الإلهية، وأما من ارتكب جريمة الفرار من الزحف، وباء بغضب من الله، فلا يصح إشراكه مع أولئك المؤمنين المجاهدين في هذه الكرامة.

خامساً: وأخيراً.. إن نفس قوله تعالى:

{لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً..} يدل على: أنهم غير معذورين في هزيمتهم، لأنها تقول: إن الله قد نصرهم، حينما كانوا معتمدين عليه، وملتجئين إليه، فلما اعتمدوا على كثرتهم أصيبوا بهذا البلاء العظيم، وهو أن الأرض قد ضاقت عليهم رغم سعتها، ثم ولوا مدبرين.

ويلاحظ: أنه تعالى وصف المواطن التي نصرهم فيها بالكثيرة، ليظهر كفرانهم لهذه النعمة، وأن ذلك كان عملاً ظاهر السوء منهم.

المواطن الكثيرة ثمانون:

وقد روي: أن المتوكل اشتكى شكاة شديدة، فنذر لله إن شفاه الله أن يتصدق بمال كثير، فعوفي من علته، فسأل أصحابه عن ذلك. إلى أن قال: فقال ابن يحيى المنجم: لو كتبت إلى ابن عمك يعني: أبا الحسن «عليه السلام»، فأمر أن يكتب له فيسأله، فكتب أبو الحسن «عليه السلام»: تصدق بثمانين درهماً.

فقالوا: هذا غلط، سله من أين قال هذا؟

فكتب: قال الله لرسوله: **{لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ}**، والمواطن التي نصر الله رسوله «صلى الله عليه وآله» فيها ثمانون موطناً، فثمانون درهماً من حله مال كثير[1].

---

(١) الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج٢٣ ص٣٠٠ وراجع ص٢٩٨ و (ط دار الإسلامية) ج١٦ ص١٨٧ وراجع ص ١٨٥ والبحار ج١٠١ ص٢٢٧ وراجع: ص٢١٦ وج٥٠ ص١٦٣ وكشف اللثام (ط ق) ج٢ ص٢٣٩ وجواهر الكلام =

فليتأمل الرجل الأريب في هذه الحادثة، فهي في نفس الوقت الذي تبدو فيه شديدة القرب إلى حد البداهة، فإنها تبقى بعيدة المنال عن أفهام الرجال، إلا الكمَّل منهم، الذين زقوا العلم زقاً. فكانوا حفظته حقاً وصدقاً.

ما هو سبب هزيمة المشركين؟!:

ويبقى هنا سؤال، وهو: أن الهزيمة هل كانت بسبب إلقاء النبي «صلى الله عليه وآله» الحصى في وجوه المشركين، كما هو صريح عدد من تلك الروايات، أو كان سببها قتل علي «عليه السلام» أبا جرول، كما هو صريح الرواية التي ذكرت ذلك أيضاً؟! وكيف نحل هذا التناقض القائم بين الروايات؟!

ويمكن حله بأن يقال: إنه لا إشكال في أن قتل أبي جرول، وجهاد علي «عليه السلام» كان هو السبب في هزيمة المشركين بصورة فعلية..

ولكن رمي التراب في وجوه اهل الشرك، ووصول التراب إلى أعينهم جميعاً يمثل معجزة كبرى لهم، وحجة بالغة عليهم، إذ إن وصول التراب أو الحصى لجميعهم وهم عشرات الألوف، برمي كف واحد منه ـ أو أكف بناء على تعدد الرمية كما تقدم في وجوه الجمع من أخبار الرمي ـ يدل بصورة قاطعة على أن هذا الأمر قد تم بتدخل وتصرف إلهي، ولابد أن يكون ذلك

= ج٣٥ ص٤١٦ وراجع ص٤١٥ وجامع المدارك ج٥ ص٧٩ وتفسير العياشي ج٢ ص٨٤ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص١٩٦ و ١٩٧ وراجع: الكافي ج٧ ص٤٦٣ ومختلف الشيعة ج٨ ص١٨٧ والحدائق الناضرة ج٢٢ ص٤٦٥ وتهذيب الأحكام ج٨ ص٣٠٩ ومناقب آل أبي طالب ج٣ وص٥٠٦ وغوالي اللآلي ج٢ ص٣١٤ ومستدرك سفينة البحار ج٩ ص٦٦ وتفسير الميزان ج٩ ص٢٢٩.

من موجبات رعبهم، وخور عزائمهم، لأنه يجعل النتائج أمامهم غير مضمونة، ويشككهم في قدرتهم على تحقيق أي نصر، ويجعل قدرات خصمهم الذي يواجهونه غير واضحة المعالم، ولا بينة الأحجام.

وقد رمى النبي «صلى الله عليه وآله» التراب قبل ذلك على رؤوس الذين اجتمعوا حول بابه لاغتياله في ليلة الغار، وقد أحس به جميعهم، وكان ذلك آية لهم، وحجة عليهم، ولكنه لم يمنعهم من مواصلة ما كانوا قد عقدوا العزم عليه استكباراً منهم، وعتواً.

كما أنه «صلى الله عليه وآله» قد رمى كفاً من تراب في وجوه المشركين في بدر، تماماً كما فعل في حنين، وكان ذلك آية أيضاً للمشركين، وحجة عليهم، ولكنهم استمروا على العناد واللجاج، ودخلوا تلك الحرب، وقتلوا عدداً من المسلمين، وقتل منهم أضعاف ذلك، وكانت الهزيمة عليهم بجهاد علي «عليه السلام»، وفتكات سيفه ذي الفقار. فما يجري في حنين لا يختلف عما جرى في بدر.

النصر الإلهي والإمداد بالملائكة:

عن مالك بن أوس بن الحدثان قال: حدثني عدة من قومي شهدوا ذلك اليوم يقولون: «لقد رمى رسول الله «صلى الله عليه وآله» تلك الرمية من الحصى، فما منا أحد إلا يشكو القذى في عينيه. ولقد كنا نجد في صدورنا خفقاناً كوقع الحصى في الطاس، ما يهدأ ذلك الخفقان.

ولقد رأينا يومئذٍ رجالاً بيضاً، على خيل بلق، عليهم عمائم حمر، قد أرخوها بين أكتافهم، بين السماء والأرض، كتائب، كتائب ما يليقون شيئاً،

ولا نستطيع أن نتأملهم من الرعب منهم(١).

وعن جبير بن مطعم قال: رأيت قبل هزيمة القوم ـ والناس يقتتلون ـ مثل البجاد الأسود، أقبل من السماء حتى سقط بين القوم، فنظرت فإذا نمل أسود مبثوث قد ملأ الوادي، لم أشك أنها الملائكة، ولم يكن إلا هزيمة القوم(٢).

وعن يحيي بن عبد الله بن عبد الرحمن، عن شيوخ من قومه من الأنصار، قالوا: رأينا يومئذٍ كالبجد السود هوت من السماء ركاماً، فنظرنا فإذا رمل مبثوث، فكنا ننفضه عن ثيابنا، فكأن نصر الله تعالى أيدنا به(٣).

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٨ عن الواقدي، وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠٥ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص١١٤ و (ط دار المعرفة) ص٧٥ وراجع: السيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١١٠ و ١١٢ وإمتاع الأسماع ج٢ ص١٦ وج٣ ص٣٣٣.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٧ عن ابن إسحاق، وابن المنذر، وأبي نعيم، والبيهقي، وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠٥ عن حياة الحيوان، والسيرة الحلبية ج٣ ص١١٤ و (ط دار المعرفة) ص٧٥ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١١٢ والدر المنثور ج٣ ص٢٢٥ وفتح القدير ج٢ ص٣٤٩ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص١٦٩ و (ط مؤسسة الأعلمي) ٣٤٩ وعيون الأثر ج٢ ص٢١٨ ومرقاة المفاتيح ج٨ ص٦٩ وزاد المعاد ج٣ ص٤٧٢ والإكتفاء ج٢ ص٢٤٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج٥ ص١١٨ و (ط محمد علي صبيح ـ مصر) ج٤ ص٨٩٨ وراجع: الكامل في التاريخ ج٢ ص٢٦٤ وإمتاع الأسماع ج٢ ص١٦ وج٣ ص٣٣٢.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٧ عن الواقدي، وإمتاع الأسماع ج٢ ص١٦ وج٣ ص٣٣٢.

وقال رجل من بني نصر بن معاوية يقال له: شجرة بن ربيعة، للمؤمنين وهو أسير في أيديهم: أين الخيل البلق، والرجال عليهم الثياب البيض؟ فإنما كان قتلنا بأيديهم، وما كنا نراكم فيهم إلا كهيئة الشامة.

قالوا: تلك الملائكة[1].

عن عبد الرحمن مولى أم برثن قال: حدثني رجل كان من المشركين يوم حنين قال: لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يقوموا لنا حلب شاة أن كببناهم.

فبينما نحن نسوقهم في أدبارهم إذ التقينا بصاحب البغلة (الشهباء) ـ وفي رواية: إذ غشينا ـ فإذا هو رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فتلقتنا عنده، وفي رواية: إذ بيننا وبينه رجال بيض حسان الوجوه، قالوا لنا: شاهت الوجوه، ارجعوا، فرجعنا. وكانت إياها (يعني: الهزيمة)[2].

---

(١) البحار ج٢١ ص١٥١ وتفسير القمي ج١ ص٢٨٨ والتفسير الأصفى ج١ ص٤٦٠ والتفسير الصافي ج٢ ص٣٣٢ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص٢٠١ وتفسير البغوي ج٢ ص٢٧٩ والجامع لأحكام القرآن ج٨ ص١٠١ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠٥ وراجع: تفسير البحر المحيط ج٥ ص٢٦ وتفسير الآلوسي ج١٠ ص٧٥ وتفسير الثعلبي ج٥ ص٢٤ وتفسير البغوي ج٢ ص٢٧٩ وراجع: الإصابة ج٣ ص٢٥٦ وروح المعاني ج١٠ ص٧٥.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٧ عن مسدد في مسنده، والبيهقي، وابن عساكر. وفي هامشه عن: البداية والنهاية ج٤ ص٣٣٢ وعن دلائل النبوة للبيهقي ج٥ ص١٤٣ والبحار ج٢١ ص١٨١ ومجمع البيان ج٥ ص١٨ ـ ٢٠ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١١٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠٥ =

وقالوا أيضاً: «وانهزمت هوازن في كل وجه، كانوا يسمعون قعقعة السلاح في الجو»[1].

وعن يزيد بن عامر السوائي، وكان حضر يومئذٍ، فسئل عن الرعب، فكان يأخذ الحصاة فيرمي بها في الطست، فيطن، فيقول: أن كنا نجد في أجوافنا مثل هذا[2].

= عن المواهب اللدنية، وعن ابن جرير، والسيرة الحلبية ج٣ ص١١٠ وجامع البيان ج١٠ ص١٣٤ والدر المنثور ج٣ ص٢٢٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٤ ص١٧٣ والمطالب العالية ج١٧ ص٤٨٢ والخصائص الكبرى ج١ ص٤٤٦ وراجع: البداية والنهاية ج٤ ص٣٨٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٨٣ وإمتاع الأسماع ج٣ ص٣٣١ وج٧ ص٢١٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٣٠ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٤٦ وسمط النجوم العوالي ج٢ ص٢٧٦.

(١) السيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١١٠ وراجع: البحار ج٢١ ص١٥١ وشجرة طوبى ج٢ ص٣٠٩ وتفسير القمي ج١ ص٢٨٨ والتفسير الأصفى ج١ ص٤٦٠ والتفسير الصافي ج٢ ص٣٣٢ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص٢٠٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٨ عن عبد بن حميد، والبيهقي، والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١١٠ وراجع: زاد المسير لابن الجوزي ج٣ ص٢٢٤ وإمتاع الأسماع ج٣ ص٣٣٢ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٤٧ وجامع البيان ج١٠ ص١٠٣ والآحاد والمثاني ج٣ ص١٣٦ والمطالب العالية ج١٧ ص٤٨٤ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٨٢ والتاريخ الكبير ج٨ ص٣١٦ والخصائص الكبرى ج١ ص٤٤٦ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٣٣.

وعن ربيعة بن أبزى قال: حدثني نفر من قومي، حضروا يومئذٍ قالوا: كمنا لهم في المضايق والشعاب، ثم حملنا عليهم حملة ركبنا أكتافهم، حتى انتهينا إلى صاحب بغلة شهباء، وحوله رجال بيض حسان الوجوه، فقالوا لنا: شاهت الوجوه، ارجعوا.

فانهزمنا، وركب المسلمون أكتافنا، وكانت إياها، وجعلنا نلتفت، وإنا لننظر إليهم يكدوننا، فتفرقت جماعتنا في كل وجه، وجعلت الرعدة تستخفنا حتى لحقنا بعلياء بلادنا، فإن كنا ليحكى عنا الكلام ما ندري به، لما كان بنا من الرعب، وقذف الله تعالى الإسلام في قلوبنا[1].

قالوا: «لم يبق أحد إلا امتلأت عيناه وفمه تراباً، وسمعنا صلصلة من السماء كإمرار الحديد على الطست»[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٨.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٤ وراجع: الثاقب في المناقب لابن حمزة الطوسي ص١١٤ ومسند أحمد ج٥ ص٢٨٦ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٨٢ وعمدة القاري ج١٧ ص٢٩٤ ومسند أبي داود الطيالسي ص١٩٦ والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٥٥٥ والآحاد والمثاني ج٢ ص١٤٣ والإستذكار لابن عبد البر ج٢ ص٤٩٠ والتمهيد لابن عبد البر ج٢٢ ص١١٣ والفايق في غريب الحديث ج٢ ص٢٥٨ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٥٨ والدر المنثور ج٣ ص٢٢٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٥٦ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٨٢ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٧٩ وإمتاع الأسماع ج٥ ص٦٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٢٩ ودلائل النبوة للإصبهاني ج١ ص٢٢٧ ودلائل النبوة للبيهقي ج٥ ص١٤١ والخصائص الكبرى ج١ ص٤٤٥ والمنتظم ج٣ ص٣٣٥ وسمط النجوم العوالي ج٢ ص٢٧٥.

وقيل: إن الملائكة نزلوا يوم حنين لتقوية قلوب المؤمنين وتشجيعهم، ولم يباشروا القتال يومئذٍ، ولم يقاتلوا إلا يوم بدر خاصة[1].

ونقول:

١ ـ إن المنهزمين حسب نص القرآن الكريم لم يروا الجنود من الملائكة: **{وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا}**[2]. فكل من يدَّعي من المنهزمين رؤية الملائكة، فهو ليس من المؤمنين، كما صرحت به الرواية المتقدمة عن شيبة بن عثمان الحجبي، التي تقول: لا يرى الملائكة إلا كافر..

٢ ـ ولوشككنا في دقة النقل في رواية شيبة بن عثمان، فإن الإستدلال يسوقنا إلى الاعتقاد بكذب دعاوى رؤية الملائكة، لأن الله سبحانه قد ذكر: أن المنهزمين لم يروا الجنود الذين أنزلهم، لكن ذلك لا يمنع من أن يكون خصوص المؤمنين الذين ثبتوا، وهم علي «عليه السلام»، وربما نفر من بني هاشم كانوا حول رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان الله قد أراهم تلك الجنود لكي يربط على قلوبهم، ويقويهم، كما قاله في مجمع البيان.

كما أنه سبحانه قد أرى جيوش المشركين تلك الجنود أيضاً، لكي يلقي في قلوبهم الرعب..

---

(١) البحار ج٢١ ص١٤٧ ومجمع البيان ج٥ ص١٧ و ١٨ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج٣٢ و ٣٣ وشجرة طوبى ج٢ ص٣٠٩ وراجع: تفسير السمرقندي ج٢ ص١٠ وتفسير السمعاني ج٢ ص٢٥٢ وتفسير البغوي ج٢ ص٢٨١ وتفسير أبي السعود ج٤ ص٥٦ وتفسير الآلوسي ج٤ ص٤٧ وج١٠ ص٧٥ وروح المعاني ج١٠ ص٧٥.

(٢) الآية ٢٦ من سورة التوبة.

وتكون النتيجة: أن أياً من المنهزمين عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، إذا رأى أولئك الجنود، فلا بد أن يكون من مشركي مكة الذين التحقوا بجيش المسلمين، إما لقتل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو للغارة على الغنائم، أو ترصداً لظهور غلبة المشركين لينحازوا إليهم، ويحاربوا معهم النبي «صلى الله عليه وآله» والمسلمين.

٣ ـ قد أظهرت الروايات المتقدمة: مدى الرعب الذي حصل للمشركين لمجرد رؤيتهم لتلك الجنود.

٤ ـ قد يقال: إن بعض تلك النصوص قد بينت: أن المشركين كانوا يرون المسلمين بين تلك الجنود بمثابة الشامة، وهذا يدل على كثرة الجنود في أعينهم.

غير أننا نقول:

بل ذلك يدل: على أن الذين ثبتوا من المؤمنين هم المقصودون، وهؤلاء ـ كما تقدم ـ بضعة أفراد لا يبلغون العشرة. فإذا أضيف إليهم بضعة آلاف من الملائكة، فمن الطبيعي أن يصبح مثلهم مثل الشامة، حسبما ذكره ذلك الرجل.

ومما يدل على ذلك أيضاً:

١ ـ الروايات المتقدمة، التي تقول: «ركبنا أكتافهم حتى انتهينا إلى صاحب بغلة شهباء، وحوله رجال بيض حسان الوجوه، فقالوا لنا: شاهت الوجوه، ارجعوا. فانهزمنا»[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٨.

فالملائكة إنما كانوا حول رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لا حول سائر الجيش الذي انهزم..

٢ ـ قول شيوخ ثقيف الذين شهدوا ذلك: «ما زال رسول الله «صلى الله عليه وآله» في طلبنا ـ فيما نرى ـ ونحن مولون، حتى إن الرجل ليدخل منا حصن الطائف، وإنه ليظن أنه على أثره»[1].

فتراه يتحدث عن خصوص رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأنه هو الذي كان في أثرهم، وكان رعبهم منه.

٣ ـ وأوضح من ذلك رواية عبد الرحمن مولى أم برثن عن رجل من المشركين قال: «فبينما نحن نسوقهم (أي المسلمين) في أدبارهم إذ التقينا بصاحب البغلة (الشهباء) ـ وفي رواية: إذ غشينا ـ فإذا هو رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فتلقتنا عنده ـ وفي رواية: إذ بيننا وبينه ـ رجال بيض حسان الوجوه قالوا لنا: شاهت الوجوه، ارجعوا، فرجعنا. وكانت إياها»[2] (أي: الهزيمة).

من أجل ذلك نقول:

إن الإمداد بالملائكة إنما كان لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولمن ثبت معه، وهم أفراد قليلون حسبما بيناه أكثر من مرة.

٤ ـ وبذلك يتبين: أن تعبيرات بعض المنهزمين من هوازن ومن معها،

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٨.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٧ عن مسدد في مسنده، والبيهقي، وابن عساكر. وفي هامشه عن: البداية والنهاية ج٤ ص٣٣٢ وعن دلائل النبوة للبيهقي ج٥ ص١٤٣ والبحار ج٢١ ص١٨١ ومجمع البيان ج٥ ص١٨ ـ ٢٠.

بأن المسلمين كانوا يلاحقونهم ويكدّونهم ونحو ذلك، إنما يقصد بها خصوص النبي «صلى الله عليه وآله»، وعلي «عليه السلام» وبعض بني هاشم، ومعهم جنود الله التي لم يرها المنهزمون عن نبيهم.

ولعل إطلاق التعبير الموهم لإرادة جميع الجيش، هو إما لأجل التضليل من راوٍ مغرض، أو أنهم قصدوا بالمسلمين كل أولئك الذين دخلهم الرعب منهم، بما فيهم الملائكة.

انهزام المشركين:

قالوا: لما نادى رسول الله «صلى الله عليه وآله» الأنصار كروا راجعين، فجعلوا يقولون: يا بني عبد الرحمن، يا بني عبد الله، يا بني عبيد الله، يا خيل الله.

وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد سمى خيله خيل الله، وجعل شعار المهاجرين: بني عبد الرحمن، وجعل شعار الأوس: بني عبيد الله، وشعار الخزرج: بني عبد الله[1].

وقالوا أيضاً: إن سعد بن عبادة جعل يصيح يومئذٍ: يا للخزرج ثلاثاً، وأسيد بن الحضير يصيح: يا للأوس ـ ثلاثاً ـ فثابوا من كل ناحية كأنهم النحل تأوى إلى يعسوبها.

قال أهل المغازي: فحنق المسلمون على المشركين، فقتلوهم حتى أسرع القتل في ذراري المشركين.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣١ عن الواقدي، وإمتاع الأسماع ج٢ ص١٥ وراجع: البحار ج١٩ ص٣٣٥ وراجع: الدرر لابن عبد البر ص٢١٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٨٦٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٦٢.

فبلغ ذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: «ما بال أقوام بلغ بهم القتل حتى بلغ الذرية**!** ألا لا تقتل الذرية، ألا لا تقتل الذرية»، ثلاثاً.

فقال أسيد بن الحضير: يا رسول الله، أليس إنما هم أولاد المشركين؟

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أليس خياركم أولاد المشركين**!** كل نسمة تولد على الفطرة، حتى يعرب عنها لسانها، فأبواها يهودانها أو ينصرانها»(١).

وفي نص آخر: «لما اجتمع عند النبي «صلى الله عليه وآله» زهاء مائة رجل، وشرعوا في القتال لم تلبث هوازن مقدار حلب شاة، أو حلب ناقة إلا انهزموا»(٢).

وقال شيوخ ثقيف: ما زال رسول الله «صلى الله عليه وآله» في طلبنا،

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣١ عن الواقدي، والمغازي للواقدي ج٣ ص٩٠٥ وراجع: السيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١١٢ والسيرة الحلبية ج٣ ص١١٢ وإمتاع الأسماع ج٢ ص١٥ وراجع: مسند أحمد ج٣ ص٤٣٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٧٧ و ١٣٠ ومجمع الزوائد ج٥ ص٣١٦ والآحاد والمثاني ج٢ ص٣٧٦ والمعجم الكبير ج١ ص٢٨٤ و ٢٨٥ وكنز العمال ج٤ ص٣٨٢ و ٣٩٥ وتفسير القرآن العظيم ج٣ ص٤٤٢ ومجمع البيان ج٩ ص١١٣ و (ط دار الفكر) ص١٥١ وتاريخ بغداد ج٨ ص٤٨١ وتفسير الثعلبي ج٧ ص٣٠٢ والأحاديث المختارة ج٤ ص٢٤٨ وراجع: نيل الأوطار ج٨ ص٧٢ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١٨٤ وصحيح ابن حبان ج١ ص٣٤١ والتمهيد لابن عبد البر ج١٨ ص٦٨ وجزء أبي الطاهر ج١ ص٢٦ وحلية الأولياء ج٨ ص٢٦٣ والإستيعاب ج١ ص٩٠.

(٢) تاريخ الخميس ج٢ ص١٠٥ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣١ .

فيما نرى، ونحن مولون، حتى إن الرجل منا ليدخل حصن الطائف، وإنه ليظن أنه على أثره، من رعب الهزيمة[1].

قال أنس بن مالك: كان في المشركين رجل يحمل علينا فيدقنا ويحطمنا، فلما رأى ذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله» نزل، فهزمهم الله تعالى، فولوا، فقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين رأى الفتح، فجعل يجاء بهم أسارى رجل رجل، فيبايعونه على الإسلام.

فقال رجل من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إن عليّ نذراً لئن جيء بالرجل الذي كان منذ اليوم يحطمنا لأضربن عنقه.

فسكت رسول الله «صلى الله عليه وآله» وجيء بالرجل، فلما رأى رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: يا نبي الله، تبت إلى الله.

فأمسك رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن مبايعته ليوفي الآخذ بنذره، وجعل ينظر إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليأمره بقتله، وهاب رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فلما رأى رسول الله «صلى الله عليه وآله» الرجل لا يصنع شيئاً بايعه، فقال: يا رسول الله، نذري؟

قال: «لم أمسك عنه إلا لتوفي بنذرك».

فقال: يا رسول الله، ألا أومأت إليّ؟

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إنه ليس لنبي أن يوميء»

وفي رواية: ألا أومضت إلى؟

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٨ و ٣٣١ و ٣٣٢ عن الواقدي.

فقال: إنه ليس لنبي أن يومض[١].

قالوا: وهزم الله تعالى أعداءه من كل ناحية، واتبعهم المسلمون يقتلونهم، وغنّمهم الله تعالى نساءهم، وذراريهم، وأموالهم.

وفرّ مالك بن عوف حتى بلغ حصن الطائف. هو وأناس من أشراف قومه، وأسلم عند ذلك ناس كثير من أهل مكة رأوا نصر الله تعالى رسوله وإعزاز دينه[٢].

ولما هزم الله تعالى المشركين من أهل حنين، وأمكن رسول الله «صلى

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣٢ عن أحمد، والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٢١ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٧٥ ومسند أحمد ج٣ ص١٥١ وسنن أبي داود ج٢ ص٧٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج١٠ ص٨٥ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٦٧ و ١٦٨ وراجع: المعجم الوسط ج٦ ص٣٤٣ وتخريج الأحاديث والآثار ج٣ ص١١٤ وشرح مشكل الآثار ج١١ ص٤١١ ومعتصر المختصر ج١ ص٢٦٠ وراجع: إمتاع الأسماع ج١٣ ص١١١ والمطالب العالية ج١٧ ص٤٥٥ وكنز العمال ج١٠ ص٢٢٤ و ٥١٩ وجامع البيان ج١٠ ص٦٦ وتفسير ابن أبي حاتم ج٥ ص١٧٣٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٤١ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٩ ص٢٩ وتلخيص الحبير ج٣ ص١٣٠ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٣٧ والأحاديث المختارة ج٧ ص٢٤٤ .

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣٢ وإعلام الورى ص١٢٢ و ١٢٣ و (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص٢٣٢ والبحار ج٢١ ص١٦٧وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٧٨ و ٥٧٩ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٧٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٢٧ وشجرة طوبى ج٢ ص٣١٠ وقصص الأنبياء للراوندي ص٣٤٨ ودلائل النبوة للبيهقي ج٥ ص١٣٢ والإكتفاء ج٢ ص٢٤٤.

الله عليه وآله» منهم، قالت امرأة من المسلمين:

قد غلبت خيل الله خيل اللات   والله أحقُّ بالثَّبَاتِ

ويروى: وخيله أحقُّ بالثبات.

زاد محمد بن عمر:

إن لنا ماء حنين فخلوه   إن تشربوا منه فلن تعلوه

هذا رسول الله لن تغلوه

ورجع رسول الله «صلى الله عليه وآله» من جهة المشركين بعد انهزامهم إلى العسكر، وأمر أن يقتل كل من قدر عليه، وثاب من انهزم من المسلمين[1].

روي: بسند رجاله ثقات عن أنس: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال يوم حنين: «اجزروهم جزراً» أو «جزوهم جزاً»، وأومأ بيده إلى الحلق[2].

قال المفيد «رحمه الله» وغيره: ثم التأم المسلمون وصفوا للعدو، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «اللهم إنك أذقت أول قريش نكالاً، فأذق آخرها نوالاً».

وتجالد المسلمون والمشركون، فلما رآهم النبي عليه وآله السلام قام في ركابي سرجه حتى أشرف على جماعتهم، وقال: «الآن حمي الوطيس:

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣٢ عن ابن إسحاق، والسيرة الحلبية ج٣ ص١١٢ وتفسير السمرقندي ج٢ ص٤٩ وإمتاع الأسماع ج٢ ص١٣.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣٢، ومجمع الزوائد ج٦ ص١٨١ كلاهما عن البزار، والأحاديث المختارة ج٥ ص٢٠٣.

أنـــا الـــنـــبـــي لا كـــــذب أنـــــا ابـــن عبـــد المـطـــلـــب

فما كان بأسرع من أن ولى القوم أدبارهم، وجيء بالأسرى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله مكتفين[١].

علي × يقتل ذا الخمار:

وقالوا: لما انهزمت هوازن كانت راياتهم مع ذي الخمار، فلما قتله علي «عليه السلام» أخذها عثمان بن عبد الله بن ربيعة، فقاتل بها حتى قتل[٢].

ونقول:

١ ـ سيأتي أنه «عليه السلام» هو الذي قتل أبا جرول، حيث كان يتقدم باللواء في أثر المنهزمين من المسلمين، وهوازن تتبعه. فأوقف قتله حركتهم، وحفظ بذلك ارواحاً كثيرة كانت ستزهق على أيدي المشركين..

واللافت هنا: هو أن عامة من ذكر قتل عثمان بن عبد الله بن ربيعة قد ذكر: أنه أخذ الراية بعد قتل ذي الخمار، ولكن لا يقولون من الذي قتل ذا الخمار هذا. فراجع[٣].

---

(١) الإرشاد ج١ ص١٤٢ و ١٤٣ و ١٤٤ والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص٨٦ والبحار ج٤١ ص٩٤ وج٢١ ص١٥٧ عن مناقب آل أبي طالب ج١ ص٦٠٤ ـ ٦٠٦ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٨٠.

(٢) البحار ج٤١ ص٩٦ عن مناقب آل أبي طالب ج١ ص٦٠٦ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٣٣٣ عن محمد بن إسحاق.

(٣) راجع على سبيل المثال: تاريخ الخميس ج٢ ص١٠٦ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٤٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٨٩٩ وسبل الهدى والرشاد ج٥ =

فلماذا هذا التعتيم على الحقيقة يا ترى؟! وما الداعي للتلاعب بالنصوص، بالنسبة لذي الخمار تارة، ولأبي جرول أخرى على الذي سوف نذكره فيما يأتي؟!

٢ ـ إنهم لم يذكروا لنا أيضاً: من الذي قتل عثمان بن عبد الله؟ ونكاد نطمئن إلى أن قاتله علي «عليه السلام»..

بل نحن نشك: في ان يكون المسلمون قد قتلوا أحداً من المشركين في هذه الحرب كلها، باستثناء قتل بعض الأسرى، وطائفة من الذرية كما سيأتي.. لأن الأدلة التي ذكرناها فيما سبق وربما يأتي شيء من ذلك أيضاً، كلها تدل على: أن أحداً لم يقاتل في حرب حنين سوى علي «عليه السلام»، بل رجعت راجعة المسلمين فوجدوا الأسرى مكتفين عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

هزيمة المشركين بقتل أبي جرول:

عن البراء بن عازب قال: كان رجل على جمل له أحمر، بيده راية سوداء، على رمح طويل، أمام هوازن، وهوازن خلفه. إذا أدرك طعن برمحه، وإن فاته الناس، رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه. فبينما هو كذلك إذ هوى له علي بن أبي طالب، ورجل من الأنصار يريدانه، فأتاه علي بن أبي طالب من خلفه، فضرب عرقوبي الجمل، فوقع على عجزه، ووثب الأنصاري على الرجل، فضربه ضربة أطن قدمه بنصف ساقه، فانجعف عن رحله.

واجتلد الناس، فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى

= ص٣٣٤ والإكتفاء للكلاعي ج٢ ص٢٤٦ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٨٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٣٥.

وجدوا الأسرى مكتفين عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»[١].

ونقول:

١ ـ قال اليعقوبي: «ومضى علي بن أبي طالب إلى صاحب راية هوازن فقتله، وكانت الهزيمة»[٢].

٢ ـ لعل هذا النص قد تعرض للتحريف، والتصرف والتزييف كما تعودناه في كثير من المواضع، من قبل شانئي علي «عليه السلام».. إذ قد روى الآخرون حادثة قتل أبي جرول، مصرحين، بأن الذي قتله هو علي «عليه السلام» وحده..

وقال الشيخ المفيد «رحمه الله»: وإذا فاته الناس دفع لمن وراءه، وجعل يقتلهم وهو يرتجز:

أنا أبو جرول لا براح حتى نبيح القوم أو نباح

قال: فصمد له أمير المؤمنين «عليه السلام»، فضرب عجز بعيره، فصرعه، ثم ضربه فقطره، ثم قال:

قد علم القوم لدى الصباح أني لدى الهيجاء ذو نصاح

فكانت هزيمة المشركين بقتل أبي جرول.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٩ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠٢ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١١١ والسيرة الحلبية ج٣ ص١١١ و (ط دار المعرفة) ص٦٩ ومصادر كثيرة تقدمت.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٦٣.

قال: وقتل علي «عليه السلام» أربعين رجلاً بعد قتل أبي جرول[١].

٢ ـ قال ابن شهرآشوب: «وفارسهم أبو جرول، وإنه قدَّه عظيماً بنصفين، بضربة في الخوذة، والعمامة، والجوشن، والبدن إلى القربوس، وقد اختلفوا في اسمه»[٢].

٣ ـ قالوا: «في عقر علي «رضي الله عنه» بعير حامل راية الكفار دليل جواز عقر فرس العدو، ومركوبه، إذا كان ذلك عوناً على قتله»[٣].

٤ ـ بالنسبة لما تقدم: من أن قتل أبي جرول كان السبب في هزيمة المشركين، نقول:

سيأتي: أن قتل حامل اللواء وسقوط اللواء من يده يشوش حركة الجيش، ويتسبب بدرجة كبيرة من الضياع والإحباط لدى كثير من عناصره، ويؤدي إلى هزيمة فعلية في أحيان كثيرة.

٥ ـ قد تقدم: أن لا منافاة بين ما تقدم من أن هزيمة المشركين في حنين قد كانت حين أخذ النبي «صلى الله عليه وآله» كفاً من تراب أو حصى، ورماها في وجوهم.. وبين ما ذكر هنا من أن قتل أبي جرول بيد علي «عليه السلام» كان هو السبب في الهزيمة..

وقد بينا الوجه في ذلك..

---

(١) الإرشاد المفيد ج١ ص١٤٢ ـ ١٤٤ والبحار ج٤١ ص٩٤ عن مناقب آل أبي طالب ج١ ص٦٠٤ ـ ٦٠٦.

(٢) البحار ج٤١ ص٦٦ عن مناقب آل أبي طالب ج١ ص٢٩٥ ـ ٢٩٦ و (ط المكتبة الحيدرية) ج١ ص٣٥٥ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٥٤٢.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٥٠ وزاد المعاد ج٣ ص٤٨٣.

٦ ـ إن ادِّعاء مشاركة رجل أنصاري لأمير المؤمنين «عليه السلام» في قتل أبي جرول.. لا تتلاءم مع قول ابن شهرآشوب: إن علياً «عليه السلام» قد قدَّه بنصفين، بضربة في الخوذة والعمامة، والجوشن، والبدن إلى القربوس.

وهذه هي صفة ضربات علي «عليه السلام»، فإن ضرباته «عليه السلام» كانت أبكاراً (مبتكرات لا عواناً)، إذا اعتلى قدّ، وإذا اعترض قط(1).

٧ ـ لو صدقت روايتهم عن مشاركة الرجل الأنصاري لعلي «عليه السلام» في قتله، فإن ذكر اسم الرجل، وإغفال اسم علي «عليه السلام» أولى بل أوجب.. إذ من غير المناسب أن يذكروا اسم من ضرب الجمل، ويهملوا اسم من قتل ذلك الفارس العظيم، الطارد للمسلمين، والقائد

---

(١) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج١ هامش ص١٢ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص٣٥٥ والبحار ج٢١ ص١٧٩ وج٤١ ص٦٧ وشرح النهج للمعتزلي ج١ ص٥٠ وتفسير مجمع البيان ج١ ص٢٥٢ و٣٨٩ والهاشميات والعلويات (قصائد الكميت وابن أبي الحديد) ص١٥٣ والصحاح ج٢ ص٥٩٧ وج٣ ص١١٥٣ والفروق اللغوية ص٤٣٢ و ٤٣٣ ولسان العرب ج٣ ص٣٤٤ وج٤ ص٨٠ ومختار الصحاح لمحمد بن عبد القادر ص٣٩ ومجمع البحرين ج١ ص٢٣٢ وتاج العروس ج٢ ص٤٦٠ وج٣ ص٥٨ وج٥ ص٢٠٧ وأعيان الشيعة ج١ ص٣٣٠ و ٣٤٠ و ٣٨٢ و ٣٩٧ وشرح إحقاق الحق ج٨ ص٣٢٨ و ٣٢٩ وج١٨ ص٧٩ وج٣١ ص٥٦٩ وج٣٢ ص٣٠٥ و ٣٣٦ و ٣٣٧ وتفسير أبي السعود ج٤ ص٢٦٧ وتفسير الآلوسي ج١٢ ص٢١٨ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ لمحمد الريشهري ج٩ ص٤٣٠ والنهاية في غريب الحديث ج١ ص١٤٩ .

لجيوش المشركين!!

٨ ـ وقد تضمنت الرواية حديثاً عن اجتلاد الناس مع المشركين بعد عودتهم من الهزيمة، وبعد قتل أبي جرول، وقد تقدم: تصريح بعض النصوص: بأن الهزيمة وقعت على المشركين، ولم يضرب المسلمون فيهم بسيف، ولا طعنوا برمح..

هكذا يكيدون علياً × :

ولكنّ مبغضي أمير المؤمنين «عليه السلام» لم يكتفوا بالتزوير الظاهر، الذي تحدثنا عنه، بل تجاوزوا ذلك إلى محاولة تسديد إهانة مبطنة لعلي «عليه السلام»، حيث قالوا:

فجعلت أم عمارة تصيح: يا للأنصار، أية عادة هذه. ما لكم والفرار؟!

قالت: وأنظر إلى رجل من هوازن على جمل أورق، معه لواء يوضع جمله في أثر المسلمين، فاعترض له، فأضرب عرقوب الجمل. فيقع على عجزه، وأشد عليه، ولم أزل أضربه حتى أثبتّه، وأخذت سيفاً له.

ورسول الله «صلى الله عليه وآله» قائم، مصلت السيف بيده، قد طرح غمده ينادي: «يا أصحاب سورة البقرة».

فكرّ الأنصار، ووقفت هوازن قدر حلب ناقة فتوح، ثم كانت إياها، فوالله ما رأيت هزيمة قط كانت مثلها، قد ذهبوا في كل وجه، فرجع إلي أبنائي جميعاً: حبيب وعبد الله أبناء زيد بأسارى مكتفين، فأقوم إليه من الغيظ، فأضرب عنق واحد منهم، وجعل الناس يأتون بالأسارى فرأيت

في بني مازن ابني النجار ثلاثين أسيراً[١].

ونقول:

١ ـ قد يقال: إنه لا معنى لأن تقول أم عمارة للأنصار: «أية عادة هذه»؟ لأن الفرار لم يكن عادة للأنصار.

ويمكن أن يجاب: بأن الخطاب لم يكن لخصوص الأنصار، بل كان لعموم الفارين والأنصار بعض يسير منهم، وحتى لو كان خاصاً بالأنصار، فإن الأنصار كانوا مع الفارين، أو مع الذين لم يجرؤوا على المواجهة في أحد، وخيبر، والخندق، وبني قريظة، وفدك.

٢ ـ على أن قبيلة هوازن وإن كانت تشكل جانباً كبيراً من الجيش الذي جاء لحرب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، إلا أن من الواضح: أن هوازن لم تكن هي كل ذلك الجيش ولا نصفه، بل هي أقل من ذلك بكثير، فكيف عرفت أم عمارة أن صاحب الجمل واللواء كان من قبيلة هوازن.

٣ ـ إن قتل صاحب اللواء وسقوط اللواء الذي يراقبه المقاتلون في حركتهم في المعركة يوجب تضعضع الجيش، وإحساسه بالصدمة، وفقدان التوازن..

فلو صحت رواية شيوخ الواقدي عن قتل أم عمارة لحامل لواء المشركين، فالمفروض: أن يظهر أثر ذلك على هوازن، وأن يختل أمرها، وأن تظهر عليها أمارات الهزيمة، ولم نجد أن هذه الرواية دلتنا على شيء من ذلك.

٤ ـ إن أم عمارة حسب ادِّعاء الرواية قد قتلت أحد الأسرى، ولا نرى النبي «صلى الله عليه وآله» قد لامها على ذلك، بل لم يذكر ذلك عنها أحد

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣١ عن الواقدي، والمغازي للواقدي ج٣ ص٩٠٤.

من الرواة أو المؤرخين فيما نعلم.

٥ ـ إن هذا الأمر لو صح، لكان الرواة والمؤرخون قد تناقلوه، وفصلوه، وجعلوه محور حديثهم، ومحط أنظارهم، لأنه أمر فريد، يهم كل أحد أن يطلع عليه، ويقف على تفاصيله، وأن يطبّلوا ويزمّروا لامرأة تَقْتُل قائداً، وتكون سبباً لهزيمة جيش بأكمله في حرب مصيرية كحرب حنين.

٦ ـ وأخيراً.. فإننا نستطيع أن نتيقن أن ما يرمي إليه واضعوا هذه الرواية هو استلاب إحدى فضائل أمير المؤمنين «عليه السلام»، وهي قتله «عليه السلام» لأبي جرول، وانهزام هوازن بسبب ذلك.. ومنح هذا الموقف العظيم لامرأة من سائر الناس، ليكون ذلك آكد في وهن أمر علي «عليه السلام»، وأكثر إيلاماً للعارفين بالحق، والناصرين له.

شعر علي × في حرب حنين:

وذكروا **أيضاً**: أن علياً «عليه السلام» قال في حرب حنين؛ وأنكرها ابن هشام:

ألم تـر أن الله أبـلى رسـولـه — بـلاء عـزيز ذى اقتدار وذي فضل
وقـد أنـزل الـكـفـار دار مـذلـة — فلاقوا هـواناً من أسـار ومـن قتل
فأمسى رسـول الله قـد عـز نصره — وكان أمـين الله أرسـل بالـعـدل
فـجـاء بـفـرقـان مـن الله منـزل — مـبـيـنـة آيـاتـه لـذوي الـعـقـل
فـآمـن أقـوام بـذاك فـأيـقـنـوا — فأمسوا بحمد الله مجتمعي الشمـل
وأنـكـر أقـوام فـزاغـت قلوبهم — فزادهم ذو العرش خبلاً على خبل

وحكم فيهم[1] يوم بدر رسوله ... وقوماً كماة[2] فعلهم أحسن الفعل
بأيديهم بيض خفاف قواطع ... وقد حادثوها بالجلاء وبالصقل
فكم تركوا من ناشئ ذي حمية ... صريعاً ومن ذي نجدة منهم كهل
وتبكي عيون النائحات عليهم ... تجود بإرسال الرشاش وبالوبل
نوائح تبكي عتبة الغي وابنه ... وشيبة تنعاه وتنعى أبا جهل
وذا الذحل تنعى وابن جدعان فيهم ... مسلبة حرى مبينة الثكل
ثوى منهم في بئر بدر عصابة ... ذوو نجدات في الحروب وفي المحل
دعا الغي منهم من دعا فأجابه ... وللغي أسباب مرمقة الوصل
فأضحوا لدى دار الجحيم بمعزل ... عن الشغب والعدوان في أسفل السفل[3]

ونقول:

إن لنا مع تلكم النصوص وقفات عديدة، نجملها ضمن ما يلي من مطالب:

مع الشعر المنسوب لعلي × :

إننا نشير هنا إلى نقطة واحدة، وهي: أن هذا الشعر قد نسب إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، وهو المجاهد الأول والفاتح الأكبر في حنين،

---

(١) وأمكن منهم.

(٢) غضاباً.

(٣) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٤ ص١٢٥ والبحار ج١٩ ص٣٢١ وج٤١ ص٩٤ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص٧٥ وج٢ ص٣٣١ والبداية والنهاية ج٣ ص٤٠٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٥٣٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص٥٢٥.

وبدر، وأحد، والخندق، وخيبر، وقريظة، وفدك، وذات السلاسل.. و..

ولكننا نراه لا يذكر شيئاً عن جهده هو «عليه السلام» وجهاده، ولا عن بطولات سطرها أي من الناس في حنين على الخصوص، بل هو يخص رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالثناء، وينسب كل توفيق ونصر فيها إليه.

ثم هو يذكِّر الناس بحقائق الدين، وتعاليمه القائمة على العدل والحق، ويشير إلى القرآن بعنوان أنه المفرق بين الحق والباطل، والمنسجم مع ما تقضي به العقول، بما فيه من هدايات تستنزل التوفيق الإلهي، وتكون معاندتها من أسباب الخذلان، وزيادة العمى في القلب.

ولكن لو رجعنا إلى شعر العباس بن مرداس، وسائر من تحدث أو قال الشعر في حرب حنين، فإننا نراه يخلط الحق بالباطل، وينسب البطولات، والمواقف العظيمة لهذه القبيلة أو تلك، أو لذلك الشخص وسواه.

والأدهى من ذلك: أن كثيراً من هؤلاء الشعراء لا يكون أميناً على الحقيقة، ولا يلتزم جانب الصدق فيما يقول.. مع أن بعضهم إنما ينفخ في غير ناره، ويكد ويتعب، ويدخل في المتاهات والضلالات والمهالك، ليس لأجل نفسه بل من أجل جاره..

أعاذنا الله من الخذلان ومن وساوس الشيطان..

ظروف حرب حنين:

وقد عرفنا فيما سبق: أن ثمة وجوه شبه عديدة بين حرب حنين، وحرب بدر، وقد ذكرنا عشرة منها، ونحب هنا أن نلقي المزيد من الضوء على احداها، ألا وهي العناصر المكونة لكلا الفريقين، حيث نجد: أن فريق

المشركين يمتاز بما يلي:

١ ـ إن أكثرهم عصبة واحدة من حيث الإنتماء القبلي، لأن أكثرهم من هوازن، أو ممن له بها رابطة قرابة، أو مصلحة، أو سكنى، أو غير ذلك مما يؤثر على حياة الناس في المستقبل، ومصيرهم، لو أرادوا التواكل أو التواني في التصدي لعدوٍ يتخيلون أنه لا يراعي مصالحهم.. أو يرون أنه يعمل على الإضرار بها.

٢ ـ إنهم جميعاً يدينون بدين واحد، ولهم قناعات واحدة، من حيث الإلتزام بالشرك، ورفض التوحيد، وجحود نبوة النبي محمد «صلى الله عليه وآله»، ورفض كل ما يترتب على ذلك من آثار.

٣ ـ إنهم يلتزمون بتنفيذ أوامر قياداتهم القبلية، ولا يفكرون بالانسلاخ عنها، أو التمرد على أوامرها، حقاً كانت أم باطلاً، وسواء أكانت ضد الظالم أم كانت ضد المظلوم.. أي أنهم لا يملكون أي معيار آخر يدعوهم للطاعة أو للخلاف سوى القيادة العشائرية التسلطية، والتي تحكمهم بمفاهيم الظلم والتعدي، وبأحكام الهوى والجاهلية.

٤ ـ إن هؤلاء يعيشون في بلادهم، ويشعرون أن عليهم أن يدافعوا عن وطنهم.

٥ ـ إن هؤلاء على معرفة تامة بمسالك البلاد، ومنعطفاتها، ومواضع مياهها وغياضها، وسهولها وجبالها، وهم أقدر على التحرك فيها..

وفي المقابل نلاحظ: أن ثمة نقاط ضعف بارزة في تركيبة العناصر المكونة للجيش الذي جاء مع النبي «صلى الله عليه وآله»، إذ:

١ ـ إن عناصر ذلك الجيش كانوا مختلفين في انتمائهم العقائدي، ففيهم

المسلم والكافر.. وفيهم المسلم الحقيقي الخالص، والمنافق..

٢ ـ إن إيمان المؤمنين منهم لم يكن في مستوى واحد، إذ فيهم ضعيف الإيمان، وفيهم القوي الصلب في إيمانه.

٣ ـ كما أن هناك اختلافاً في دوافعهم لخوض هذه الحرب، فهناك المجاهد في سبيل الله، المدافع عن دينه ورسوله.

وهناك: الباحث عن الغنائم والإماء، والعبيد.

وفريق ثالث: يريد أن يتلذذ بأخذ الثارات، أو أن يثبت فروسيته أو مقامه من خلال شن الغارات.

٤ ـ ليس لدى هذا الفريق عصبية مؤثرة في مسار الحرب، بل هم من فئات شتى، وقبائل مختلفة، كانت مئات منها على مدى الأيام متناحرة، ومتباغضة، بل كان بين بعضها حروب طويلة، وثارات وإحن وأضغان مستحكمة. ولا يشعر أي منها بأنه معنيّ بحفظ، أو بمعونة غيره من القبائل، إلا ما قل، أو ما شذ منها.

٥ ـ وهناك عامل آخر لا بد أن نضيفه إلى ما تقدم، وهو تدنّي مستوى، أو فقل: انحسار واسع لتأثير القيادات القبلية، حيث لم تعد قادرة على فرض موقف على سائر أفراد القبيلة، وهذا الإنحسار قد جاء لصالح تأثير موقع النبوة، وأوامره فيهم، وفي رؤسائهم على حد سواء..

بل إنهم حتى إذا اختاروا التخلي عن نبيهم، أو فقل: حتى إذا عذروا أنفسهم في التخلي عنه، وأسلموه إلى يد عدوه، فإن رؤساء القبائل لن يستعيدوا ما كان لهم من تأثير في مسار الأمور الذي كان لهم قبل قبولهم الإسلام..

٦ ـ إن هؤلاء يقاتلون عدوهم في بلاد يجهلون مسالكها، ومنعطفاتها، وما فيها من مياه، وأشجار، وأماكن مأهولة، أو براري وقفار..

ومن كان كذلك، فهو يعيش هواجس مختلفة تفقده الإستقرار، وتمنعه الراحة في الليل والنهار.

ثم إن هؤلاء الناس قد أصبحوا بعد حلول الهزيمة بهم أكثر ضعفاً، لأنهم يشعرون بشيء من الضياع في تلك البقاع..

ولابد أن يتضاعف هذا الضعف حين يلاحقهم شبح الخطأ الذي ارتكبوه، ويقضّ مضاجعهم شعورهم بالخزي والعار. خزي الهزيمة، وعار الخيانة.

بالإضافة إلى: ذل وصغار، تزرعه فيهم شماتة الأعداء، وملامة الأصدقاء والأولياء..

الفصل الثالث:

الثّابتون في حنين

الثابتون في حنين:

عن حارثة بن النعمان قال: لقد حزرت من بقي مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين أدبر الناس، فقلت: مائة واحد[١].

وعن ابن عمر قال: لقد رأينا يوم حنين وإن الفئتين لموليتان، وما مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» مائة رجل[٢].

ويقال: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما انكشف الناس عنه يوم حنين، قال لحارثة: «يا حارثة، كم ترى الناس الذين ثبتوا»؟.

قال: فما التفتُّ ورائي تحرجاً، فنظرت عن يميني وعن شمالي، فحزرتهم مائة، فقلت: يا رسول الله!! هم مائة.

فما علمت أنهم مائة حتى كان يوم مررت على النبي «صلى الله عليه وآله»

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٩ عن البيهقي، وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٧٨ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٧٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٢٦ ودلائل النبوة ج٥ ص١٣١ .

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٩ عن ابن مردويه، وسنن الترمذي ج٣ ص١١٧ وتحفة الأحوذي ج٥ ص٢٧٤ وأحكام القرآن لابن العربي ج٢ ص٤١٤ والدر المنثور ج٣ ص٢٢٥.

وهو يناجي جبريل عند باب المسجد، فقال جبريل: «يا محمد، من هذا»؟

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «حارثة بن النعمان».

فقال جبريل: هو أحد المائة الصابرة يوم حنين، لو سلَّم لرددت عليه، فأخبر رسول الله «صلى الله عليه وآله» حارثة، قال: «ما كنت أظنه إلا دحية الكلبي واقفاً معك»[1].

ونقول:

قد حاول بعضهم أن يدَّعي: أن لا منافاة بين روايتي الثمانين والمائة.. على اعتبار: أن الذي تحدث عن المائة ـ وهو ابن عمر ـ نفى أن يكونوا مائة، وأثبت أنهم أقل، وابن مسعود أثبت كونهم ثمانين[2].

ولكن هذا التوجيه إن أفاد في رواية ابن عمر، فإنه لا يفيد في رواية حارثة بن النعمان، فإنها تصرح: بأن الذين ثبتوا كانوا مائة رجل بالتحديد، فراجع الرواية المشار إليها آنفاً.

وإن أمكن إثارة احتمال الخطأ أو المبالغة بالنسبة لحارثة بن النعمان، فلا يمكن إثارة هذا الإحتمال بالنسبة لجبريل، على أن احتمال المبالغة لا مورد له، لأن المقام مقام تحديد، وبيان العدد، وليس مقام مبالغة.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٩ عن الواقدي، والسيرة الحلبية ج٣ ص١٠٩ و (ط دار المعرفة) ص٦٧ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص٤٨٨ وراجع: الإستيعاب ج٣ ص١٢٢٠ وأسد الغابة ج٤ ص١٤٧ .

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٣ وفي هامشه عن: المعجم الكبير للطبراني ج٧ ص٣٥٨ وتهذيب تاريخ مدينة دمشق ج٦ ص٣٥١ وراجع: فتح الباري ج٨ ص٣٠ وتحفة الأحوذي ج٥ ص٢٧٤.

أضف إلى ذلك: أن تحديد ابن مسعود، أو ابن عمر للعدد يبقى موضع ريب، فإن أحداً من الناس في تلك الحرب الهائلة لا يستطيع عد الرجال، وهم في حالة كر وفر، وتردد مستمر، وهو معهم.

إلا إذا فرضنا: أن ابن مسعود، وابن عمر قد اعتزلا القتال، ليتفرجا على المقاتلين، وليعدوا الرجال.. وهذا ما لا يرضاه لهما أحد..

وأما قول الحلبي: «وهذا السياق يدل على أن المائة انتهت إليه «صلى الله عليه وآله» بعد الهزيمة، وهو يؤيد القول بأن الذين ثبتوا معه «صلى الله عليه وآله» لم يبلغوا المائة»[1]. فيدل على ما قلناه وبيناه أكثر من مرة من أن الجميع انهزموا ولم يبق أحد وأن الثمانين أو المائة أو سواهما إنما عادوا إليه بصورة تدريجية، فأخبر هذا عن الثمانين بعد أن عادوا، وأخبر ذاك عن المائة حينما تكاملوا مائة.

النساء في حنين:

اختلفوا في الثابتين في حنين، ونحن نشير هنا إلى ما ذكروه، فنقول:

زعموا: أن الذين ثبتوا كان فيهم نساء ورجال.. فمن النساء أربع نسوة: نسيبة بنت كعب. وأم سليم. وأم سليط. وأم الحارث.

ورووا: عن عبد الله بن أبي بكر: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» رأى أم سليم بنت ملحان، وكانت مع زوجها أبي طلحة، وهي حامل بعبد الله بن أبي طلحة، وقد خشيت أن يغر بها الجمل، فأدنت رأسه منها،

---

(١) راجع: السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٦٧.

وأدخلت يدها في خزامه[١] مع الخطام.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أم سليم»؟

قالت: نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أقتل المنهزمين عنك كما تقتل الذين يقاتلونك، فإنهم لذلك أهل.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أو يكفي الله يا أم سليم»[٢].

وعند محمد بن عمر: «قد كفى الله تعالى عافية الله تعالى أوسع»[٣].

وعن أنس قال: اتخذت أم سليم خنجراً أيام حنين، فكان معها، فلقي أبو طلحة أم سليم ومعها الخنجر، فقال أبو طلحة: ما هذا؟

قالت: إن دنا مني بعض المشركين أبعج به بطنه.

فقال أبو طلحة: أما تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم؟ (الرمصاء. كذا في سيرة ابن هشام).

فضحك رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فقالت: يا رسول الله، أقتل من يعدونهم من الطلقاء، انهزموا عنك.

فقال: «إن الله تعالى قد كفى وأحسن يا أم سليم»[١].

---

(١) الخزام بكسر الخاء المعجمة حلقة تصنع من شعر، وتجعل في أنف البعير، انظر اللسان (خزم).

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣٠ عن ابن إسحاق، وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠٥ والسيرة الحلبية ج٣ ص١١٢ و ١١٤ وراجع: السيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١١٢ والثقات ج٢ ص٧١ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٤٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٨٩٦ والإكتفاء ج٢ ص٣٤٩.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣٠ عن الواقدي.

وعن عمارة بن غزية قال: قالت أم عمارة: لما كان يوم حنين والناس منهزمون في كل وجه، وكنا أربع نسوة، وفي يدي سيف لي صارم، وأم سليم معها خنجر قد حزمته على وسطها، وإنها يومئذ حامل بعبد الله بن أبي طلحة.

وأم سليط.

وأم الحارث[٢].

ونقول:

١ ـ قد وصف أبو طلحة زوجته لرسول الله «صلى الله عليه وآله» بالرميصاء «بل لقد رووا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: دخلت الجنة، فسمعت خشفة، فقلت من هذا؟!

فقالوا: هذه العميصاء بنت ملحان»[٣].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣٠ عن أحمد، وابن أبي شيبة، ومسلم. وقال في هامشه: أخرجه مسلم في الجهاد (١٣٤)، وابن أبي شيبة ج١٤ ص٥٣٢ وأحمد ج٣ ص٢٧٩ و (ط دار صادر) ص١٩٠ و ٢٧٩، والبيهقي في السنن ج٦ ص٣٠٧ والمغازي ج٣ ص٩٠٤ وراجع: السيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١١٢ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٧٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٢٠ والمعجم الكبير ج٢٥ ص١٢٠ وراجع: صحيح مسلم ج٥ ص١٩٦ ومسند أبي داود ص٢٧٧ ومسند أبي يعلى ج٦ ص٢٢٦ وصحيح ابن حبان ج١١ ص١٦٩ وج١٦ ص١٥٣ والطبقات الكبرى ج٨ ص٤٢٥ والجمع بين الصحيحين ج٢ ص٦٣٨ ومسند أبي عوانة ج٤ ص٣٣١ وحسن الأسوة بما ثبت عند الله ورسوله في النسوة ج١ ص٤٢٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣٠ عن الواقدي، وإمتاع الأسماع ج٢ ص١٥.

(٣) السيرة الحلبية ج٣ ص١١٢ و (ط دار المعرفة) ص٧٣ ومسند أحمد ج٣ ص١٢٥ =

ومن الواضح: أنه لا معنى لأن يكتفي النبي «صلى الله عليه وآله» بالضحك من كلام أبي طلحة، لأن «الرميصاء» هي التي يخرج القذى من عينها[1].

ومعنى هذا هو: أنه يصفها بما فيه نقص، ومهانة لها وما لا يرضى الإنسان بأن يشاع ويتداول عنه..

وهو على الأقل من قبيل التنابز بالألقاب، وفي كلتا الحالين لا بد أن يبادر النبي «صلى الله عليه وآله» إلى نهي أبي طلحة عن هذا المنكر، ولا يصح الإكتفاء عن ذلك بالضحك.

٢ ـ لقد كان بعض الرجال يستصحبون معهم زوجاتهم في الأسفار، حتى لو كان سفر حرب. وحضور النساء في الحرب لا يستلزم مشاركتهن فيها.

وعليهن أن يبقين في المواضع التي تخصص لهن، وقد تقترب هذه

= و ٢٣٩ و ٢٦٨ وصحيح مسلم ج٧ ص١٤٥ وفضائل الصحابة للنسائي ص٨٥ وشرح مسلم للنووي ج١٦ ص١١ ومجمع الزوائد ج٩ ص٢٩٩ ومنتخب مسند عبد بن حميد ص٣٩٩ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١٠٣ ومسند أبي يعلى ج٦ ص٢٢٣ وصحيح ابن حبان ج١٦ ص١٦٢ والمعجم الكبير ج٢٥ ص١٣٠ والجامع الصغير ج١ ص٦٤٣ و ٦٤٤ وكنز العمال ج١١ ص٦٥٣ وج١٢ ص١٤٦ و ١٤٨ وفتح القدير ج٣ ص٦٩٠ و ٦٩١ و ٦٩٣ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص٤٣٠ وأسد الغابة ج٥ ص٥١٤ وتهذيب الكمال ج٣٥ ص٣٦٦ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٣٠٩ والإصابة ج٨ ص٢٥٥ وتهذيب التهذيب ج١٢ ص٤١٩.

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١١٢ و (ط دار المعرفة) ص٧٢.

المواضع من موضع تواجد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد تبتعد عنه.

ومن جهة أخرى، فقد ذكرت الروايات: أن بعض نساء النبي «صلى الله عليه وآله» قد كنّ معه في الحرب، فلعل هؤلاء النسوة الأربع قد كن مع نسائه في مكان قريب، وهزم الناس، وبقي النساء في مواضعهن، وربما اقتربن من موضع رسول الله «صلى الله عليه وآله» أكثر من أجل تحصيل قدرٍ أكثر من الأمن بالقرب منه..

ولكن ذلك لا يصحح القول: بأنهن ثبتن في ساحات القتال.. حتى لو حملت بعضهن سيفاً، أو خنجراً، أو أي شيء آخر تخوفاً من أي طارئ.

ولو صح ادعاء ذلك لهن، لوجب أن يعدوا نساء النبي «صلى الله عليه وآله» أيضاً في جملة الثابتين.. ولم نجدهم فعلوا ذلك.

على أن الحكايات المتقدمة لا تدل على مشاركة أولئك النسوة في تلك الحرب.

فإن أم سليم طلبت من رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يقتل المنهزمين عنه كما يقتل أعداءه. وقد أعدت خنجراً حتى إذا دنا منها أحد المشركين تبعج به بطنه. وليس في هذه الروايات أكثر من ذلك.

فما معنى عدهن ممن ثبت يا ترى؟!

الثابتون من الرجال:

قال الحلبي، وغيره: «وردت في عدد من ثبت معه «صلى الله عليه وآله» روايات مختلفة، **فقيل:** مائة. **وقيل:** أقل.

وقيل: ثلاثمائة. **وقيل:** ثمانون.

وقيل: اثنا عشر. **وقيل**: عشرة»[١].

وعدوا من الرجال الذين ثبتوا في حنين أشخاصاً كثيرين..

ونحن نذكر هنا ما قاله الصالحي الشامي، وهو ما يلي:

عن الحكم بن عتيبة، قال: لم يبق معه إلا أربعة، ثلاثة من بني هاشم، ورجل من غيرهم، علي بن أبي طالب، والعباس وهما بين يديه، وأبو سفيان بن الحارث آخذ بالعنان، وابن مسعود من جانبه الأيسر، قال: فليس يقبل أحد إلَّا قتل، والمشركون حوله صرعى[٢].

فمن أهل بيته: عمه العباس، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وأخوه ربيعة ابنا عم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والفضل بن العباس، وعلي بن أبي طالب، وجعفر بن أبي سفيان بن الحارث، وقثم بن العباس.

إلى أن قال: قال في الزهر: وفيه نظر، لأن المؤرخين قاطبة فيما أعلم عدوه فيمن توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو صغير، فكيف شهد

---

(١) راجع: السيرة الحلبية ج٣ ص١٠٨ و (ط دار المعرفة) ص٦٥ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١١٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠٢ وراجع: فتح الباري ج٨ ص٣٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣٠ عن ابن أبي شيبة، وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص١٠٩ و (ط دار المعرفة) ص٦٧ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٠٩ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠٢ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٧٩ والمصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٤١٧ و (ط دار الفكر) ج٨ ص٥٥٣ وفتح الباري ج٨ ص٢٣ والغدير ج٧ ص٢٠٦ وشرح إحقاق الحق ج٨ ص٤٧٤ والمواهب اللدنية ج١ ص١٦٣.

حنيناً!! وعتبة ومعتَّب ابنا أبي لهب، وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب، ونوفل بن الحارث، وعقيل بن أبي طالب، وأسامة بن زيد، وأخوه لأمه أيمن بن أم أيمن، وقتل يومئذٍ.

ومن المهاجرين: أبو بكر، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان.

روى البزار عن أنس: أن أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعلياً ضرب كل منهم يومئذٍ بضعة عشر ضربة. وابن مسعود.

ومن الأنصار: أبو دجانة، وحارثة بن النعمان ـ قد ذكر في ذلك عند محمد بن عمر ـ وسعد بن عبادة، وأبو بشير ـ كما في حديثه عند محمد بن عمر ـ وأسيد بن الحضير.

ومن أهل مكة: شيبة بن عثمان الحجبي كما تقدم.

ومن نساء الأنصار:

١ ـ أم سليم بنت ملحان، أم أنس بن مالك.

٢ ـ أم عمارة نسيبة بنت كعب.

٣ ـ أم الحارث جدة عمارة بن غَزِيَّة

٤ ـ أم سليط بنت عبيد.

قال محمد بن عمر: يقال: إن المائة الصابرة يومئذٍ ثلاثة وثلاثون من المهاجرين، وستة وستون من الأنصار[1].

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٩ و ٣٣٠ وراجع: طبقات ابن سعد ج٢ ص١٤٩ ـ ١٥٢ وراجع: إمتاع الأسماع ج٢ ص١٣ وتفسير السمرقندي ج١ ص٢٧٧.

ونقول:

قد تقدم: أن عد النساء في من ثبت غير دقيق، بل لا يصح..

وأما بالنسبة لمن زعموا: أنهم ثبتوا من الرجال.. فلا نريد أن نحكم على ما تقدم بأنه مكذوب ومختلق من أساسه، بل نحن نقول:

أولاً: لقد عدوا شيبة بن عثمان، الذي جاء لاغتيال رسول الله «صلى الله عليه وآله» في جملة الثابتين..

ثانياً: قد عدوا النساء في جملة من ثبت. مع أن ذلك غير ظاهر، حسبما قررناه فيما سبق.

بل تقدم: أنهم عدوا الأطفال الصغار في جملة الثابتين. مثل قثم بن العباس.

ثالثاً: إن النصوص قد دلت: على أن علياً «عليه السلام» وحده هو الذي ثبت، وقد وردت نصوص كثيرة تضمنت نفي ثبات غيره، واستثنت بعضها بضعة رجال من بني هاشم، كانوا قد أحاطوا برسول الله «صلى الله عليه وآله» لكي لا يصل إليه العدو.

أما من ذكروا أنهم ثبتوا، وأنهم ثمانون رجلاً، أو مائة رجل، فلعلهم كانوا من أوائل العائدين إلى ساحة المعركة، فصار كل عائد يخبر غيره عمن سبقه، معتقداً بأن الذين يراهم لم يهربوا كما هرب.

فهذا يرجع ويرى النبي «صلى الله عليه وآله» وحده، وذاك يرى معه ثلاثة، وآخر يرجع فيرى معه تسعة، وآخر يرجع فيرى معه ثمانين أو مائة، وهكذا..

ويدل على ذلك:

١ ـ ما ورد في حديث عثمان بن شيبة، من أنه بعد نداء العباس صار الناس يرجعون إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلما اجتمع عنده مائة، استقبلوا الناس، فاقتتلوا هم والكفار[1].

٢ ـ قال الشيخ المفيد: «فرجعوا أولاً، فأولاً، حتى تلاحقوا، وكانت لهم الكرة على المشركين»[2].

٣ ـ بل يدل على ذلك أيضاً: حتى تلك النصوص الكثيرة، التي ذكرت كل واحدة منها عدداً، ثم جاء من جمع الأسماء، وضم بعضها على بعض، ورجح وأيّد، وقوّى وشيّد كل واحد منهم، وفق ما ظهر له، أو وفق ما ينسجم مع ميوله وأهوائه..

غير أن البحث العلمي والموضوعي لا يسمح بالجزم بثبات احد سوى علي أمير المؤمنين «عليه السلام»، فإنه هو الوحيد المتسالم على ثباته من بين جميع من ذكروهم، ومن الراجح أيضاً: أن يكون هناك جماعة من بني هاشم قد أحاطوا بالنبي «صلى الله عليه وآله» خوفاً من أن يناله سلاح الكفار[3].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٤٨ وراجع المصادر المتقدمة.

(٢) الإرشاد للمفيد ج١ ص١٤٠ و ١٤١ والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص٨٢ والبحار ج٢١ ص١٥٥ وج٣٨ ص٢٢٠ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٧٩.

(٣) البحار ج٤٩ ص١٩٩ وعيون أخبار الرضا «عليه السلام» ج٢ ص١٩٣ومواقف الشيعة ج١ ص٣٠٣ وحياة الإمام الرضا «عليه السلام» للقرشي ج٢ ص٢٦٤ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ لمحمد الريشهري ج٨ ص٤٣٥.

أما القتال فكان محصوراً بعلي «عليه السلام».

ونستند في ذلك إلى ما يلي من نصوص:

١ ـ قال الشيخ المفيد «رحمه الله»: ولم يبق منهم مع النبي «صلى الله عليه وآله» إلا عشرة أنفس: تسعة من بني هاشم خاصة، وعاشرهم أيمن بن أم أيمن، فقتل أيمن رحمة الله عليه، وثبتت التسعة الهاشميون حتى ثاب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» من كان انهزم.

فرجعوا أولاً فأولاً حتى تلاحقوا، وكانت لهم الكرة على المشركين، وفي ذلك أنزل الله تعالى، وفي إعجاب أبي بكر بالكثرة: ..

{..وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ}(١).

يعني: أمير المؤمنين علياً «عليه السلام».

ومن ثبت معه من بني هاشم، وهم يومئذ ثمانية، أمير المؤمنين «عليه السلام» تاسعهم:

العباس بن عبد المطلب، عن يمين رسول الله «صلى الله عليه وآله».

والفضل بن العباس عن يساره.

وأبو سفيان بن الحارث ممسك بسرجه عند ثفر بغلته.

وأمير المؤمنين «عليه السلام» بين يديه يضرب بالسيف.

ونوفل بن الحارث، وربيعة بن الحارث، وعبد الله بن الزبير بن عبد

---

(١) الآيتان ٢٥ و ٢٦ من سورة التوبة.

المطلب، وعتبة، ومعتب ابنا أبي لهب حوله.

وقد ولت الكافة مدبرين سوى من ذكرناه[١].

وكذلك عدهم ابن قتيبة في المعارف، والثعلبي في الكشف[٢].

وأضافوا إلى هؤلاء: أيمن مولى النبي «صلى الله عليه وآله»[٣].

قال ابن شهرآشوب: «وكان العباس عن يمينه، والفضل عن يساره، وأبو سفيان ممسك بسرجه عند ثفر بغلته، وسائرهم حوله، وعلي «عليه السلام» يضرب بالسيف بين يديه»[٤].

٢ ـ وفي ذلك يقول مالك بن عبادة الغافقي:

لم يواس النبي غير بني هاشم ... عند السيوف يوم حنين
هرب الناس غير تسعة رهط ... فهم يهتفون بالناس: أين
ثم قاموا مع النبي على المو ... ت فآبوا زيناً لنا غير شين

---

(١) الإرشاد للمفيد (ط دار المفيد) ج١ ص١٤٠ و ١٤١، وعنه في مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج٢ ص٣٠ وراجع: البحار ج٣٨ ص٢٢٠ وج٢١ ص١٥٦ والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص٨١ و ٨٢ وشجرة طوبى ج٢ ص٣٠٨ وأعيان الشيعة ج٣ ص٥٢٢ وإعلام الورى ج١ ص٣٨٦، وقريب منه ذكره الطبرسي في مجمع البيان ج٥ ص١٨ و ١٩.

(٢) البحار ج٤١ ص٩٣ و ٩٤ وعن مناقب آل أبي طالب ج١ ص٦٠٤ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٣٣٠.

(٣) البحار ج٤١ ص٩٤ عن مناقب آل أبي طالب ج١ ص٦٠٤ و ٦٠٥ و (ط المكتبة الحيدرية) ص٣٣٠.

(٤) المصدر السابق.

وسوى أيمن الأمين من القوم شهيداً فاعتاض قرة عين[١]

٣ ـ وقال العباس بن عبد المطلب في هذا المقام:

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة وقد فر من قد فر عنه فأقشعوا

وقولي إذا ما الفضل شد بسيفه على القوم أخرى يا بني ليرجعوا

وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه لما ناله في الله لا يتوجع[٢]

٤ ـ وفي احتجاج المأمون على علماء عصره يقول المأمون عن نزول السكينة في حنين: «إن الناس انهزموا يوم حنين، فلم يبق مع النبي «صلى الله

---

(١) الإرشاد للمفيد ج٢ ص١٤١. وراجع: مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج٢ ص٣١ و (ط المكتبة الحيدرية) ج١ ص٣٠٥ وج٢ ص٣٣١ والبحار ج٣٨ ص٢٢٠ وج٢١ ص١٥٦ والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص٨٣ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٨٠ وج٣ ص٥٢٢ وكشف الغمة ج١ ص٢٢١ وبناء المقالة الفاطمية لابن طاووس ص١٦٢.

(٢) الإرشاد للمفيد ص١٤١ و ١٤٢ والمواهب اللدنية ج١ ص١٦٤ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٠ وفي البحار ج٢١ ص١٥٦ وج٣٨ ص٢٢٠ وج٤١ ص٩٤ ومجمع البيان ج٥ ص١٨ و ١٩ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص٣٥ وكشف الغمة ج١ ص٢٢١ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٨٠ وج٣ ص٥٢٢ وتفسير الميزان ج٩ ص٢٣١ والجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٩٨ وتفسير البحر المحيط ج٥ ص٢٦ وروح المعاني ج١٠ ص٧٤ وتفسير الآلوسي ج١٠ ص٧٤ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٤٨ و ٣٤٩ وفي المعارف لابن قتيبة ص١٦٤ ونصب الراية للزيلعي ج٤ ص١٨٠ وأسد الغابة ج١ ص١٦١ والوافي بالوفيات ج١٠ص٢٠: سبعة، بدل: تسعة. وثامننا، بدل: وعاشرنا.

عليه وآله» إلا سبعة من بني هاشم: علي «عليه السلام» يضرب بسيفه، والعباس أخذ بلجام بغلة النبي «صلى الله عليه وآله»، والخمسة محدقون بالنبي «صلى الله عليه وآله»، خوفاً من أن يناله سلاح الكفار، حتى أعطى الله تبارك وتعالى رسوله «عليه السلام» الظفر.

عنى في هذا الموضع[1]: علياً «عليه السلام»، ومن حضر من بني هاشم.

فمن كان أفضل؟ أمَن كان مع النبي «صلى الله عليه وآله»، ونزلت السكينة على النبي «صلى الله عليه وآله» وعليه؟!

أم من كان في الغار مع النبي «صلى الله عليه وآله»، ولم يكن أهلاً لنزولها عليه؟[2].

٥ ـ قال ابن قتيبة: «كان الذين ثبتوا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم حنين، بعد هزيمة الناس: علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب ـ آخذ بحكمة بغلته ـ وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وابنه، والفضل بن العباس بن عبد المطلب، وأيمن بن عبيد ـ وهو ابن أم أيمن مولاة رسول الله «صلى الله عليه وآله» وحاضنته، وقتل يومئذٍ هو وابن أبي سفيان، ولا عقب لابن أبي سفيان ـ وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وأسامة بن زيد بن حارثة..»[3].

فتجد أنه لم يذكر أبا بكر وعمر في جملة من ثبت.

---

(١) أي في قوله تعالى: **{ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ}**.

(٢) البحار ج٤٩ ص١٩٩ وعيون أخبار الرضا ج٢ ص١٩٣.

(٣) المعارف لابن قتيبة ص١٦٤. وعنه في البحار ج٣٨ ص٢٢٠ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٣٣٠ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٧٩.

٦ ـ وكانت نسيبة بنت كعب المازنية تحثو في وجوه المنهزمين التراب، وتقول: أين تفرون عن الله، وعن رسوله؟

ومر بها عمر، فقالت له: ويلك ما هذا الذي صنعت؟!

فقال لها: هذا أمر الله[1].

وهذا يدل على عدم صحة قولهم: إنه كان في جملة من ثبت مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حنين. حتى ادَّعوا: أنه كان آخذاً بلجام بغلته «صلى الله عليه وآله»..

٧ـ عن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب أنه كان يحدث الناس عن يوم حنين، قال: «فر الناس جميعاً، وأعروا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلم يبقَ معه إلا سبعة نفر، من بني عبد المطلب: العباس، وابنه الفضل، وعلي، وأخوه عقيل، وأبو سفيان، وربيعة، ونوفل بنو الحارث بن عبد المطلب، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» مصلت سيفه في المجتلد، وهو على بغلته الدلدل، وهو يقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب».

إلى أن قال: «التفت العباس يومئذٍ وقد أقشع الناس عن بكرة أبيهم، فلم ير علياً «عليه السلام» في من ثبت، فقال: شوهة بوهة، أفي مثل هذا الحال يرغب ابن أبي طالب بنفسه عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو

---

(١) تفسير القمي ج١ ص٢٨٧ والبحار ج٢١ ص١٥٠ وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص١٠٦ وشجرة طوبى ج٢ ص٣٠٨ والتفسير الصافي ج٢ ص٣٣١ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص٢٠٠.

صاحب ما هو صاحبه؟ يعني المواطن المشهورة له.

فقلت: نقِّص قولك لابن أخيك يا أبه.

قال: ما ذاك يا فضل؟

قلت: أما تراه في الرعيل الأول؟ أما تراه في الرهج؟

قال: أشعره لي يا بني.

قلت: ذو كذا، (ذو كذا)، ذو البردة.

قال: فما تلك البرقة؟

قلت: سيفه يزيّل به بين الأقران.

قال: برّ، ابن بر، فداه عم وخال.

قال: فضرب علي يومئذٍ أربعين مبارزاً كلهم يقدّه حتى أنفه وذكره، قال: وكانت ضرباته مبتكرة»[1].

٨ ـ وقال اليعقوبي: «فانهزم المسلمون عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى بقي في عشرة من بني هاشم. وقيل: تسعة. وهم: علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وأبو سفيان بن الحارث، وعتبة، ومعتب ابنا أبي لهب، والفضل بن العباس، وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب. وقيل: أيمن ابن أم أيمن»[2].

---

(١) البحار ج٢١ ص١٧٨ و ١٧٩ والأمالي للشيخ الطوسي ص٥٧٥ والأمالي لابن الشيخ الطوسي ص٥٨٥ وشجرة طوبى ج٢ ص٣٢٨ وإمتاع الأسماع ج٢ ص١٤ و ١٥ وشح إحقاق الحق ج٨ ص٤٧٣.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٦٢ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ لمحمد الريشهري ج١ ص٢٥٤.

٩ ـ «..وفي رواية: لما فرّ الناس يوم حنين عن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يبق معه إلا أربعة، ثلاثة من بني هاشم، ورجل من غيرهم: علي بن أبي طالب، والعباس ـ وهما بين يديه ـ وأبو سفيان بن الحارث آخذ بالعنان، وابن مسعود من جانبه الأيسر. ولا يقبل أحد من المشركين جهته إلا قتل»[1].

١٠ ـ وقال الطبرسي: «الذين ثبتوا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» علي، والعباس، في نفر من بني هاشم. عن الضحاك بن مزاحم»[2].

١١ ـ عن البراء بن عازب قال: «ولم يبق مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلا العباس بن عبد المطلب، وأبو سفيان بن الحارث»[3].

١٢ ـ ويقول البعض: «وانهزم المسلمون، فانهزمت معهم، فإذا بعمر بن الخطاب، فقلت له: ما شأن الناس؟!

قال: أمر الله.

ثم تراجع الناس إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»[4].

---

(١) راجع المصادر المتقدمة.

(٢) مجمع البيان ج٥ ص١٧ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص٣٢ وراجع: البحار ج٢١ ص١٤٧ .

(٣) التفسير الكبير للرازي ج١٦ ص٢٢ والكشاف ج٢ ص٢٥٩ والمواهب اللدنية ج١ ص١٦٣ عن البخاري في الصحيح، وحاشية الصاوي على تفسير الجلالين ج٣ ص٣٩.

(٤) السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٢٤ وراجع ص٦٢٣ عن البخاري وبقية الجماعة إلا النسائي. والمغازي للواقدي ج٣ ص٩٠٨ وصحيح البخاري (ط دار ابن كثير) ج٤ ص١٥٧٠ و (ط دار الفكر) ج٥ ص١٠١ وعمدة القاري ج١٧=

١٣ ـ قال المجلسي: «إن الإمام الباقر «عليه السلام» قد احتج على الحروري: بأنهم «كانوا تسعة فقط: علي، وأبو دجانة، وأيمن؛ فبان أن أبا بكر لم يكن من المؤمنين»[1].

١٤ ـ وعند الطبرسي: فما راعنا إلا كتائب الرجال بأيديها السيوف والعمد، والقنا، فشدوا علينا شدة رجل واحد، فانهزم الناس راجعين لا يلوي أحد على أحد، وأخذ رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذات اليمين، وأحدق ببغلته تسعة من بني عبد المطلب[2].

١٥ ـ وعند بعضهم: أن الذين ثبتوا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» كانوا اثني عشر رجلاً[3].

= ص٣٠٠ و ٣٠٢ والسيرة الحلبية ج٣ ص٦٥ وفتح الباري ج٨ ص٢٩ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٢٩ وراجع: نيل الأوطار ج٨ ص٩٢ وعون المعبود ج٧ ص٢٧٥ والمنتخب من الصحاح الستة لمحمد حياة الأنصاري ص١١١ وشرح الزرقاني على الموطأ ج٣ ص٢٨.

(١) البحار ج٢٧ ص٣٢٣.

(٢) إعلام الورى ص١٢١ و (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص٢٣٠ والبحار ج٢١ ص١٦٦ وقصص الأنبياء للراوندي ص٣٤٧ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج١ ص١٨١ وشجرة طوبى ج٢ ص٣٠٩ والدر النظيم لابن حاتم العاملي ص١٨٢.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٤٨ عن النووي، وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص١٠٨ و (ط دار المعرفة) ص٦٥ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١١٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠٢ وعمدة القاري ج١٤ ص١٥٧ وفتح الباري (ط دار المعرفة ـ الطبعة الثانية) ج٨ ص٢٣ وتحقيق محب الدين الخطيب ج٨ ص٣٠.

١٦ ـ عن أنس بن مالك، قال: ولى المسلمون مدبرين، وبقي رسول الله «صلى الله عليه وآله» وحده[1].

١٧ ـ عن عكرمة: لما كان يوم حنين، ولى المسلمون، وثبت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: أنا محمد رسول الله ثلاث مرات، وإلى جنبه عمه العباس[2].

هل ثبت عمر في حنين؟!:

وقد زعموا: أن عمر بن الخطاب قد ثبت يوم حنين، وقد تقدم ذكره في كلمات الصالحي الشامي أيضاً.

ويدل على ذلك: ما روي عن شيبة بن عثمان الحجبي، قال: خرجت مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم حنين، والله ما خرجت إسلاماً، ولكن خرجت أنفاً أن تظهر هوازن على قريش، فإني لواقف مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» إذ قلت: يا رسول الله، إني لأرى خيلاً بلقاً.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٤٨ و ٢٢٥ عن أحمد، وابن أبي شيبة، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي. وفي هامشه عن: ابن أبي شيبة ج١٤ ص٥٣٠ و ٥٣١ وعن أحمد ج٣ ص١٩٠ و ٢٧٩ وج٥ ص٢٨٦ وابن سعد ج٢ ق١ ص١١٣ وعن دلائل النبوة للبيهقي ج٥ ص١٤١ والسنن الكبرى ج٦ ص٢٠٦ وعن الدولابي في الكنز ج١ ص٤٢ وراجع: الدر المنثور ج٣ ص٢٢٤ والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٥٥٥ وكنز العمال ج١٠ ص٥٥٢ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٧٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٢٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢٦ وفي هامشه عن: الدر المنثور ج٣ ص٢٢٥.

قال «صلى الله عليه وآله»: «يا شيبة، إنه لا يراها إلا كافر»، فضرب بيده في صدري، وقال: «اللهم اهدِ شيبة». فعل ذلك ثلاث مرات، فوالله ما رفع رسول الله «صلى الله عليه وآله» الثالثة حتى ما كان أحد من خلق الله تعالى أحب إليّ منه.

فالتقى المسلمون، فقتل من قتل، ثم أقبل رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعمر آخذ باللجام، والعباس آخذ بالثفر، فنادى العباس: أين المهاجرون، أين أصحاب سورة البقرة؟! ـ بصوت عال ـ هذا رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فأقبل المسلمون، والنبي «صلى الله عليه وآله» يقول:

«أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب».

فجالدوهم بالسيوف، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: الآن حمي الوطيس»[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج١٠ ص٦٦ وج٥ ص٣٢٨ عن ابن مردويه، والبيهقي، وابن عساكر، وراجع: إعلام الورى ص١٢٢ والبحار ج٢١ ص١٦٧ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١١١ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٠٩ و ١١٤ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٦٢ و ٦٣ وراجع: مجمع الزوائد ٦ ص١٨٣ والمعجم الكبير للطبراني ج٧ ص٢٩٨ وكنز العمال ج١٠ ص٥٤٥ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٥٩ والإكليل للكرباسي ص٥٤٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٣ ص٢٥٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٨٣ و ٥٨٤ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٨١ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص١٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٣٢ وأخبار مكة للفاكهي ج٥ ص٩٤ ومعجم الصحابة ج١ ص٣٣٥ ودلائل النبوة للإصبهاني ج١ ص٤٩ و ٢٢٨ ودلائل النبوة للبيهقي ج٥ ص١٤٦ والخصائص الكبرى ج١ ص٤٤٧.

ونقول:

إن في هذه الرواية مواضع للتأمل، نذكر منها:

١ ـ أن جميع النصوص التي ذكرناها حول ثبات علي «عليه السلام» وبضعة نفر من بني هاشم احتوشوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» لمنع وصول الأعداء إليه، يدل على عدم صحة ما زعموه من أن عمر بن الخطاب كان مع من ثبت في مكة.

٢ ـ قد تقدم: أن أم الحارث الأنصارية وأحد الصحابة الآخرين سأل عمر بن الخطاب عن سبب هزيمته، حين مر عليه، فقال: أمر الله[1].

٢ ـ إن حديث نسيبة بنت كعب المازنية المتقدم برقم (٦) صريح في: أن عمر كان فاراً مع الفارين، فراجع.

٣ ـ أضف إلى ذلك: أن عثمان الحجبي الذي يعترف أنفاً بأنه لم يخرج إلى حنين لأجل الدفاع عن الدين وأهله، وإنما بدافع الحميّة الجاهلية.. لا يمكن أن يكون صادقاً في أمر يكذبه فيه سائر الصحابة، وفيهم الأبرار والأخيار، بل يكذبه فيه حتى من لا يحب أن تثبت فضيلة لعلي «عليه السلام»، ولا أن تنسب سقطة لأمثال عمر وأبي بكر، وسائر من يؤيدهما..

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٦ عن البخاري، ومسلم، والبيهقي، وأشار في هامشه إلى: مسلم ج٣ ص١٤٠٢ (٨١)، والبيهقي في الدلائل ج٥ ص١٤٠ و ١٤١ وإلى الدر المنثور ج٣ ص٢٢١. وإعلام الورى ص١٢٢ والبحار ج٢١ ص١٥٠ و ١٦٧ والمغازي للواقدي ج٣ ص٩٠٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٢٤ وراجع ص٦٢٣ عن البخاري، وبقية الجماعة، وتفسير القمي ج١ ص٢٨٧ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٠٨ ومصادر أخرى تقدمت.

٤ ـ إن نفس الرواية قد أكدت كفر راويها، فهو بنفسه قد أثبت الكفر لنفسه، على لسان سيد الأنبياء والمرسلين «صلى الله عليه وآله». حيث إنه ذكر أنه رأى خيلاً بلقاً (يقصد الملائكة الذين أنزلهم الله لنصرة نبيه)، فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: «يا شيبة، إنه لا يراها إلا كافر».

وقد خاطب الله تعالى المسلمين بقوله: **{وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا}**(١).

وأما ما ادَّعاه: من أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد ضرب بيده في صدره، فصار أحب الناس إليه، فهو لا يعدو كونه ممن يريد أن يجر النار إلى قرصه، ليدفع التهمة عن نفسه.

وفي جميع الأحوال نقول:

إن من يعترف على نفسه بالكفر، وينقل لنا شهادة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» بذلك عليه، كيف يمكن أن يكون مأموناً فيما ينقله، ولاسيما إذا خالفه فيه سائر الصحابة الذين حضروا تلك المشاهد؟!

٥ ـ إن الراوي الذي حاول أن يخلط الأمور والقضايا، ويحشر اسم عمر في الرواية ويجعله آخذاً بلجام البغلة، ويجعل العباس ممسكاً بثفرها. لم يوضح لنا عن أي ساعات القتال يتحدث.. كما أنه لم يذكر شيئاً عن الهزيمة التي مني بها المسلمون.. وهذا سياق غريب، لا يتردد أحد يقف عليه، ويقارن بينه وبين سواه، في الحكم بأنه مسوق للتضليل والتعمية، وتضييع الحقيقة على طالبها.

٦ ـ وأخيراً.. ما هذا التحول الذي حصل في قلب شيبة؟! وكيف

---

(١) الآية ٢٦ من سورة التوبة.

يمكن تصديقه، فإننا لا ننكر أن يكون لرسول الله «صلى الله عليه وآله» كرامات ومعجزات، ولكن لا يمكن قبول هذا الأمر إذا كان يتعلق بتعطيل الإختيار، وفرض الإيمان على الناس، من خلال التصرف التكويني، والقهر الإلهي، من دون أن يكون لمن يُفْعَلُ به ذلك أية رغبة في الحصول على هذا الأمر، بل تكون رغبة بالحصول على المزيد من البعد، ويكون طريقه الذي ارتضاه لنفسه هو طريق الجحود واللجاج والعناد.

نعم، إن هذا الأمر مرفوض جملة وتفصيلاً، فإن الله تعالى، يريد للإنسان نفسه ان يختار الإيمان، ويندفع إليه برضا منه، وقد أخذ على نفسه أن يمد هذا الطالب والمندفع بالتوفيقات والألطاف والعنايات على قاعدة: **{وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ}**(١) و **{فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}**(٢) وقاعدة: **{أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ}**(٣) و **{فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ}**(٤).

---

(١) الآية ١٧ من سورة محمد.

(٢) الآية ٥ من سورة الصف.

(٣) الآية ٩٩ من سورة يونس.

(٤) الآية ٢٩ من سورة الكهف.

الفصل الرابع:

نهايات حرب حنين

سليم في شعر ابن مرداس:

ولا بأس بأن نشير هنا إلى أنهم ينسبون إلى عباس بن مرداس قوله:

فـإن سراة الحي إن كنـت سـائـلاً	سليـم وفيهـم منـهـم مـن تسـلـما
وجند من الأنصـار لا يخـذلـونـه	أطـاعـوا فـما يـعـصونـه ما تكلما
فإن تك قد أمرت في القوم خالداً	وقــدمــتــه فـإنـه قـد تـقــدمـا
بـجـنـد هـداه الله أنـت أمـــيره	تـصـيـب به في الحق من كان أظلما
حـلـفـت يـمـيـنـاً بـرة لمحمد	فـأكـمـلتـهـا ألفاً من الخيل ملجما
وقـال نـبـي المؤمـنـين تقدمـوا	وحـب إلـيـنـا أن تـكـون المقـدما
وبـتـنـا بنهـي المستدير ولم تكن	بـنـا الخـوف إلا رغـبــة وتحـزمـا
أطعناك حتى أسلم الناس كلهم	وحتى صبحنا الجمع أهـل يلملـما
يضل الحصان الأبلق الورد وسطه	ولا يـطـمـئـن الشيخ حتى يسوما
لـدن غـدوة حتـى تركنـا عشية	حـنـيـنـاً وقـد سـالت دوامعه دما
سمونا لهم ورد القطازفة ضحى	وكـل تـراه عـن أخـيـه قد احجما
إذا شـئـت من كل رأيت طمرة	وفـارسهـا يهـوي ورمحـا محـطـما

وقـد أحرزت منا هوازن سربها وحب إليها أن نخيـب ونحـرما[١]

ونقول:

إن من يراجع كتب السيرة والتاريخ سيرى أمامه العديد من القصائد، والمقطوعات الشعرية، المتضمنة للإفتخار بدور بني سليم في حرب حنين، وأكثرها منسوب إلى أحد رؤساء هذه القبيلة، وهو العباس بن مرداس السلمي..

هذا بالإضافة إلى الثناء على خالد، وتحسين تأميره على المقدمة في حرب حنين..

غير أنه قد تقدم منا في بعض الفصول: أن خالداً لم يكن ناجحاً في قيادته، وخصوصاً في حرب حنين، وكان في المنهزمين الأوائل في ساحة القتال[٢].

وهكذا الحال بالنسبة لقبيلة سليم ـ التي كانت تفخر بأن ألفاً منها قد حضروا في حنين[٣] ـ فإنها إما تبعت أهل مكة في الهزيمة، وقد كانوا معاً في

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٤٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٦ ص٤٢٤ و ٤٢٥ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٩٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٩١٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٥١ .

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٧ عن الواقدي، وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠١ وراجع: تفسير البغوي ج٢ ص٢٧٨

(٣) راجع: تفسير القمي ج١ ص٢٨٧ والبحار ج٢١ ص١٤٩ عنه، وشجرة طوبى ج٢ ص٣٠٧ والتفسير الأصفى ج١ ص٤٥٩ وتفسير مجمع البيان ج٥ ص٣٤ والتفسير الصافي ج٢ ص٣٣١ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص١٩٩ وتفسير الميزان ج٩ ص٢٣١.

المقدمة. وإما أنها كانت هي المبادرة للفرار، وتبعها الناس في ذلك لا يلوون على شيء[١]. وبقي علي أمير المؤمنين «عليه السلام» وحيداً في ساحة القتال، بالإضافة إلى نفر من بني هاشم احتوشوا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لكي يمنعوا المشركين من الوصول إليه، وإلحاق الأذى به..

من أجل ذلك كله نقول:

إن الأشعار المنسوبة للعباس بن مرداس إنما تهدف إلى تزوير الحقيقة، وتبييض صفحة بني سليم، وخالد، ولو عن طريق إشاعة الأباطيل والأكاذيب. ولا شيء أكثر من هذا.. وبطلان هذه الإدعاءات كالنار على المنار، وكالشمس في رابعة النهار.. وقد خاب من افترى.

النبي ' يدافع عن ذراري المشركين:

ولا ندري كيف يمكن تفسير ما ورد في بعض الروايات المتقدمة: من أن المسلمين حنقوا على المشركين، فقتلوهم حتى أسرع القتل في ذراري المشركين، حتى اضطر رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى النداء:

«ألا لا تقتل الذرية، ألا لا تقتل الذرية» ثلاثاً[٢].

---

(١) راجع على سبيل المثال: البحار ج٢١ ص١٥٠ وتفسير القمي ج١ ص٢٨٧ وغير ذلك مما تقدم.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣١ عن الواقدي، والمغازي ج٣ ص٩٠٥ والآحاد والمثاني ج٢ ص٣٧٥ وراجع: المعجم الكبير ج١ ص٢٨٤ وإمتاع الأسماع ج٢ ص١٥ و ١٦ وجزء أبي الطاهر ج١ ص٢٦ .

غير أننا نكتفي هنا بالإلماح إلى ما يلي:

أولاً: إن المشركين كانوا يعدون بالألوف، إن لم نقل بعشرات الألوف.. ومجموع من قتل منهم كان حوالي مائة، كما تقدم، وسيأتي.. وأكثر قتلى المشركين قتلوا على يد علي «عليه السلام»، فإنه «عليه السلام» بعد قتل أبي جرول قتل أربعين رجلاً، ولا ندري كم قتل قبل ذلك.. وقد كان قتل أبي جرول ـ حسبما تقدم ـ هو السبب في كسر شوكة المشركين، وفي هزيمتهم.

ولو أردنا تصديق ما زعموه: من أن أبا طلحة قتل عشرين رجلاً من المشركين، وحصل على سلبهم، وأضفنا إلى ذلك الأسير الذي قتله عمر بن الخطاب، والأسير الذي قتلته أم عمارة والرجل الذي زعموا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قتله.. وأضفنا إلى ذلك المرأة التي قتلها خالد، والذراري الذين قتلوا من دون مبرر، فلا يبقى سوى قلة قليلة جداً لا تستحق هذه المبالغات، التي يتخيل سامعها أن المسلمين قد حصدوا مئات من المشركين في فورة حنقهم..

وفي جميع الأحوال يبقى السؤال قائماً: أين أمعن المسلمون في قتل رجال المشركين؟! وما هي حصيلة هذا الإمعان سوى ما ذكرناه؟!.

ثانياً: إذا كان المسلمون عشرة آلاف، أو اثنا عشر ألفاً، ويقابلهم ضعف أو أضعاف عددهم من المشركين، قيل: أربعة وعشرون، بل ثلاثون ألفاً، فلا بد أن نتوقع سقوط عدد من القتلى يتناسب مع عدد الجيشين، ولو بأن يقتل واحد من كل عشرة من المشركين، وواحد من كل مائة من المسلمين..

وهذا معناه: أن تكون الحصيلة النهائية تعد بالمئات بل بالألوف. ولاسيما مع الحنق والهيجان المنسوب للمسلمين، ومع الإسراع في القتل المنسوب إليهم في المشركين، حتى تجاوز الرجال إلى الذرية..

ثالثاً: إن المسلمين قد حاربوا أعداءهم طيلة ثماني سنوات في عشرات الحروب، فما معنى أن يجهل أسيد بن حضير، وهو الرجل الذي يعظمونه وينسبون إليه المقامات والفضائل، وهو ينافس على زعامة قبائل الأوس كلها في المدينة. كيف وما معنى أن يجهل أنه لا يحق لأحد أن يقتل ذرية، ولا عسيفاً، ولا امرأة، ولا شيخاً؟!

وهذه هي وصية رسول الله «صلى الله عليه وآله» لكل بعوثه، وفيها يقول: «لا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا صبياً، ولا امرأة»[1].

---

(١) تذكرة الفقهاء (ط ج) ج٩ ص٦٣ و ٦٥ وتذكرة الفقهاء (ط ق) ج١ ص٤١٢ ومنتهى المطلب (ط ق) ج٢ ص٩٠٨ و ٩١١ و ٩١٢ والتحفة السنية (مخطوط) ص١٩٩ ورياض المسائل ج٧ ص٥٠٢ و ٥٠٧ وجواهر الكلام ج٢١ ص٦٦ و ٧٣ والمغني لابن قدامه ج١٠ ص٥٤٢ والشرح الكبير لابن قدامه ج١٠ ص٣٩٩ والمحلى لابن حزم ج٧ ص٢٩٧ وبداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد الحفيد ج١ ص٣٠٨ ونيل الأوطار ج٨ ص٧٢ و ٧٣ وفقه السنة ج٢ ص٦٤١ والمحاسن للبرقي ج٢ ص٣٥٥ والكافي ج٥ ص٢٧ و ٣٠ وتهذيب الأحكام ج٦ ص١٣٨ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٥ ص٥٨ و (ط دار الإسلامية) ج١١ ص٤٣ والبحار ج١٩ ص١٧٧ وج٩٧ ص٢٥ وجامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص١١٧ و ١٤٨ ومستدرك سفينة البحار ج٥ ص٣٢ ومستدرك سفينة البحار ج١٠ ص٣٤٥ وميزان الحكمة ج١ ص٥٦٥ و ٥٦٦ وسنن أبي داود ج١ ص٥٨٨ وعمدة القاري ج١٤ ص٢٦١ وعون المعبود =

بل إنه «صلى الله عليه وآله» قد أرسل إلى خالد يقول له: «لا تقتل ذرية ولا عسيفاً»[1]. وهم وإن لم يصرحوا باسم الغزوة التي أرسل إليه فيها هذا الأمر، لكنها إما حنين، وإما الفتح بلا شك، لأن الرواية صرحت: بأنه قتلها بعد ما جرى على المقدمة التي كانت بقيادته ما جرى.

ومن المعلوم: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يجعله على مقدمته بعد حنين.

= ج٧ ص١٩٦ و ٢٣٧ والمصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٦٥٤ ومعرفة السنن والآثار ج٧ ص٣١ والإستذكار لابن عبد البر ج٥ ص٣٢ و ٣٣ والتمهيد لابن عبد البر ج٢٤ ص٢٣٣ ونصب الراية للزيلعي ج٤ ص٢٣٥ والدراية في تخريج أحاديث الهداية لابن حجر ج٢ ص١١٦ وكنز العمال ج٤ ص٣٨٢ وفيض القدير ج٢ ص٧٦ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص١٨٨ والدر المنثور ج١ ص٢٠٥ وتهذيب الكمال للمزي ج٨ ص١٥١ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٧ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٣٥.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣٥ عن أحمد، وأبي داود، وفي هامشه عن أحمد ج٣ ص٤٨٨ و (ط دار صادر) ج٤ ص١٧٨ وعن أبي داود في الجهاد ج٢ ص٥٠ وعن المعجم الكبير للطبراني ج٥ ص٧٠ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج٤ ص١١ ومعاني الآثار ج٣ ص٢٢٢ وسنن ابن ماجة (٤٢ ٢٨) ومستدرك الحاكم ج٢ ص١٢٢ وراجع: سبل السلام ج٤ ص٤٩ وفتح الباري ج٦ ص١٠٣ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٢٠١ وج٦ ص١٣٢ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١٨٧ وصحيح ابن حبان ج١١ ص١١٢ والتمهيد لابن عبد البر ج١٦ ص١٤١ وكنز العمال ج٤ ص٤٣٣ و ٤٨٢ ولسان الميزان ج٤ ص٢٠٢ والنهاية في غريب الحديث ج٢ ص١٥٧ ولسان العرب ج٤ ص٣٠٤ وج١٤ ص٢٨٦ وتاج العروس ج٦ ص٤٣٦.

فما معنى أن يسأل أسيد بن حضير هذا السؤال إلا إذا كان يرى أن في أوامر النبي «صلى الله عليه وآله»، ما يكون خطأً وغير معقول؟!

ولنترك أسيد بن حضير، لنسأل عن غيره من المسلمين الحانقين الذين فتكوا بالذرية، فنسأل أيضاً: لماذا عصوا أوامر رسول الله «صلى الله عليه وآله» وتوجيهاته لهم، وهي لم تزل تتلى على مسامعهم، عند إرسال كل سرية أو بعث؟!

رابعاً: إن الإسراع في قتل الذرية معناه: أنهم قد انتقلوا من ساحة المعركة، إلى موضع وجودها، إذ إن الذرية لا تكون في ساحة القتال، بل تجعل مع النساء بعيداً عن موضع الخطر، لكي لا ينالها مكروه في حالات الكر والفر..

وهذا يشير إلى أنهم إنما فعلوا بالذرية ذلك في حال لم تكن هوازن قادرة على التفكير بهم، والدفع عنهم. وليس ذلك إلا حال فرارها من سيف علي «عليه السلام»، ومن جند الله تعالى، فشغلها ذلك عن التفكير بأي شيء آخر، فاغتنم المسلمون الفارّون الفرصة للفتك بذرية المشركين في نفس هذه اللحظات..

وهذه رذيلة، وليست فضيلة، وهي تدل على منتهى العجز والخوار، وليست دليل بسالة وشجاعة.

خامساً: إن ما نسبوه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» من أنه قال لأسيد بن حضير: «أليس خياركم أولاد المشركين»، يبقى هو الآخر موضع ريب وشك.

ولعل الصحيح، هو: أنه قال له: أليس تقولون (أو أليس تزعمون) أن

خياركم الخ..

أو لا بد من حمل كلامه على أنه أجراه وفق ما يعتقده ابن حضير، ومن تابعه حيث يوهمون أنفسهم بأنهم خيار الناس، فهو سؤال تقريري أجراه على ظاهر الحال منه..

وإلا، فالحقيقة هي: أن خيار الناس هم أولاد الموحدين وهم النبي «صلى الله عليه وآله» وأهل بيته الطاهرون.. ثم يأتي الناس بعدهم على مراتبهم.

وأخيراً نقول:

أولاً: قد اتضح: أن ظواهر الأمور تعطي: بأن بعض الناس، العاجزين، وغير الملتزمين بأوامر النبي «صلى الله عليه وآله» وتوجيهاته، قد بادروا إلى قتل الذرية، فنهاهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

ويدل على ذلك: نفس قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ما بال أقوام بلغ بهم القتل حتى بلغ الذرية»؟!..

ثانياً: إن نفس كلمات النبي «صلى الله عليه وآله» أيضاً تشير إلى أن ما يفعله هؤلاء في الذرية كان بدافع الحقد وشهوة القتل، ولذلك قال «صلى الله عليه وآله» لهم: «بلغ بهم القتل حتى بلغ الذرية..» أي إن حب وشهوة القتل نفسه قد ساقهم إلى هذا الحد غير المعقول ولا المقبول..

وهذا في حد نفسه رذيلة لا بد من التنزه عنها، بل هو مرض لا بد من علاجه، وتخليص النفوس منه..

الوفاء بالنذر.. والعصمة:

وأما الحديث عن نذر قتل ذلك الرجل الذي تاب إلى الله، وعدم قبول

النبي «صلى الله عليه وآله» البيعة منه حتى يفي ذلك الناذر بنذره، فهو غير مقبول، بل غير معقول..

أولاً: لأن ذلك الرجل إذا كان قد أقلع عما كان عليه، وتاب إلى الله، فكيف يسمح النبي «صلى الله عليه وآله» بقتله، وهل يحق له أن يفرط فيه بعد توبته.. أولم يصرح القرآن بأن الله تعالى **{هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ}**(١)، وقال تعالى: **{وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ}**(٢).

ثانياً: هل يصح الإمساك عن مبايعة رجل جاء تائباً إلى الله تعالى، واخذه بما سلف منه؟!

ثالثاً: هل يصح نذر ذلك الرجل في أمر كهذا؟!. وهل يجب عليه أن يفي به، بعد أن كان أمر الأسرى لا يعود إليه، بل هو بيد رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

والمفروض: أن ذلك قد نذر قتله بعد أسره لا قبله. وليس لأحد أن ينذر في حق الأسرى، أي شيء من دون إذنه «صلى الله عليه وآله» بعد أن أصبحوا في عهدة النبي، وصار أمرهم إليه «صلى الله عليه وآله».

وهل هذا إلا مثل أن ينذر أحد أن يتصدق بمال غيره، أو أن يعتق عبد جاره، أو أن يطلق زوجة أخيه؟!. وما إلى ذلك..

اجزروهم جزراً:

وزعموا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أمر المسلمين بقتل من قدروا

---

(١) الآية ٢٥ من سورة الشورى.

(٢) الآية ٨٢ من سورة طه.

عليه من المشركين، وأنه قال لهم: اجزروهم جزراً، وأومأ بيده إلى الحلق[١].

وهو كلام مكذوب على رسول الله «صلى الله عليه وآله» بلا ريب، فإن المطلوب إذا كان ذلك، فلماذا لم يقتلهم حين قدر عليهم، وأسرهم؟!

يضاف إلى ذلك: أنه «صلى الله عليه وآله» إنما يريد بحربه لهم دفع شرهم، وإبطال كيدهم، وإيقافهم عند حدهم، ثم هدايتهم إلى الحق. ولا يريد أن يتشفى منهم، لأنه لم يكن يحقد عليهم؛ بل كانت نفسه «صلى الله عليه وآله» تذهب حسرات على الضالين والمشركين، وقد خاطبه الله تعالى بقوله: **{فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ}**[٢]، وقوله: **{فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً}**[٣]، وكان «صلى الله عليه وآله» يقول: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»[٤]. حتى وهم يقاتلونه،

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣٢ عن ابن إسحاق، والبزار، وفي هامشه عن: مجمع الزوائد ج٦ ص١٨٢.

(٢) الآية ٨ من سورة فاطر.

(٣) الآية ٦ من سورة الكهف.

(٤) البحار ج١١ ص٢٩٨ وج٢٠ ص٢١ و ٩٦ و ١١٧ وج٢١ ص١١٩ وج٣٥ ص١٧٧ وشجرة طوبى ج٢ ص٢٠٤ وسنن النبي «صلى الله عليه وآله» للطباطبائي ص٤١٣ والخرائج والجرائح ج١ ص١٦٤ والتحفة السنية (مخطوط) ص٥٢ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٦٦ واثنا عشر رسالة للمحقق الداماد ج٨ ص٢٦ وتأويل مختلف الحديث ص١٥٠ وتفسير مجمع البيان ج٤ ص٢٧٩ وتفسير الميزان ج٦ ص٦٠ وجامع البيان ج٢٢ ص١٩٢ ومعاني القرآن ج٥ ص٤٨٧ وزاد المسير ج٦ ص ٢٦٨ وتفسير القرآن العظيم ج٣ ص٥٧٥ والدر المنثور ج٢ ص ٢٩٨ وج٣ ص ٩٤ وتفسير الثعالبي ج٢ =

ويحاولون سفك دمه.

إيمان أهل مكة.. لظهور القوة:

وقد صرحت الروايات المتقدمة: بأن نتائج حرب حنين، قد دعت الكثيرين من المكيين إلى الدخول في الإسلام. قالوا:

«وأسلم عند ذلك ناس كثير من أهل مكة، حين رأوا نصر الله تعالى رسوله، وإعزاز دينه»[1].

ولسنا بحاجة إلى بذل أي جهد في توضيح حقيقة: أن إسلام هؤلاء الناس من أهل مكة، لم يكن لأجل انصياعهم لما تحكم به عقولهم، وتقودهم إليه فطرتهم، ولا كان ذلك حباً بالحق، والتذاذاً بالهدى، وبخوعاً وانقياداً لما تفرضه المعجزة القاهرة، والبراهين الظاهرة.

ولكن إسلامهم كان انصياعاً للقوة واستجابة لإغراءاتها، وتأثراً

= ص١٠٤ وفتح القدير ج٢ ص٦١ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٢ ص٢٤٧ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٣٠١ ص٦٨٣ والشفا بتعريف حقوق المصطفى ج١ ص١٠٥ وإعلام الورى بأعلام الهدى ج١ ص١٧٩ وعصمة الأنبياء ص٧٨ وعيون الأثر ج٢ ص٤٢١ وسبل الهدى والرشاد ج١ ص٤٨١ وج٧ ص٢١ و ٢٢ وقصص الأنبياء للجزائري ص٨٣ .

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣٢ وإعلام الورى ص١٢٢ و ١٢٣ والبحار ج٢١ ص٦٧ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٣٧٨ وعن السيرة النبوية ج٣ ص٦٢٧ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠٥ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١١٢ والسيرة الحلبية ج٣ ص١١٤ وراجع المصادر المتقدمة.

باقتضاءاتها، فقد رأوا نصر الله رسوله، وإعزازه دينه، ويعتبرون أن أمراً من هذا القبيل يعنيهم، ولابد لهم من البحث عنه، والحصول عليه، لأنه يمثل مظهراً من مظاهر الحياة الدنيا، وربما يكون من أقوى السبل إليها، والحياة الدنيا هي محط أنظارهم، ومهوى أفئدتهم..

فالإنتصار، والإعزاز كانا السبب الأقوى لإظهارهم الإسلام، وهذه هي نظرة الضعفاء قليل الحظ في العلم والثقافة والمعرفة، والمفلسين من القيم والمثل، والبعيدين عن التفاعل الروحي مع الأحداث، والفاقدين لتوهج المشاعر، ولحياة العواطف.. فانحسر دور هذه المؤثرات، لتتفرد الأهواء والغرائز بمسار الإنسان، وبمصيره، دونما وازع من ضمير، أو رادع من وجدان.

قتل دريد بن الصمة:

قالوا: لما هزم الله تعالى هوازن، أتوا للطائف، ومعهم مالك بن عوف، وعسكر بعضهم بأوطاس، وتوجه بعضهم نحو نخلة، بنو عيرة من ثقيف.

فبعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» خيلاً تتبع من سلك نخلة ولم تتبع من سلك الثنايا.

وأدرك ربيعة بن رفيع بن أهبان بن ثعلبة، من بني سليم، دريد بن الصمة، فأخذ بخطام جمله، وهو يظن أنه امرأة، وذلك أنه في شجار له، فإذا هو رجل، فأناخ به وهو شيخ كبير، ابن ستين ومائة سنة، فإذا هو دريد، ولا يعرفه الغلام.

فقال له دريد: ما تريد؟

قال: أقتلك.

قال: وما تريد إلى المرتعش الكبير الفاني؟

قال الفتى: ما أريد إلا ذاك.

قال له دريد: من أنت؟

قال: أنا ربيعة بن رفيع السلمي.

قال: فضربه، فلم يغن شيئاً.

فقال دريد: بئس ما سلحتك أمك، خذ سيفي من وراء الرحل في الشجار، فاضرب به، وارفع عن العظم، واخفض عن الدماغ، فإني كذلك كنت أقتل الرجال، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة، فربّ يوم قد منعت فيه نساءك.

فزعمت بنو سليم: أن ربيعة لما ضربه فوقع، تكشف للموت، فإذا عجانه وبطون فخذيه مثل القرطاس من ركوب الخيل.

فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه، قالت: والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثاً في غداة واحدة، وجز ناصية أبيك.

فقال الفتى: لم أشعر[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣٣ و ٣٣٤ عن ابن إسحاق، والواقدي، وغيرهما. والمغازي للواقدي ج٣ ص٩١٤ و ٩١٥ والسيرة الحلبية ج٣ ص١١٢ و (ط دار المعرفة) ص٧٢ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠٧ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١١٢ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٥١ والإستيعاب ج٢ ص٤٩١ وتاريخ مدينة دمشق ج١٧ ص٢٣٧ و ٢٣٨ و ٢٤٢ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٦٤ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٨٦ وأعيان الشيعة ج١ =

مالك بن عوف يفرّ إلى ثقيف:

وقالوا أيضاً: ووقف مالك بن عوف على ثنية من الثنايا، وشبان أصحابه، فقال: قفوا حتى يمضي ضعفاؤكم، وتلتئم إخوانكم. فبصر بهم الزبير بن العوام، فحمل عليهم حتى أهبطهم من الثنية، وهرب مالك بن عوف، فتحصن في قصر بلية. ويقال: دخل حصن ثقيف[1].

ونقول:

إننا نلاحظ على ما تقدم:

١ ـ قال اليعقوبي: «وقتل دريد بن الصمة، فأعظم الناس ذلك. فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إلى النار وبئس المصير، إمام من أئمة الكفر، إن لم يكن يعين بيده، فإنه يعين برأيه، قتله رجل من بني سليم»[2].

وهذا دليل واضح على أن قتل دريد بن الصمة كان عملاً صائباً، ومحموداً، فإن هذا الشيخ مع كبر سنه قد حرص على إطفاء نور الله، وأصرّ على محاربة الأنبياء، وخذلان الحق، ونصرة الباطل، فهل هناك من هو أسوأ

= ص٢٨٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٤٠ وأسد الغابة ج٢ ص١٦٧ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٨٩ والوافي بالوفيات ج١٤ ص٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٩٠١ والإكتفاء ج٢ ص٢٤٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٩٢ .

(١) راجع: تاريخ مدينة دمشق ج٥٦ ص٤٨٦ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣٤ والإكتفاء ج٢ ص٢٤٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٥٢ وعيون الأثر ج٢ ص٢١٩ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٦٣.

من هذا..

فلو أنه بعد أن بلغ من الكبر عتياً.. ندم على ما فرط منه طيلة حياته الحافلة بالظلم والعدوان وقتل الناس.. كما اعترف به آنفاً، واعتزل في بيته على أقل تقدير، ونصح من يأخذ عنه، ويسمع منه بالعمل بما يحفظ لهم كرامتهم، ويؤكد المعاني الإنسانية النبيلة فيهم، لكان خيراً له ولهم..

ولكنه بالرغم من ظهور عدم طاعة مالك له، أصر على البقاء الذليل معه في ذلك الجمع. آملاً أن يتمكن من عمل أي شيء ضد رسول الله «صلى الله عليه وآله» ومن معه من المؤمنين. مع اعترافه لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، بأنه ليس كسائر الناس شمماً وكرماً..

ومع اعترافه أيضاً: أنه قد أظهر لمالك بن عوف ولغيره بأنه على معرفة تامة بما كان يجري في المنطقة من تحولات.. مما يعني: أنه يفعل ما يفعل عن سابق علم وتصميم، وهذا يزيد في وضوح سوء نيته، وخبث طويته، وهو لا يستحق أي نوع من أنواع الرأفة والتسامح.

٣ ـ لقد أحسن هذا الشاب فيما أجاب به أمه حين عتبت عليه لعدم تكرّمه على ابن الصمة بالعفو عنه، حيث أوضح لها: أنه لم يكن ليتكرم بما يوجب غضب الله ورسوله.. فقد قال لها: ما كنت لأتكرم عن رضا الله ورسوله[1].

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١١٢ و (ط دار المعرفة) ص٧٢ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١١٢ والإصابة ج٢ ص٤٦٤ و (ط دار الكتب العلمية) ص٣٨٧.

وهذا يدل: على أنه قد قتله عن معرفة تامة باستحقاقه للقتل، ولم يكن ذلك عن رغبة في سفك دماء الناس، كما ربما توحي به رواية قتله التي ذكرها الصالحي الشامي وغيره..

٤ ـ قيل: إن قاتل دريد هو: الزبير بن العوام، وقيل: هو عبد الله بن قنيع (أو قبيع)[1]. والحديث المتقدم لا مجال لتطبيقه على الزبير، كما هو ظاهر..

٥ ـ إن سياق حديث قتل ابن الصمة قد يوحي: بأن دريداً كانت له أعمال صالحة تشير إلى أنه كان يملك درجة من النبل، وكرم الطباع، وصالح السجايا، من حيث إنه كان يعتق النساء، ويطلق الأسرى، بعد أن يجز ناصيتهم..

ولكن الحقيقة هي: أن ذلك لا يكفي لإثبات أن عتقه للنساء، وإطلاقه للأسارى قد كان بدافع إنساني، يستحق معه بعض التكريم، والتعظيم، أو يوجب التعامل معه بشيء من التسامح.. إذ لعله كان يفعل ذلك للحصول على ما هو أفضل من ذلك، في الموقع المناسب.. أو لأجل الحصول على السمعة في الدنيا.. أو ما إلى ذلك.

ويؤيد ما نقول:

أنه كان يهتم بسفك دماء الناس، وله شهرة واسعة في ذلك.. فمن كان

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١١٢ و (ط دار المعرفة) ص٧٢ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠٧ وراجع: والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١١٢ والدرر لابن عبد البر ص٢٢٧ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٩٠٢ وفتح الباري ج٨ ص٣٤ وعمدة القاري ج١٧ ص٣٠٢ وأسد الغابة ج٣ ص٢٤٤ والإصابة ج٤ ص٢١ .

كذلك، كيف نتوقع أن يكون عتقه للنساء بدافع إنساني يستحق معه العفو؟

ولو فرض أنه يستحق العفو لإطلاق سراح النساء، فهل يستحق العفو بالنسبة للأبرياء الذين قتلهم في كل تاريخه الطويل؟!

٦ ـ وأما الحديث عن عجانه وبطون فخذيه وأنها كانت كالقرطاس من ركوب الخيل، فهو كلام فارغ، لا يعدو كونه مبالغات دأب عليها الناس في مثل هذه الأحوال، رغبة منهم في تهجين الأمور. وإلا، فإن الإنسان لو ركب الخيل عشرات السنين، فلا يتحول عجانه وباطن فخذيه إلى هذه الحالة.

نعم، ربما يكون كبر سنه وضعف بدنه قد أوجد حالة من الترهل والإسترخاء.. وذلك يحصل لكل من طعن في السن، فكيف إذا بلغ مائة وعشرين، أو مائة وستين، أو حوالي مائتي سنة؟!

أوسمة للزبير بن العوام:

قالوا: وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة، فوقف في فوارس من قومه على ثنية من الطريق، وقال لأصحابه: قفوا حتى تمضي ضعفاؤكم، وتلحق أخراكم، فوقف هنالك حتى مرّ من كان لحق بهم من منهزمة الناس.

قال ابن هشام: وبلغني: أن خيلاً طلعت ومالك وأصحابه على الثنية، فقال لأصحابه: ماذا ترون؟

قالوا: نرى أقواماً عارضي رماحهم، أغفالاً على خيلهم.

قال: هؤلاء الأوس والخزرج، فلا بأس عليكم منهم، فلما انتهوا إلى أصل الثنية، سلكوا طريق بني سليم.

فقال لأصحابه: ماذا ترون؟

قالوا: نرى قوماً واضعي رماحهم بين آذان خيلهم، طويلة بوادّهم.

قال: هؤلاء بنو سليم، ولا بأس عليكم منهم، فلما سلموا سلكوا بطن الوادي.

ثم اطلع فارس، فقال لأصحابه: ماذا ترون؟

قالوا: نرى فارساً طويل البادّ، واضعاً رمحه على عاتقه، عاصباً رأسه بملاءة حمراء.

قال: هذا الزبير بن العوام، وأحلف باللآت والعزى ليخالطنكم فاثنوا له.

فلما انتهى الزبير إلى أصل الثنية أبصر القوم، فصمد لهم فلم يزل يطاعنهم حتى أزاحهم عنها(١).

ونقول:

إننا نشك في صحة هذه الأقاويل..

أولاً: لأن النصوص قد صرحت: بأن مالك بن عوف حين فرّ في حنين، قد بلغ في فراره إلى حصن الطائف، وكان الذعر قد بلغ بالمشركين المنهزمين حداً جعلهم يشعرون وكأن عدوهم يدخل على أثرهم إلى حصن الطائف(٢).

ولم يكن المنهزمون قادرين على انتظار أحد من الناس، لا من ضعفتهم،

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص١٠٨ والمغازي للواقدي ج٣ ص٩١٦ و ٩١٧ والإكتفاء ج٢ ص٢٤٨ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٨٥ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٩٠٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٣٨.

(٢) راجع: المغازي للواقدي ج٣ ص٩٠٨ و ٩٠٦ وغير ذلك مما تقدم.

ولا من غيرهم حتى يلحق بهم، ولا ليجرؤا على الوقوف على ثنية، ويراقبوا كتائب المسلمين وهي تلاحقهم، ويميزوا بين هذه وتلك..

وكان «صلى الله عليه وآله» قد أرسل الخيل لتلاحقهم كما يقولون، فلم يكونوا ليجدوا الفرصة ليصعدوا على ثنية ولا على غيرها[1].

ثانياً: إن المسلمين كما تقدم: لم يعودوا إلى القتال، بل عادوا فوجدوا أسرى المشركين مكتفين عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فهم لم يلاحقوا المنهزمين..

أو على الأقل: إن النصوص غير قادره على إثبات ذلك..

ثالثاً: هل كان الزبير وحده في تلك البيداء؟! ولماذا كان وحده؟! وإذا كانت لديه هذه الشجاعة، والروحية، والمقدرة، فلماذا هرب مع الهاربين.. واستحق العقاب الإلهي، مع من عوقب وطولب، وليم وأنّب؟!

كما أننا لا بد أن نسأل: كيف انتهت المناوشات بينه وبين الذين على الثنية، فهل قتلهم أم قتلوه، أو هزمهم أو هزموه، أو انصرف عنهم، وانصرفوا عنه؟!

وهل لحق به أحد فعاونه عليهم، أم بقي وحده بينهم؟! أم أن مقصوده هو مجرد إزاحتهم عن الثنية ثم لا شغل له بهم؟!

رابعاً: إن عرض الرماح على الخيل معناه: الإعراض عن الحرب، أو الإستهتار بالعدو، لأن معنى عرضها هو: وضعها على العرض، قال الشاعر:

جاء شقيق عارضاً رمحه   إن بني عمك فيهم رماح

فلماذا يعرض الأوس والخزرج رماحهم، فإن كان ذلك استهتاراً

---

(١) المغازي للواقدي ج٣ ص٩١٤.

بالعدو، فلماذا هربوا منه قبل قليل؟!. وإن كان إعراضاً عن الحرب، فالمفروض: أنهم يطاردون المنهزمين في كل اتجاه، ولابد أنهم يستعملون تلك الرماح في تلك المطاردة.

خامساً: ما معنى تسليم سليم على الواقفين على الثنية، هل عرفوا: أن الذين على الثنية هم مالك بن عوف، وأصحابه؟! فلماذا سلموا عليهم، وتركوهم، ولم يناجزوهم القتال؟!

وإن كانوا قد ظنوا أنهم من أصحابهم، فلماذا تركوهم أيضاً لم يدعوهم إلى النزول إلى ساحات القتال؟!

أو على الأقل: لماذا لم يسألوهم عن حالهم، وعن سبب وقوفهم على الثنية؟!

فإن حال هؤلاء الواقفين مريب على جميع الأحوال..

من استشهد بحنين:

قال اليعقوبي: «وكان جميع من استشهد أربعة نفر»(١).

ذكروا: أن الذين استشهدوا من المسلمين في حرب حنين كانوا خمسة رجال فقط، وهم:

١ ـ أيمن بن عبيد الله بن زيد الخزرجي، وابن أم أيمن.

٢ ـ وسُراقة بن الحارث الأنصاري.

٣ ـ ورقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لوذان.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٦٣ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١١٢.

٤ ـ وأبو عامر الأشعري أصيب بأوطاس، كما سيأتي.

٥ ـ ويزيد بن زمعة بن الأسود، جمح به فرس يقال له: الجناح، فقتل.

واستحر القتل من ثقيف في بني مالك، فقتل منهم سبعون رجلاً تحت رايتهم، فيهم عثمان بن عبد الله بن الحارث.

وكانت رايتهم مع ذي الخمار، فلما قتل أخذها عثمان بن عبد الله، فقاتل حتى قتل. ولما بلغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» قتله، قال: «أبعده الله، فإنه كان يبغض قريشاً»(١).

قتلى المشركين:

قال دحلان: «قتل من المشركين وقت الحرب أكثر من سبعين. قيل: وفي الإنهزام أكثر من ثلاثمائة»(٢).

ونقول:

لو صح هذا لوجب أن تكون الهزيمة قد وقعت أولاً على المشركين، فلماذا انهزم المسلمون إذن..

ومن جهة أخرى: فقد روي عن عبد الله بن الحارث، عن أبيه قال: قتل

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣٤ وفي هامشه عن المصادر التالية: عبد الرزاق (١٩٩٠٤) وابن أبي عاصم ج٢ ص٦٣٨ وابن سعد ج٥ ص٣٨٠، وابن أبي شيبة ج١٢ ص١٧٣ والعقيلي في الضعفاء ج٤ ص٣٥٠ وراجع: ج٢ ص٣٥٠ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٨٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٨٩٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٣٥.

(٢) السيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١١٢.

من أهل الطائف يوم حنين مثل من قتل يوم بدر[١].

وتقدم: أن علياً «عليه السلام» قد قتل بعد أبي جرول أربعين رجلاً[٢]، أما من قتلهم «عليه السلام» قبل ذلك، فالله أعلم بعدتهم. كما أن مجموع من قتلهم علي «عليه السلام» في حنين، لم يذكره لنا التاريخ، ولا تحدثت عنه الروايات.

وكان مجموع من قتل من المشركين مائة رجل[٣].

وبعد أن انهزمت هوازن استمر القتل في ثقيف في بني مالك منهم، فقتل منهم سبعون رجلاً تحت رايتهم، التي كانت أولاً مع ذي الخمار، فقتل. فأخذها عثمان بن عبد الله بن ربيعة، فقتل أيضاً.

بغض قريش:

بالنسبة لقول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أبعده الله، فإنه كان يبغض قريشاً[٤]، نقول:

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣٤ عن البيهقي، وراجع: المستدرك للحاكم ج٢ ص١٢١ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٨٢ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٨٠ وإمتاع الأسماع ج٥ ص٧٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٣٠ والتاريخ الكبير ج٧ ص١٩ ونعجيل المنفعة ج١ ص٣٢٥ ودلائل النبوة للبيهقي ج٥ ص١٤٢.

(٢) الإرشاد ج١ ص١٤٢ ـ ١٤٤ والبحار ج٤١ ص٩٤ عن مناقب آل أبي طالب ج١ ص٦٠٤ ـ ٦٠٦.

(٣) البحار ج٢١ ص١٨١ ومجمع البيان ج٥ ص١٨ ـ ٢٠.

(٤) تاريخ الخميس ج٢ ص١٠٦ عن الإكتفاء، وراجع المصادر المتقدمة.

إن اليعقوبي يذكر: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد قال هذه الكلمة بعد قتل ذي الخمار[١].

إن بغض قريش الموجب للدعاء بالسوء لا بد أن يكون لجهة مبغوضة لله تعالى. أما بغضها لأجل شركها مثلاً، فلا يستوجب هذا الدعاء، بل هو من موجبات الحمد والثناء.

وأما بغض القبائل لبعضها البعض لأجل إحنٍ جاهلية، وثارات قبلية، فلا يختص بقريش، وهو من الأمور التي عمل الإسلام على اقتلاعها من جميع فئات المجتمع. حتى من قريش في بغضها للقبائل الأخرى إذا كان من أجل ذلك..

ما كانت هذه لتقاتل!!

عن رباح بن ربيع: أنه خرج مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» في غزوة غزاها، وعلى مقدمته خالد بن الوليد، فمر رباح وأصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» على امراة مقتولة مما أصابت المقدمة، فوقفوا ينظرون إليها، يعني: ويعجبون من خلقها، حتى لحقهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» على راحلته، فانفرجوا عنها.

فوقف عليها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: «ما كانت هذه لتقاتل».

فقال لأحدهم: «الحق خالداً وقل له لا تقتل ذرية ولا عسيفاً»[٢].

---

(١) تاريخ اليعقوب ج٢ ص٦٣.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣٥ عن أحمد وأبي داود، وراجع المصادر المتقدمة.

ونقول:

١ ـ إن هذه الرواية وإن لم تصرح: بأن ذلك كان في غزوة حنين، لكن عبارة «مرَّ على امرأة مقتولة مما جرى على المقدمة» تدل على: أن قتل هذه المرأة كان في حنين، لأنها هي الغزوة الوحيدة التي انهزمت المقدمة فيها بهذا الشكل القبيح، والمهين، والمشين.

٢ ـ إن الكلمة الموجزة للنبي «صلى الله عليه وآله» قد تكفلت بحسم الأمر بصورة تامة من جميع جهاته، لأنها أشارت إلى:

ألف: إدانة قتل النساء في الحروب، لأن المقصود بكلمة «هذه» ليس هو شخص تلك المرأة، بل جنسها ولاسيما مع ملاحظة كلمة «ما كانت هذه»..

ب: إنها دلت على: أن التوجيه النبوي لجيشه كان هو المنع عن قتل النساء، ولذلك أجرى الكلام وكأنه مفروغ عنه، ليفيد: أن الذي يُقتل هو خصوص من يقاتل..

ج: إنه «صلى الله عليه وآله» إنما أشار إلى أن طبيعة وشأن، وظاهر حال النساء هو أنهن لا يتصدين للقتال.. فما معنى أن يقتل من هذا حاله.. فلا بد من اعتبار قتل هذه المرأة حالة شاذة، وغير مقبولة..

٣ ـ إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد عرف بمجرد رؤية تلك المرأة أن خالد بن الوليد هو المطالب بقتلها، فسارع إلى إعادة تأكيد أوامره له بأن لا يرتكب أمثال هذه المخالفات.

وأما كيف عرف «صلى الله عليه وآله» ذلك.

فأولاً: هو «صلى الله عليه وآله» نبي متصل بالله، وهو يخبره بكل ما يجب، و يحب.

ثانياً: لعله علم ذلك، من حيث إن الذين مروا في ذلك المكان هم خالد ومن معه. دون سواهم. بالإضافة إلى قرائن ودلالات أخرى. لعلها توفرت له.

ثالثاً: قد صرح بعضهم: بأنه «صلى الله عليه وآله» سألهم عن تلك المرأة، فقالوا: قد قتلها خالد بن الوليد»[1].

٤ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» كان كلما أراد ان يرسل بعثاً أو سرية يجلسهم بين يديه، ويوصيهم بوصايا جامعة، ومنها قوله «صلى الله عليه وآله»: «لا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا صبياً، ولا امرأة»[2] فما معنى أن يخالف خالد، ومن معه أوامر رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

٥ ـ إن النص المذكور آنفاً قد اقتصر على ذكر العسيف، والذرية في الأمر الصادر لخالد من رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

فلماذا لم يذكر المرأة؟ مع أنها هي الحدث المقتضي لتجديد التأكيد على الأوامر الصادرة.

فالجواب هو: أن ثمة إسقاطاً من الرواية، ولا ندري إن كان متعمداً..

ويدل على ذلك: تصريحهم بأنه لما وقف النبي «صلى الله عليه وآله» على تلك المرأة، وأخبروه بأن خالداً قتلها «بعث إلى خالد، ونهاه عن قتل المرأة،

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص١٠٦ والنص والإجتهاد ص٣٢٤ وبغية الباحث ص٢٠٧ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٨٥ وإمتاع الأسماع ج٢ ص١٨ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٩٠٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٣٨ والمطالب العالية ج٩ ص٤٥٦.

(٢) البحار ج١٩ ص١٧٧ والكافي ج٥ ص٢٧ ومصادر أخرى تقدمت عن قريب.

والطفل، والأجير»[١].

إنه من أهل النار:

وذكر للنبي «صلى الله عليه وآله»: أن رجلاً كان بحنين قاتل قتالاً شديداً، حتى اشتدت به الجراح، فقال: «إنه من أهل النار».

فارتاب بعض الناس من ذلك، ووقع في قلوب بعضهم ما الله تعالى به أعلم.

فلما آذته جراحته، أخذ مشقصاً من كنانته فانتحر به.

فأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بلالاً أن ينادي: ألا لا يدخل الجنة إلا مؤمن، إن الله تعالى يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»[٢].

ونقول:

١ ـ في هذه الرواية دلالات مختلفة نقتصر منها على الإشارة إلى هذا الضعف الظاهر في إيمان كثيرين ممن عاشوا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ورأوا الآيات والمعجزات ليس في الحروب وحسب، وإنما في مختلف شؤون الحياة.

وقد بلغ بهم ضعف الإيمان هذا: أن قضية جزئية، يخبر فيها النبي «صلى الله عليه وآله» عن مصير واحد من الناس قد أنستهم كل ما رأوه من

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص١٠٦ وراجع المصادر المتقدمة.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣٤ عن الواقدي، والمعجم الأوسط ج٣ ص٣٥٧ وإمتاع الأسماع ج١٣ ص٣٤٤ والمتواري على أبواب البخاري لابن المنير الإسكندري ج١ ص١٨٠ ومصادر أخرى كثيرة.

معجزات، وعاينوه من دلالات، ويتلاعب بهم الشيطان، ويشككهم بدينهم وبنبيهم من أجلها..

فليت شعري، متى صلُب هذا الإيمان فيهم، حتى استعصى على الهزات، وخلص من الشوائب، والتشكيكات؟!

ومن يضمن لنا: أن لا تستمر ببعضهم حالات الريب والشك، ويكتمها عنا، وعن غيرنا إلى ما بعد موته؟!

وعلينا أن لا ننسى لفت نظر القارئ إلى أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يتعمد إلقاء أمثال هذه الأخبار لأصحابه لسببين:

أحدهما: أنه يريد أن يعمق الإيمان في قلوبهم بصورة عملية، بتكرار أمثال هذه الحوادث، ليوصلهم إلى اليقين الراسخ، والقناعة التامة..

الثاني: أنه يريد: أن يعرّف الأجيال اللاحقة بحقيقة معاناته، وبواقع هؤلاء الناس، الذي سيأتي من ينسب إليهم ثبات القدم في الدين، وشدة اليقين فيه، وحقيقة الوعي لحقائقه ومبانيه، بل سوف يدَّعون لهم مقام الإجتهاد، والرشاد والسداد، إلى درجة العصمة، ويصرون على براءة ساحتهم، من كل تهمة أو وصمة.

المجروحون في حنين:

عن عبد الله بن الأزهر، قال: كان خالد بن الوليد جرح يوم حنين، وكان على خيل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فجرح يومئذٍ، فلقد رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد ما هزم الله تعالى الكفار، ورجع المسلمون إلى رحالهم يمشي في المسلمين ويقول: «من يدلني على رحل خالد

بن الوليد»؟

فأتي بشارب، فأمر من عنده فضربوه بما كان في أيديهم، وحثا عليه التراب[1].

قال عبد الرحمن: فمشيت ـ أو قال: سعيت ـ بين يدي رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأنا غلام محتلم، أقول: من يدل على رحل خالد، حتى دللنا عليه، فإذا خالد مستند إلى موخرة رحله، فأتاه رسول الله «صلى الله عليه وآله» فنظر إلى جرحه، فتفل فيه فبرئ[2].

عن عائذ بن عمرو قال: أصابتني رمية يوم حنين في جبهتي، فسال الدم على وجهي وصدري، فَسَلَتَ النبي «صلى الله عليه وآله» الدم بيده عن

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣٤ و ٣٣٥ عن عبد الرزاق، وابن عساكر، وفي هامشه عن: مسند أحمد ج٤ ص٨٨ و ٣٥٠ و ٣٥١ والحميدي ص٨٩٧ وعن دلائل النبوة للبيهقي ج٥ ص١٤٠.

وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص١١٤ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١١٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص٢٥١ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص٣٢٠ وج٩ ص١٠٣ والمصنف لابن ابي شيبة ج٨ ص٥٤٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٨ ص٥٠ والمستدرك للحاكم ج٤ ص٣٧٥ والمجموع للنووي ج١٩ ص٣٣٩ وسنن أبي داود ج٢ ص٣٦٢ وشرح معاني الآثار ج٣ ص١٥٦ وسنن الدارقطني ج٣ ص١١٢ وكنز العمال ج٥ ص٤٩٢ والجامع لأحكام القرآن ج١٢ ص١٦٥ والأحكام لابن حزم ج٧ ص١٠١٤.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣٥ وج١٠ ص٢٥ والسيرة الحلبية ج٣ ص١١٤ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١١٢ ومسند أحمد ج٤ ص٣٥١ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٣٨١.

وجهي وصدري إلى ثندؤتي، ثم دعا لي.

قال حشرج والد عبد الله: فرأينا أثر يد رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى منتهى ما مسح من صدره، فإذا غرة سابلة كغرة الفرس[1].

ونقول:

أولاً: إننا لا نستطيع أن نؤكد صحة هذه الروايات، غير أننا نعلم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يميز أحداً على أحد في تعامله. فهل كان يسأل عن المجروحين الآخرين، ويذهب في الطرقات يسأل عن رحالهم؟! ويأتيهم، ويشفيهم، كما فعل بخالد؟!

بل قد زعمت رواية نسبت إلى أنس: أن أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعلياً «عليه السلام» قد ضرب كل منهم بضعة عشر ضربة[2].

فإذا كان هؤلاء يصدِّقون هذه الرواية، فالسؤال هو: إن هؤلاء الأربعة عند هؤلاء أفضل من خالد بن الوليد، فلماذا لم يزرهم في رحالهم، ويهتم بشفائهم كما فعل بخالد؟!

وإن كان قد فعل ذلك، لكن التاريخ أهمل ذكره، فلا بد أن نسأل أيضاً عن سبب هذا الإهمال، فإننا لا نرى أي مبرر. بل قد تعودنا الإحتفاظ بأبسط

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣٥ عن الحاكم، وأبي نعيم، وابن عساكر، وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠٦ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج٢ ص١١٢ والسيرة الحلبية ج٣ ص١١٤ والخصائص الكبرى ج١ ص٤٥٠ والأحاديث المختارة ج٨ ص٢٣٨ والآحاد والمثاني ج٢ ص٣٢٩ والمعجم الكبير ج١٨ ص٢٠ ومسند الروياني ج٢ ص٣٣ ومجمع الزوائد ج٩ ص٤١٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٢٩ و ٣٣٠ عن البزار.

الأمور إذا كانت تتعلق بهؤلاء، فكيف إذا كان الأمر بهذه الخطورة؟!

ثانياً: ما معنى أن يمشي رسول الله «صلى الله عليه وآله» في المسلمين، وهو يسأل عن رحل خالد، ثم يستخدم مراهقاً لهذه الغاية، ليسعى بين يديه «صلى الله عليه وآله»، وهو يقول: من يدل على رحل خالد، فإن هذا الأمر غير متوقع، ولا مألوف منه «صلى الله عليه وآله»..

بل إن ما نتوقعه هو أن نجد المسلمين يتبادرون، ويتسابقون ليدلوا النبي «صلى الله عليه وآله» على ما يطلب دلالتهم عليه، ولا تصل النوبة إلى أن يمشي هو فيهم يطلب منهم ذلك، فضلاً عن ان يستخدم مراهقاً لهذا الغرض.

ثم ألا ترى معي: أن الهدف من ادِّعاء أن خالداً جرح، ثم تحرك النبي «صلى الله عليه وآله» في الجيش لزيارته في رحله على ذلك النحو الفاقع.. يراد منه: إعادة الإعتبار لخالد بهذا التكريم المزعوم..

ثم التماس عذر له في الهزيمة، وانه لم يقصر في القيام بواجبه، لكن جراحاته هي التي قصرت به.

ولنا أن نحتمل: أن يكون هذا البرء العاجل لجرح خالد، إنما هو لمنع بحث الناس عن هذا الأمر، حتى لا يظهر أن جراحاته المزعومة كانت ضرباً من الخيال..

كما أن ذلك يسد الطريق على من يريد أن يقول: إنه كان حاضراً، ولم ير خالداً يعاني، لا من جراحة، ولا من غيرها.

غنائم حنين إلى الجعرانة:

قالوا: لما انهزم القوم أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالغنائم أن

تجمع، ونادى مناديه: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يغل.

وأمر «صلى الله عليه وآله» بالذراري، والأموال أن تحضر إلى الجعرانة، فوقف بها هناك إلى أن انصرف رسول الله «صلى الله عليه وآله» من حصار الطائف[1].

وجعل الناس غنائمهم في موضع، حيث استعمل عليها رسول الله «صلى الله عليه وآله» مسعود بن عمرو الغفاري[2].

وأما السبي، فعن سعيد بن المسيب: أنه جعل عليهم أبا سفيان بن حرب[3].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣٨ و ٣٣٩ وعن مجمع الزوائد ج٦ ص١٨٩ عن البزار، والطبراني في الكبير والأوسط، وإعلام الورى ص١٢٣ ومجمع البيان ج٥ ص١٨ ـ ٢٠ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص٣٥ والبحار ج٢١ ص١٦٨ و ١٨١ وتفسير الميزان ج٩ ص٢٣٢ وراجع: إمتاع الأسماع ج٩ ص٢٩٦ ودلائل النبوة للبيهقي ج٥ ص١٥٥ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٥٣ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٨٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٩٠٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣٩ عن ابن إسحاق، وإمتاع الأسماع ج٩ ص٢٩٧ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٥٢ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٩٠٦ ودلائل النبوة للبيهقي ج٥ ص١٥٥.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣٩ عن عبد الرزاق، والنكت على مقدمة ابن الصلاح ج١ ص٢٩٨ وكنز العمال ج١٠ ص٢٤٥ و (ط مؤسسة الرسالة) ص٥٤٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٣ ص٤٦٠ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٢١ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٧٦.

وقال البلاذري: جعل عليهم بديل بن ورقاء الخزاعي(١).

منطلقات خاطئة لتحليلات وخيالات:

قال الصالحي الشامي:

قال في زاد المعاد: كان الله تعالى قد دعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو الصادق الوعد: أنه إذا فتح مكة دخل الناس في دينه أفواجاً، ودانت له العرب بأسرها، فلما تم له الفتح المبين، اقتضت حكمة الله تعالى أن أمسك قلوب هوازن ومن تبعها عن الإسلام وأن يتجمعوا ويتأهبوا لحرب رسول الله «صلى الله عليه وآله» والمسلمين، ليظهر أمر الله سبحانه وتعالى وتمام إعزازه لرسوله الله «صلى الله عليه وآله» ونصره لدينه، ولتكون غنائمهم شكراً لأهل الفتح، ليظهر الله ورسوله وعباده قهره لهذه الشوكة العظيمة التي لم يلق المسلمون مثلها، فلا يقاومهم بعد أحد من العرب.

ويتبين ذلك: من الحكم الباهرة التي تلوح للمتأملين.

واقتضت حكمته تعالى: أن أذاق المسلمين أولاً مرارة الهزيمة والكبوة، مع كثرة عَدَدِهم وعُدَدهم وقوة شوكتهم، ليطأ من رؤوس رفعت بالفتح، ولم تدخل بلده وحرمه كما دخله رسول الله «صلى الله عليه وآله» واضعاً رأسه، منحنياً على فرسه، حتى إن ذقنه تكاد أن تمس سرجه، تواضعاً لربه

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣٩ والبحار ج٢١ ص١٨١ ومجمع البيان ج٥ ص١٨ و ١٩ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص٣٥ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٧٦ والبحار ج٢١ ص١٨١ وتفسير الميزان ج٩ ص٢٣٢ وإمتاع الأسماع ج٩ ص٢٩٦.

تبارك وتعالى، وخضوعاً لعظمته، واستكانة لعزته أن أحل له حرمة بلده، ولم يحله لأحد قبله، ولا لأحد بعده.

وليبين عز وجل لمن قال: لن نغلب اليوم من قلة: أن النصر إنما هو من عنده، وأنه: من ينصره فلا غالب له، ومن يخذله فلا ناصر له غيره، وأنه تعالى هو الذي تولى نصر رسوله ودينه لا كثرتكم التي أعجبتكم، فإنها لم تغن عنكم شيئاً فوليتم مدبرين.

فلما انكسرت قلوبهم أرسلت إليها خلع الجبر مع مزيد **{ثُمَّ أَنَزلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ}**[١].

وقد اقتضت حكمته تبارك وتعالى: أن خلع النصر وجوائزه إنما تفضى على أهل الإنكسار **{وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ}**[٢].

إلى أن قال:

وبهاتين الغزاتين طفئت جمرة العرب لغزو رسول الله «صلى الله عليه وآله» والمسلمين.

فالأولى خوَّفتهم وكسرت من حدتهم.

والثانية: استفرغت قواهم، واستنفدت سهامهم، وأذلت جمعهم، حتى

---

(١) الآية ٢٦ من سورة التوبة.

(٢) الآيتان ٥ و ٦ من سورة القصص.

لم يجدوا بداً من الدخول في دين الله تعالى.

وجبر الله تبارك وتعالى أهل مكة بهذه الغزوة، وفرّحهم بما نالوا من النصر والمغنم، فكانت كالدواء لما نالهم من كسرهم.

وإن كان عين جبرهم وقهرهم تمام نعمته عليهم، بما صرفه عنهم من شر من كان يجاورهم من أشراف العرب، من هوازن وثقيف، بما أوقع بهم من الكسرة، وبما قيّض لهم من دخولهم في الإسلام، ولولا ذلك ما كان أهل مكة يطيقون مقاومة تلك القبائل مع شدتها.

ومن تمام التوكل استعمال الأسباب التي نصبها الله سبحانه وتعالى لمسبباتها قدراً وشرعاً، فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أكمل الخلق توكلاً، فقد دخل مكة والبيضة على رأسه، ولبس يوم حنين درعين، وقد أنزل الله سبحانه وتعالى: **{وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}**[1]. وكثير ممن لا تحقيق عنده يستشكل هذا ويتكايس في الجواب، تارة: بأن هذا فعله «صلى الله عليه وآله» تعليماً لأمته، وتارة: بأن هذا كان قبل نزول الآية**!!**

لو تأمل: أن ضمان الله سبحانه وتعالى له العصمة لا ينافي تعاطيه لأسبابها، فإن هذا الضمان له من ربه تبارك وتعالى لا ينافي احتراسه من الناس ولا ينافيه، كما أن إخبار الله عز وجل له بأنه يظهره على الدين كله ويعليه، لا يناقض أمره بالقتال، وإعداد العدة والقوة، ورباط الخيل، والأخذ بالجد والحذر، والإحتراس من عدوه، ومحاربته بأنواع الحرب، والتورية، فكان إذا أراد غزوة ورّى بغيرها، وذلك لأنه إخبار من الله تعالى

---

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

عن عاقبة حاله ومآله، فيما يتعاطاه من الأسباب التي جعلها الله تعالى بحكمته موجبة لما وعده به من النصر والظفر، وإظهار دينه، وغلبته على عدوه انتهى[١].

ونقول:

إن مبنى هذا الكلام غير مقبول، بل غير معقول، لأنه مبني على نظرية باطلة جملة وتفصيلاً، وهي نظرية الجبر الإلهي..

حيث نلاحظ: أنه اعتبر أن الله تعالى هو الذي أمسك قلوب هوازن، ومنعهم من الإيمان والإسلام، الأمر الذي أدى الى تلك الحرب الشعواء، التي أزهقت فيها نفوس، ويتمت بها أطفال..

وذكر أيضاً: أنه تعالى هو الذي أذاق المسلمين أولاً مرارة الهزيمة، لأجل بعض الحكم والمصالح.

ومنطق الجبر هذا ينتهي إلى نسبة الظلم إلى الله تبارك وتعالى، فإن إمساكه قلوب هوازن ومن تبعها، عن الإسلام بزعمهم يعرضها للعذاب الذي لا تستحقه ولم ترده، وهذا ظلم لا يصدر عن العزة الإلهية..

كما أن ذلك ينتهي إلى بطلان الثواب والعقاب، فلا يصح عقاب هوازن ومن معها، لأنهم كانوا مكرهين على البقاء في دائرة الشرك، لأن الله أمسك قلوبهم عن الإسلام، كما أن اجتماعهم وتأهبهم لحرب الرسول «صلى الله عليه وآله» والمسلمين قد اقتضته حكمة الله تعالى لكي يظهر الله أمره، ولإتمام إعزازه لدينه، ونصره لرسوله، ولتكون غنائمهم شكراً لأهل الفتح الخ..

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٤٧ و ٣٤٨.

ولا يصح عقاب المسلمين الذين ولوا أدبارهم، لأن الله هو الذي أذاقهم مرارة الهزيمة والكبوة، ليطأ الرؤوس التي رفعت في الفتح، ولم تفعل كما فعل النبي «صلى الله عليه وآله» حين دخل مكة، مطأطئاً رأسه، منحنياً على فرسه..

فلماذا إذن يغضب الله تعالى على الذين يولون الأدبار، ويقول: **{وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}**[1].

ولا يصح أيضاً إثابة المجاهدين الذين نصروا الله ورسوله، لأن الله سبحانه هو الذي تولى فعل ذلك دونهم، لأن حكمته اقتضت أن يفعله، وان يحركهم في تلك الحال حركات لا معنى ولا أثر لها على الإطلاق..

على أن هذا الجبر المزعوم لا بد أن يصادر الحجة التي يحتج بها أهل الحق على أهل الباطل.. إذ لا يصح لهم أن يعترضوا عليهم لأجل شركهم، لأنهم معذرون فيه، فهو مفروض عليهم جبراً وقهراً.. ولم تعد لله الحجة البالغة على أحد من المشركين والمجرمين، لأن عذرهم معهم. بل تصبح لهم هم الحجة على الله، لأنهم لا بد أن يقولوا له تعالى: «أنت الذي تفعل ذلك بنا، فكيف ولماذا تعذبنا على ما تفعله أنت»؟!

٢ ـ إنه زعم: أن السكينة قد أنزلت على الذين ولوا مدبرين.. مع أن الآية لم تقل لهم: أنزل الله سكينته عليكم. بل غيرت السياق إلى الغيبة وقالت: **{عَلَى الْمُؤْمِنِينَ}**..

---

(١) الآية ١٦ من سورة الأنفال.

وقد ذكرنا فيما سبق: أن نزول السكينة على المنهزمين والعاصين لله لا يصح. بل نزلت على من جاهد وصبر، وواجه عشرات الألوف من الأعداء، فهو الذي يستحق هذه الكرامة الإلهية، والهبة الربانية دون سواه.

٣ ـ زعم هذا القائل: أن السكينة نزلت على المنهزمين، مستشهداً بآية: **{وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ}**[1].

وهو كلام غير دقيق ولا مجال لقبوله، فإن الذين تتحدث عنهم الآية المباركة هم أناس قهرهم بغي فرعون وهامان وجنودهما، واستضعفوهم، وأذلوهم من دون أن يقصِّر أولئك المقهورون، والمستضعفون في أداء واجبهم.

أما المنهزمون في حنين، فلم يكن لهم عذر في هزيمتهم، وقد تخلفوا عن أداء واجبهم، بل ارتكبوا ما استحقوا به غضب الله تبارك وتعالى.. وقد قرّعهم الله سبحانه في قرآنه الكريم بما هو معروف وواضح في مقاصده ودلالاته، فما معنى قياس هؤلاء على أولئك، وما المبرر لاستفادة المساواة في جريان سنة الله تعالى التي أجراها الله في الذين استضعفهم فرعون، في التاركين لواجبهم الشرعي والعاصين لله تعالى في قصة حنين؟!

٤ ـ وأما جبر[2] أهل مكة بغزوة حنين، وتفريحهم بما نالوا من النصر والمغنم، فلا يمكن قبوله أيضاً، لأن هذا النصر لم يفرح أهل مكة. بل لعلهم

---

(١) الآيتان ٥ و ٦ من سورة القصص.

(٢) المقصود: جبر النقص الوارد عليهم.

كانوا أكثر الناس انزعاجاً منه، وتبرماً به.

يضاف إلى ذلك: أنه لم يكن لأهل مكة في صنع هذا النصر أي دور، بل اقتصر دورهم على صنع الهزيمة، لأنهم هم الذين كانوا في المقدمة، وقد انهزموا وانهزم الجيش تبعاً لهم. وذلك قبل أن يحصل أي احتكاك بينهم وبين المشركين. حسبما اتضح فيما سبق.

ولكن زعماء أهل مكة قد فرحوا بالغنائم التي سيقت إليهم، ودقت أبوابهم، ودخلت بيوتهم تلقائياً، ومن دون أن يبذلوا في سبيلها أي جهد.

٥ ـ على أن ما ذكره: من أن كسر شوكة هوازن وثقيف قد أراح أهل مكة، وصرف عنهم شر هؤلاء الجيران الأقوياء، لا يعدو كونه مبالغات لا مبرر لها، فإن أهل مكة لم يكونوا منزعجين من شرك هوازن، كما أنهم هم أنفسهم لم يكونوا ـ في بادئ الأمر على الأقل ـ مخلصين لإسلامهم. بل إن قسماً كبيراً منهم ما كانوا قد أعلنوا إسلامهم بعد، وقد حضروا مع النبي «صلى الله عليه وآله» إلى حنين، وهم بعد على شركهم. فلا يرون أن ثمة أي مباينة فيما بينهم وبين جيرانهم من هوازن وثقيف..

٦ ـ وعن نزول آية: **{وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}**(١) بعد، أو قبل غزوة حنين، نقول:

إن ظاهر سياق كلام صاحب هذه المزاعم يعطي أنه لا يعترض على القول بنزولها بعد حنين، بل لعل الصحيح أن نقول: إنه لم يقدر على رد القول: بأن آية العصمة من الناس قد نزلت بعد حنين، لأن سورة المائدة كما

---

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

رواه محمد بن كعب القرظي[١]، والربيع بن أنس[٢]، قد نزلت في حجة الوداع. وسورة المائدة قد نزلت دفعة واحدة كما هو معلوم[٣].

---

(١) الدر المنثور ج٢ ص٢٥٢ عن ابن عبيد، وعمدة القاري ج١٨ ص١٩٦ والغدير ج١ ص٢٢٧ وج٦ ص٢٥٦ والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج١ ص٦٠ وشرح إحقاق الحق ج٣ ص٣٣٥ وفتح القدير ج٢ ص٣ والبحار ج٣٧ ص٢٤٨.

(٢) الدر المنثور ج٢ ص٢٥٢ عن ابن جرير، وجامع البيان ج٦ ص١١٢ ومجمع البيان ج٣ ص٢٧٤ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢ ص١٥٥ والتبيان ج٣ ص٤٢٦.

(٣) الدر المنثور ج٢ ص٢٥٢ عن أحمد، وعبد بن حميد، وابن جرير، ومحمد بن نصر في الصلاة، والطبراني، والبيهقي في شعب الإيمان ودلائل النبوة، وابن أبي شيبة في مسنده، وأبي نعيم في دلائل النبوة، والبغوي في معجمه، وابن مردويه، وأبي عبيد عن أم عمرو بن عميس، عن عمها. وعن عبد الله بن عمر، وعن أسماء بنت يزيد، ومحمد بن كعب القرظي، والربيع بن أنس، وراجع: كشف اللثام (ط ج) ج٧ ص٧٨ والجواهر ج٣٠ ص٣١ و ٣٢ والبحار ج١٨ ص٢٧١ وج٨٩ ص٢٧٤ والغدير ج٦ ص٢٥٦ وج٨ ص١٩٣ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٤٨٤ و ٤٨٥ وج٩ ص٥٠٤ وفتح الباري ج٥ ص٣٠٩ و ٣١٠ وتفسير العياشي ج١ ص٢٨٨ وتفسير مجمع البيان ج٣ ص٢٥٧ والتفسير الأصفى ج١ ص٣٠٨ والتفسير الصافي ج٢ ص١٠٤ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٥٨٢ وج٥ ص٤٤٨ والبيان في تفسير القرآن للسيد الخوئي ص٣٤١ وتفسير الميزان ج٢٠ ص٧٢ والبرهان للزركشي ج١ ص١٩٤ والصراط المستقيم ج٣ ص٢٨٤ وعوالي اللآلي ج٢ ص٦ و ٩٥ والفتح السماوي للمناوي ج٢ ص٥٥٢ وراجع: تفسير الثعلبي ج٤ ص٥ والجامع لأحكام القرآن ج٣ ص٦٨ وج٦ ص٣١ =

٧ ـ قد تقدم: أن مظاهرة النبي «صلى الله عليه وآله» بدرعين لا مجال لإثباتها. بل الشواهد تشير إلى ضد ذلك.. فلا يصغى إلى قولهم: إنه «صلى الله عليه وآله» قد فعل ذلك تعليماً لأمته.

أو قولهم: إن ضمان العصمة للنبي «صلى الله عليه وآله» من الله تعالى لا ينافي احتراسه «صلى الله عليه وآله»، مثلما أن وعد الله لنبيه بإظهار دينه لا ينافي الأمر بالقتال، وإعداد العدة، ورباط الخيل.. لأن وعده بالنصر، إنما هو وعد له بأمر يحصل له من خلال ما يتعاطاه من أسباب.. وليس مطلقاً.

٨ ـ على أن قولهم هذا الأخير، لا يتلاءم مع ما زعمه قبل ذلك: من أن الله سبحانه يتدخل في الأمور، ويجريها على الناس بصورة قهرية وجبرية.. لأن الجبر والقهر يجعل من التوسل بالأسباب الظاهرية لغواً، وبلا مبرر، لأن وجودها يكون كعدمها، لأنها مع هذا الجبر الإلهي تكون فاقدة لأي تأثير البتة..

فالإعتراف بأن إرادة إجراء الأمور مرهونة بها، ينقض القول: بأن الله هو الذي يقهر، ويجبر. وذلك ظاهر.

= وأضواء البيان للشنقطي ج٥ ص٢٥٤ وأحكام القرآن للجصاص ج٤ ص١٦١ و (ط دار الكتب العلمية) ج٢ ص٦١٥ والكشاف ج١ ص٦٣٧ والبحار ج٧٧ ص٢٥٣ وتحفة الأحوذي ج٨ ص٣٢٦ وعون المعبود ج١٠ ص١٥ وتخريج الأحاديث والآثار ج١ ص٣٧٧ .

الفهـــارس

١ ـ الفهرس الإجمالي
٢ ـ الفهرس التفصيلي

١ـ الفهرس الإجمالي

الباب الثاني: غزوة حنين.. الهزيمة.. الجريمة

الفصل الأول: إستعداد العدو.. واستطلاع النبي ’ ....٩ ـ ٣٢
الفصل الثاني: الجيشان إلى حنين ....٣٣ ـ ٨٠
الفصل الثالث: قبل أن تبدأ الحرب.............................. ٨١ ـ ١١٢
الفصل الرابع: الهزيمة وتمحّل الأعذارخطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة. ـ ١٦٤
الفصل الخامس: متآمرون على حياة النبي ’ خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة. ـ ١٨٦

الباب الثالث: النصر الإلهي

الفصل الأول: النبي ’ يعالج الموقفخطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة. ـ٢٣٨
الفصل الثاني: هزيمة المشركين على يد علي × خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة. ـ ٢٩٠
الفصل الثالث: الثابتون في حنين..خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة. ـ ٣١٦
الفصل الرابع: نهايات حرب حنينخطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة. ـ ٣٥٨

الفهارس: .... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة. ـ **٣٧١**

٢ ـ الفهرس التفصيلي

ا

الباب الثاني: غزوة حنين.. الهزيمة.. الجريمة

الفصل الأول: إستعداد العدو.. واستطلاع النبي ' ..

بداية:.. ١١

هوازن تحشد وتستعد:.................................... ١١

حنين واد قرب الطائف:.................................. ١٨

سبب غزوة حنين: ١٨

دوافع هوازن: ٢٠

هل هذا ضعف بصيرة أم خذلان؟!.................. ٢١

دريد بن الصمة في محكمة الوجدان: ٢٢

طموح تحمية الرعونة:.................................... ٢٣

الإستطلاع.. والتثبت: ٢٥

ماذا يريد الرسول ' من ابن أبي حدرد؟!: ٢٧

موقف عمر من ابن أبي حدرد: ٢٨

الأمر الأول: سؤال النبي ' :.............................. ٢٨

الأمر الثاني: تكذيب عمر لابن أبي حدرد:............ ٢٩

الأمر الثالث: لربما كذبت بالحق:...................... ٢٩

الأمر الرابع: صدق أبي حدرد:.......................... ٣١

الأمر الخامس: لماذا الحذف؟!:.. ٣١

الفصل الثاني: الجيشان إلى حنين

الإستعداد للمسير وعقد الألوية:.. ٣٥
عقد الألوية:.. ٣٧
عتاب أمير مكة:.. ٤٦
إستعارة السلاح من المشركين:.. ٤٧
تاريخ خروج النبي ' إلى حنين:.. ٥٣
خيف بني كنانة.. معسكر أهل الإيمان:.. ٥٥
أهل مكة.. وحرب هوازن:.. ٥٧
خرج الناس نظاراً ينظرون:.. ٥٨
الغنائم هي الهدف:.. ٥٩
أبو سفيان يجمع ما يسقط:.. ٦٠
التفريق بين المشرك وزوجته:.. ٦٠
إخراج النساء في الحرب:.. ٦١
ذات أنواط:.. ٦٢
الأنبياء ^ وسنن التاريخ:.. ٦٣
باتجاه هوازن والبشارة بالغنام:.. ٦٦
الغنيمة تقدمة إلهية:.. ٦٨
ابن الأكوع يقتل عيناً للمشركين:.. ٦٩
هل هذا معقول؟!:.. ٧٣
عباس بن مرداس ينصح هوازن:.. ٧٨

الفصل الثالث: قبل أن تبدأ الحرب

النبي ’ في حنين: ٨٣
جواسيس مالك بن عوف: ٨٤
للأعداء خطتهم: ٨٧
تعداد جيش المسلمين: ٨٧
عدد جيش الأعداء: ٩٠
كلمات حول عدد الجيشين: ٩١
ألف: جيش الأعداء: ٩٢
ب: جيش المسلمين: ٩٣
تعليق النصر على الصدق و الصبر: ٩٤
العرب تَباغت على النبي ’ : ٩٥
هل ظاهر النبي ’ بدرعين؟!: ٩٧
بنو سليم.. وأهل مكة، وخالد: ١٠٠
١ ـ الكتلة العشائرية: ١٠٠
٢ ـ دور بني سليم في هزيمة المسلمين: ١٠١
هل هذا أبو بكر؟!: ١٠٢
من القائل: لن نغلب اليوم من قلة؟! ١٠٦
اتهام النبي ’ بالكفر: ١٠٧
أتستنصر بصعاليك الأمة؟!: ١١٠

الفصل الرابع: الهزيمة وتمحّل الأعذار

الهزيمة في اللحظات الأولى: ١١٥

وقت الإنحدار في الوادي: ١١٦
المضائق والكمائن: ١١٦
النبي ’ هو الذي اختار مقدمة الجيش: ١١٩
توجيهات سقيمة للهزيمة: ١٢٠
شبان لا خبرة لهم: ١٢٠
قلة السلاح.. والإقبال على الغنائم: ١٢٠
اتهام النبي ’ بالفرار: ١٢١
الكمين سبب آخر: ١٢٢
هزيمة عمر بن الخطاب: ١٢٥
شماتة الحاقدين: ١٢٦
شبان لا خبرة لهم بالحرب: ١٢٨
روائح كريهة لمؤامرة أخرى: ١٣٠
أقصى هزيمتهم مكة: ١٣٢
متى كانت الهزيمة؟!: ١٣٣
أسباب الهزيمة عند عمر بن الخطاب: ١٣٥
الإفتراء على رسول الله ’ : ١٣٧
لا عذر لأحد في الهزيمة: ١٣٨
الكمائن ليست هي السبب: ١٤٠
العصبيات.. والدين: ١٤٠
هل الفرار من الزحف كبيرة؟! ١٤١
ومن طرق أهل السنة نذكر: ١٤٩

مقارنتان بين بدر وحنين: ١٥٤
معاوية يروي الأكاذيب: ١٥٧

الفصل الخامس: متآمرون على حياة النبي '

ما الذي جرى بعد الهزيمة؟!: ١٦٧
شيبة يريد اغتيال النبي ' : ١٦٩
النضير يتربص بالنبي ' شراً: ١٧٤
من هو النضير بن الحارث: ١٧٦
لا بد من التذكير: ١٧٨
أبو سفيان لم يكن مسلماً بل متآمراً: ١٨٠
لا توجد كمائن: ١٨١
النضير..مع المشركين: ١٨٢
إنه لعلى حق، وإنه لمعصوم: ١٨٢

الباب الثالث: النصر الإلهي

الفصل الأول: النبي ' يعالج الموقف

النداء والدعاء: ١٩١
عطفة الأنصار: ١٩٦
شاهد عيان في حنين: ١٩٧
حديث ابن مسعود: ١٩٩
حديث أنس: ٢٠٠
تراجع الأنصار، لسماع صوت النبي ' : ٢٠٢
المشركون خرجوا على رسول الله ' : ٢٠٣

أنا ابن العواتك: ٢٠٤
يا أصحاب سورة البقرة: ٢٠٨
فأسمع أولهم وآخرهم: ٢١٠
عاهدوا الله ورسوله: ٢١٠
دعاء النبي ' بعد فرار أصحابه: ٢١١
إن تهلك هذه العصابة لا تعبد: ٢١٣
هزيمة الأعراب أم هزيمة قريش والقادة؟!: ٢١٤
هل كانت الهزيمة ليلاً؟!: ٢١٤
نداء النبي ' أم نداء العباس؟!: ٢١٥
الأنصار.. وخصوصاً الخزرج: ٢١٦
الحب والحنان في الأنصار: ٢١٨
وجه النبي ' كالقمر: ٢١٩
الخزرج صبَّر عند الحرب: ٢٢١
هل هذا خطأ؟!: ٢٢٢
ركض ' بغلته نحو علي × : ٢٢٣
النبي ' يطالب المهاجرين بعهدهم: ٢٢٤
حياء الأنصار من رسول الله ' : ٢٢٥
من هؤلاء يا أبا الفضل؟!: ٢٢٥
تناقضات.. يلاحظها القارئ: ٢٢٦
النبي ' يركب بغلة: ٢٢٨
النبي ' والشعر: ٢٣٤

النبي ’ يركض البغلة، والعباس يكفها: ٢٣٧

الفصل الثاني: هزيمة المشركين على يد علي ×

الآن حمي الوطيس: ٢٤١
لم يحارب أحد سوى علي × : ٢٤٢
النبي ’ يحثو التراب في وجوههم: ٢٤٦
شاهت الوجوه: ٢٥١
كف الحصى: ٢٥٣
معجزتان: فعلية وخبرية: ٢٥٤
نزول السكينة: ٢٥٥
حقيقة السكينة: ٢٥٧
متى سمّى الله الأنصار مؤمنين؟!: ٢٥٨
قيمة رواية ابن مسعود: ٢٦٠
جبنهم ونزول السكينة: ٢٦٠
المواطن الكثيرة ثمانون: ٢٦٣
ما هو سبب هزيمة المشركين؟!: ٢٦٤
النصر الإلهي والإمداد بالملائكة: ٢٦٥
انهزام المشركين: ٢٧٣
علي × يقتل ذا الخمار: ٢٧٨
هزيمة المشركين بقتل أبي جرول: ٢٧٩
هكذا يكيدون علياً × : ٢٨٣
شعر علي × في حرب حنين: ٢٨٥

مع الشعر المنسوب لعلي × : ٢٨٦
ظروف حرب حنين: ٢٨٧

الفصل الثالث: الثابتون في حنين..

الثابتون في حنين: ٢٩٣
النساء في حنين: ٢٩٥
الثابتون من الرجال: ٢٩٩
هل ثبت عمر في حنين؟!: ٣١٢

الفصل الرابع: نهايات حرب حنين

سليم في شعر ابن مرداس: ٣١٩
النبي ' يدافع عن ذراري المشركين: ٣٢١
الوفاء بالنذر.. والعصمة: ٣٢٦
اجزروهم جزراً: ٣٢٧
إيمان أهل مكة.. لظهور القوة: ٣٢٩
قتل دريد بن الصمة: ٣٣٠
مالك بن عوف يفرّ إلى ثقيف: ٣٣٢
أوسمة للزبير بن العوام: ٣٣٥
من استشهد بحنين: ٣٣٨
قتلى المشركين: ٣٣٩
بغض قريش: ٣٤٠
ما كانت هذه لتقاتل!!................................ ٣٤١
إنه من أهل النار: ٣٤٤

المجروحون في حنين: ٣٤٥
غنائم حنين إلى الجعرانة: ٣٤٨
منطلقات خاطئة لتحليلات وخيالات: ٣٥٠

الفهارس:

١ ـ الفهرس الإجمالي ٣٦١
٢ ـ الفهرس التفصيلي ٣٦٣